الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة 1

كلية العلوم الإسلامية

تخصص: عقيدة اسلامية

نيابة العمادة لما بعد التدرج والبحث العلمي

والعلاقات الخارجية

ابن عرفة وآراؤه العقدية من خلال تفسيره

ـ الإلهيات والنبوات أنموذجاً ـ

رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الطور الثالث في العلوم الإسلامية

تخصص: عقيدة اسلامية

إعداد الباحثة:

كريمة مجادبة

إشراف الدكتورة:

أد/ حجيبة شيدخ

لجنة المناقشة

الاسـم واللقب	الدرجة العلميـة	الجامعة الأصليـة	الصفـة
عبد الحكيم فرحات	أستـاذ	جامعة باتنة -1-	رئيـساً
حجيبة شيدخ	أستـاذ	جامعة باتنة -1-	مقـرراً
عبد الكريم رقيق	أستـاذ	جامعة باتنة -1-	عضوا مناقشاً
نورة بن حسن	أستـاذ	جامعة باتنة -1-	عضوا مناقشاً
السعيد رحماني	أستـاذ	جامعة المسيلة	عضوا مناقشاً
نورة رجاتي	أستاذ محاضر -أ-	جامعة الأمير-قسنطينة	عضوا مناقشاً

السنة الجامعية :1440هـ-1441 هـ /2019م – 2020 م

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٣٨

إهـــــداء

أشكر والديَّ الكريمين اللذين أحسنا تربيتي، وأسأل الله تعالى أن يرزقني رضاهما ويوفقني لبرهما وخفض الجناح لهما فيا ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيراً، وأَطِل في عمرهما وأَحْسِن عملهما، وألْبِسْهُما لباس الصحة والعافية.

إلى إخوتي وأخواتي، وكل الأهل والأقارب

إلى صديقاتي وزميلاتي

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد وإن بدعوة في ظهر الغيب

الى كل من وقف بجانبي لإتمام هذا العمل المتواضع .

شكر وتقدير

بعد شكر الله تعالى وحمده حمداً كثيراً طيِّباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان في البدايات والنهايات.

أتوجه بشكري للأستاذة المشرفة بارك الله صحتها وجزاها خير الجزاء، والأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على تحملهم عناء قراءة البحث وتقييمه رغم كثرة انشغالاتهم، وجميع الأساتذة الكرام الذين درسوني من الابتدائي إلى الجامعي، والزملاء والزميلات الأعزاء، وكل من أسدى إليَّ معروفاً بتقديم رأي ينضج البحث ويثريه، أو أهداني توجيهاً نافعاً، أو أبدى ملاحظة، أو أجاب عن سؤال و أعانني في المراجعة والتدقيق أو تكرم بحضور مناقشة الرسالة.

ولا يفوتني أن أشكر الدكتور نزار حمادي من تونس على مساعدتي في الاطلاع على كتابه "درر المعرفة" وإرساله لي، فجزاه الله خيراً ومتعه بالصحة والعافية.

وأدعو لهم جميعاً أن يجزيهم الله عني خيراً، وأن يبارك لهم في أولادهم وأهليهم وأموالهم، وأن يرزقهم العلم النافع والعمل الصالح، وأن ينزلهم الفردوس الأعلى من الجنَّة بغير حساب، آمـــــين.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾(سورة الشورى الآية: ٥٢)

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾(سورة الزمر الآية:٢٣)

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾(سورة الزمر الآية:٤١)

إن المتدبر لآيات القرآن الكريم يدرك حجم الاهتمام الكبير والعناية الشديدة بقضايا العقيدة، فهو سبحانه وتعالى يولي لهذا الجانب أهمية عظمى؛ فالقضايا العقدية التي عالجها القرآن الكريم كثيرة ومتشعبة، فهو يتطرق إلى وحدانية الله سبحانه وتعالى، ونفي الشريك عنه، وهذا لا يتأتى إلا بإرسال الله رسله وأنبيائه ـ عليهم السلام ـ إلى البشر، فهو يوضح كذلك كل ما يتعلق بهم من معجزاتهم وعصمتهم، وتميزهم عن سائر الخلق. وكان كل ذلك في أسلوب غاية في الدقة والقوة والوضوح، يجمع بين المنطق العقلي والدليل الحسي والتسليم الغيبي.

وبالنظر في سير من سبقنا من العلماء نجدهم كلهم قد اهتموا بالعقيدة التي تمكنت من قلوبهم، فأفنوا أعمارهم في خدمتها شرحاً أو تأليفا أو تفسيرا، ومن بينهم المفسرين الذين اهتموا بها اهتماما بالغاً شارحين معاني الآيات التي تتحدث عن أصول العقيدة وأركانها، جاهدين في إبراز المعاني الدقيقة وإيضاح الفوائد الجليلة التي تضمنتها الآيات القرآنية؛ من هؤلاء المفسرين الإمام محمد ابن عرفة الورغمي التونسي صاحب كتاب " تفسير ابن عرفة".

ولا شك أن كتاب تفسير ابن عرفة من الكتب ذات الشأن؛ خصوصا أنه يبحث في مسائل اعتقادية بالغة الأهمية والخطورة، فضلا عن أنه من عيون التراث في البلاغة وفن القول، ومن هذا المنطلق كان اختياري لهذا الموضوع الذي عنونته بـ: **ابن عرفة وآراؤه العقدية من خلال تفسيره " الإلهيات والنبوات أنموذجاً"**.

إشكالية الدراسة:

تكمن إشكالية هذه الدراسة في: من هو الإمام ابن عرفة، وما موقفه من المباحث العقدية خاصة الإلهيات والنبوات من خلال تفسيره؟ ويندرج تحت هذا السؤال الجوهري أسئلة فرعية:

ما طبيعة تفسيره؟ وما مدى بروز شخصية ابن عرفة في تفسيره؟ وما هو انتماؤه المذهبي وما هي خصائص الدرس العقدي عنده؟

أهمية الموضوع:

يستمد موضوع البحث أهميته مما يلي:

. المكانة العلمية لتفسير ابن عرفة، فقد كان هذا التفسير محل ثناء أهل العلم خصوصاً المترجمين لابن عرفة، وكذا المشتغلين بعلوم القرآن.

. كون الموضوع يسعى للتعريف بالجهود المميّزة التي بذلها علماء المغرب الإسلامي في البحث العقدي.

. وتكمن أهمية الموضوع كذلك في ما حواه تفسيره من آراء عقدية جديرة بالعناية والاهتمام العلمي، لتكون مجالاً لدراسة الباحثين.

أسباب اختيار الموضوع:

تم اختياري لهذا الموضوع للأسباب الآتية:

. رغبتي الشديدة في دراسة بحثية تكون مرتبطة بكتاب الله تعالى، فكان هذا الموضوع الذي جمع بين العقيدة . مجال التخصص . وتفسير القرآن العظيم.

. عدم شهرة هذا التفسير إذا قيس بغيره، فأردت أن أظهره لطلبة العلم حتى يتعرفوا عليه.

أهداف الموضوع:

تتمثل أهداف البحث في النقاط الآتية:

. التعريف بابن عرفة وعصره ومنهجه في العقيدة.

. جمع ما تفرق من آرائه وأقواله العقدية بين صفحات تفسيره.

. التعرف أكثر على آرائه العقدية، ومقارنتها مع آراء غيره من آراء العلماء والمفسرين.

المنهج المتبع في الدراسة:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي والاستقرائي بآليتي التحليل والمقارنة: فتتبعت ما كتب عن عصر ابن عرفة وحياته بجميع مناحيها ، واستقرأت آراءه العقدية في تفسيره وقمت بدراسة وتحليل هذه الآراء ومقارنتها بآراء غيره من العلماء .

الدراسات السابقة:

إن موضوع الآراء العقدية للإمام ابن عرفة الورغمي كدراسة شاملة ومتخصصة لم أقف على من بحثه حسب اطلاعي، غير أن هناك بعض الدراسات التي تخدم هذه الدراسة من بعض الجوانب، والتي استطعت الحصول عليها، وأجملها في الآتي:

- ✓ تفسير ابن عرفة برواية البسيلي دراسة وتحقيق لسورة الأعراف، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: أصول الدين، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، من إعداد الطالبة: العالية شعراوي، من إشراف الدكتور: محمد دراجي، والتي نوقشت سنة 2006م.
- ✓ تفسير ابن عرفة بتقييد أحمد بن محمد البسيلي"سورة التوبة"، من إعداد الطالبة: الزهرة عامر، تحت إشراف الدكتور: محمود مغراوي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: أصول الدين، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، والتي نوقشت خلال العام الجامعي: 2006م.
- ✓ تقييد ونكت على تفسير ابن عرفة للإمام أبي العباس أحمد بن محمد البسيلي، دراسة وتحقيق لتفسير السور (ص)، (الزمر)، (غافر)، من إعداد الطالبة: صليحة عثماني، تحت إشراف

الدكتور: محمد مغراوي، وهي مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: عقيدة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، ، نوقشت سنة 2012م.

- ✓ تقييد ونكت على تفسير ابن عرفة للإمام أبي العباس أحمد بن محمد البسيلي، دراسة وتحقيق لتفسير سورة البقرة، من إعداد الطالب: عثمان واجعوط، وإشراف الدكتور: محمد عبد النبي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: أصول الدين، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، ، وتم مناقشتها خلال سنة 2013م.
- ✓ آراء ابن عرفة المالكي الأصولية من خلال تفسيره " جمعا ودراسة"، من إعداد الطالبة: عائشة بنت عبد الله بن ناصر السعوي، تحت إشراف الدكتور: عارف بن عوض الركابي تخصص: أصول الفقه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم . المملكة العربية السعودية، والتي نوقشت سنة 2014م.

وقد استفدت من هذه الرسائل عند قراءة الجزء النظري أو الدراسي من التعريف بشخصية ابن عرفة، وعصره الذي عاش فيه، وكيف أثر في بناء شخصيته العلمية، وكذلك في التعريف بتفسيره، ووصف منهج ابن عرفة في تفسيره. وعلى الرغم من الدراسات والأبحاث التي عنيت بموضوع ابن عرفة والتي كانت كثيرة ومتشعبة من مقالات وملتقيات، إلا أن الجانب العقدي فيها كان غائبا، وفي هذه الرسائل لم يلق الجانب العقدي اهتماماً كافياً .

- ✓ الآراء الكلامية لابن عرفة التونسي من خلال تفسيره . جمعاً ودراسة . من إعداد الطالب: هشام داود، تحت إشراف الدكتور: يوسف عدار، وهي مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص: عقيدة، كلية العلوم الاسلامية، قسم العقائد والأديان، نوقشت سنة: 2017م. والتي لم أعثر عليها إلا في المرحلة الأخيرة من البحث، وفي هذه الرسالة يذكر الباحث العلاقة الموجودة بين ابن عرفة والرازي، وأن ابن عرفة كان متأثراً بطريقة الرازي في عرض المسائل الكلامية، وقد تعرض لآراء ابن عرفة في السمعيات والأسماء والأحكام

والإلهيات والنبوات، وهو ما استفدت منه في هذا البحث، وقد جاءت رسالتي أكثر تفصيلاً لمباحث الإلهيات والنبوات.

المنهجية المتبعة في كتابة البحث:

وقد سلكت في هذا البحث المنهجية الآتية:

1- الحرص على الكتابة الصحيحة للآيات القرآنية على ما يوافق رواية حفص لقراءة عاصم، وتشكيلها، وتخريجها في متن البحث.

2- الحرص على الكتابة الصحيحة للأحاديث النبويّة، والاكتفاء بتخريجها من صحيحي البخاري ومسلم، أو أحدهما، فإن لم أعثر عليها فيهما، خرجتها من كتب السنن، مع ذكر ما وقفت عليه من آراء الأئمة في درجة الحديث.

3- أهملت ترجمة بعض الأعلام المذكورين كبعض رجال السياسة، وترجمت للأعلام التي لها صلة مباشرة بالبحث والتي ذكرها ابن عرفة في تفسيره من مصادر التراجم المعروفة.

4. أسند كل قول إلى قائله مع الإشارة إلى ذلك في الهامش.

5- عند ذكر المصدر أو المرجع لأول مرة، التزمت بذكر جميع المعلومات الخاصة به، من ذكر لعنوان الكتاب، ثم اسم المؤلف، فاسم المحقق، ثم بيانات النشر، من اسم الدار الناشرة، فبلد النشر، ثم رقم الطبعة، فتاريخ الطبعة، ثم الجزء والصفحة، فإن لم أجد بعض هذه البيانات، لم أشر إلى ذلك بأي رمز، وإنما أكتفي بذكر ما وجد.كما أشير إلى أن كتاب تفسير ابن عرفة هو المصدر الرئيس الذي يدور حوله البحث، وبقية الكتب هي مراجع وقد قمت بالتهميش على هذا الأساس.

6- في حالة تكرر المصدر أو المرجع في نفس الصفحة، التزمت بذكر "المصدر نفسه"، أو" المرجع نفسه"، هذا في حالة ما إذا لم يفصل بينهما فاصل، أما إذا فصل فاصل، فأذكر "المصدر السابق"، أو" المرجع السابق"، وإذا ذكر لنفس المؤلف أكثر من مصدر أو مرجع، فتكرر أحدها، أو كلها، لم ألتزم بذلك، وإنما كنت أعيد كتابة عنوان المصدر أو المرجع المكرر.

7- ذيلت البحث بجملة من الفهارس، مما يمكن القارئ من سهولة العثور على ما يرغب الاطلاع عليه، وقد التزمت في ترتيب الآيات القرآنية الترتيب حسب سور القرآن الكريم، أما بقية الفهارس فقد اعتمدت فيها الترتيب الألفبائي، مع عدم الاعتبار بـ : (ال) التعريف، و(ابن).

الصعوبات التي تواجه البحث:

من الصعوبات التي واجهتني أذكر ما يلي:

. غزارة المادة العلمية وتنوعها في تفسيره؛ مما جعلني أتنقل بين جملة من العلوم (فقه، منطق، حديث، لغة،..).

. احتواء التفسير على أسماء وأعلام كثيرة تطلبت مني ترجمتهم والبحث عن الكتب التي نقل منها.

. كثرة الأقوال الواردة في تفسير ابن عرفة، وتنوعها وكثرة الشواهد والتي تحتاج إلى توثيق والرجوع إلى مصادرها الأصلية؛ الأمر الذي أطال في مدة إنجاز هذا البحث.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

- **مقدمة**: وقد بينت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له، ومنهجي فيه، والدراسات السابقة، ومنهجية كتابته وخطته.

- **الفصل الأول**: بعنوان عصر ابن عرفة وحياته، ويحتوي على ثلاثة مباحث، **الأول** خصصته لدراسة البيئة التي نشأ فيها وما يحيط بها من الحالة السياسية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية، ومدى أثرها في تكوين شخصيته، **والمبحث الثاني** خصصته للسيرة الشخصية لابن عرفة وتناولت فيه مولده وأسرته وأخلاقه وأعماله، **والمبحث الثالث** تعرضت فيه إلى سيرته العلمية وتناولت فيه تحصيله العلمي، ومذهبه الفقهي والعقدي، وذكرت بعض شيوخه، ثم نبوغه وآثاره المتمثلة في تلاميذه ومصنفاته، ومكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

- **الفصل الثاني**: بعنوان **دراسة كتاب تفسير الإمام ابن عرفة ومنهجه في عرض العقيدة** حيث قسمته إلى ثلاثة مباحث، **الأول** كان عن قيمة تفسير ابن عرفة العلمية؛ حيث تعرضت إلى

التعريف به وبيان قيمته العلمية وما عليه من مآخذ، أما **في المبحث الثاني** فقد تعرضت إلى منهجه الذي سلكه في تفسيره؛ حيث تناولت فيه منهج ابن عرفة في التفسير بالمأثور وعلوم القرآن ويتكون من ثلاثة مطالب: **المطلب الأول**: يتناول التفسير بالمأثور: وضحت فيه منهج ابن عرفة في تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وبأقوال الصحابة والتابعين. و**المطلب الثاني**: تفسير القرآن بالرأي: وضحت فيه منهجه في عرض المسائل الفقهية وأصوله كالمطلق والمقيد، العام والخاص، ...ومنهجه في عرض المسائل اللغوية. و**المطلب الثالث**: مصادره التي اعتمدها في تفسيره: من كتب التفسير وعلوم القرآن، وكتب اللغة والنحو، وكتب الفقه وأصوله وغيرها من المصادر. أما **المبحث الثالث**: فكان لبيان منهج الإمام ابن عرفة في بحث العقيدة، وجعلته في ثلاثة مطالب، كان الأول عن بيان موقفه من العقل، والمطلب الثاني في بيان موقفه من العلوم العقلية كعلم الكلام، وعلم المنطق، والمطلب الثالث تعلق بخصائص منهج الإمام ابن عرفة في بحث العقيدة.

. **الفصل الثالث**: بعنوان "**درس الإلهيات في تفسير ابن عرفة** " وقسمته إلى أربعة مباحث: تعرضت في **المبحث الأول** إلى بيان وجود الله تعالى من خلال مطلبين: **الأول** حقيقة الوجود الإلهي عند ابن عرفة، **والثاني** أدلة وجود الله تعالى عنده. أما **المبحث الثاني** فكان عن تعريف الوحدانية، وبيان حقيقتها عند ابن عرفة من خلال تفسيره للآيات القرآنية. وفي **المبحث الثالث** تطرقت إلى بيان صفات الله تعالى من خلال ثلاث مطالب، **الأول** كان عن صفات المعاني ، و**الثاني** للصفات الخبرية، **والثالث** كان عن رؤية الله سبحانه وتعالى. أما **المبحث الرابع** فقد اشتمل على أسماء الله الحسنى بعدة مطالب لتوضيح حقيقتها، وعدد أسماء الله، ومناسبة الأسماء الحسنى.

. **الفصل الرابع**: بعنوان "**درس النبوات في تفسير ابن عرفة** "، وينقسم إلى أربعة مباحث، **الأول** تحدثت فيه عن مفاهيم ومسائل خاصة بالنبوة والرسالة، تضمَّن القضايا التالية: تعريف النبيّ والرسول، والفرق بينهما، النبوة منحة أم مكتسبة، حكم إرسال الرسل. أما **المبحث الثاني**:

فكان الحديث فيه عن العصمة عند الأنبياء . عليهم السلام .، وذلك من خلال التعرض إلى بيان معانيهما ورأي ابن عرفة فيهما. **والمبحث الثالث**: كان عن رأي ابن عرفة في المعجزة والكرامة، وذلك من خلال التعرض لبيان معانيهما، وبيان شروط المعجزة عند الأنبياء، ومن بينها نبوة سيِّدنا محمد صلى الله عليه ودلائل نبوته عند ابن عرفة، ونظرته إلى الإعجاز في القرآن. **والمبحث الرابع**: كان عن المفاضلة بين الأنبياء، والمفاضلة بين الملائكة.

هذا وقد وضعت في نهاية كل فصل أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم لخصتها جميعاً في خاتمة البحث، وأردفت كل ذلك بأربعة فهارس، فهرس للآيات وآخر للأحاديث وآخر للمصادر والمراجع ثم أخيراً فهرس المحتويات.

وفي الختام أحمد الله العلي القدير أن وفقني لإنجاز هذا العمل، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل إنَّه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول:
عصر الإمام ابن عرفة وحياته.

المبحث الأول: عصر الإمام ابن عرفة.

المبحث الثاني: سيرته الشخصية.

المبحث الثالث: سيرته العلمية.

تمهيد:

بادئ ذي بدء يجب التعريف بالعصر الذي نشأ فيه الإمام ابن عرفة والبيئة المحيطة به، سواء كان من الناحية السياسية والظروف التي تحياها الدولة الحفصية، والتي نشأ فيها، ثم التحدث عن الناحية الاجتماعية من حيث المعيشة والمركز الاجتماعي الذي يحتله وسط مجتمعه، إلى جانب الحركة العلمية وتطورها؛ وأثر ذلك كله على الشيخ وتفسيره .

من أجل ذلك قمت بتقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث ضمنت فيها مطالب وهي:

المبحث الأول: بعنوان عصر الإمام ابن عرفة، أما في **المبحث الثاني** فقد تعرضت إلى ذكر نسبه ومولده وأهم أعماله التي قام بها، وفي **المبحث الثالث** تعرضت فيه إلى سيرته العلمية.

المبحث الأول: عصر الإمام ابن عرفة

سيتم الحديث في هذا المبحث عن الحالة السياسية السائدة في عصره، والهيئة الحاكمة في ذلك الزمان؛ وعلاقتها بما حولها من البلدان، ووضع البلد من حيث الاستقرار أو الاضطراب، وسيكون الحديث في **المطلب الأول** بعنوان الحالة السياسية أما **المطلب الثاني** سأتحدث فيه عن الحالة الاجتماعية، **وبالمطلب الثالث** سيكون عن الحالة العلمية للدولة الحفصية آنذاك.

المطلب الأول: الحالة السياسية

عاش الإمام ابن عرفة الورغمي في أوائل القرن الثامن الهجري وبذلك يكون معاصرًا للدولة الحفصية في تونس؛ لذلك سأتحدث بإيجاز عن التاريخ السياسي لتلك الدولة:

❖ أولًا . التعريف ببني حفص:

عاش الإمام ابن عرفة – رحمه الله – بتونس[1] في ظل الدولة الحفصية، وهي فرع من فروع الدولة الموحدية، والحفصيون أسرة من البربر في شمالي إفريقية حكمت " إفريقية" نيفاً وثلاثة قرون (626 . 981هـ/ 1228. 1574م)[2]، وقد نسبت هذه الأسرة إلى الشيخ أبي حفص يحيي بن عمر الهنتاني، من هنتانة من أهم قبائل المصامدة على وجه الخصوص والتي تعتبر من أكبر قبائل البربر في المغرب على وجه العموم، وموطنها بجبال درن القريبة لمراكش، ويرى أكثر المؤرخين

(1) . إن مدينة تونس أحدثت بعد الثمانين للهجرة، وكان يطلق عليها اسم القيروان تعظيما لها وكانت قاعدة إفريقية وحضرة السلاطين من الخلفاء الحفصيين ومهاجري أهل الأقطار من الأندلس والمغرب وغيرهما، وإن سماها المسلمون تونس لأنهم لما فتحوا إفريقية كانوا ينزلون بإزاء صومعة ترشيش اسمها القديم ويتأنسون براهب هناك فيقولون هذه الصومعة تونس فلزمها. وقال بعضهم لها خمسة أسماء وهي: تونس، أوتانوس، الحضراء والخضراء والدرجة العليا، وترشيش؛ فترشيش اسمها القديم وتونس اسمها المحدث والخضراء أو الحضرة كما هو الغالب لأنها كانت حضرة سلاطين بني حفص والخضراء لكثرة زيتونها وهذا اللقب باق لها إلى الآن فيقال تونس الخضراء وقيل لكثرة خيراتها وسعة رزقها. يحدها شمالاً و شرقاً البحر المتوسط وجنوباً وشرقاً طرابلس وجنوبا الصحراء وغربا الجزائر، وعدد سكانها نحو مليونين وأعظم مدنها سوسة وحمامة وبيسرتة وصفاقس... ينظر: دائرة المعارف، المعلم بطرس، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ج6، ص: 274 .276.

(2) . المرجع نفسه، ج7، ص: 474.

أن الحفصيين ينتسبون إلى جدهم أبي حفص عمر رأس الهنتانة، وقيل إنهم ينتسبون إلى حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه.[1]

ويعتبر أبو حفص من زعماء المصامدة وله مكانة ونفوذ بين قبائل المصامدة وهو من خواص ابن تومرت، وآمن بدعوته وبذل قصارى جهده في مناصرته، وكان يأتي بعد عبد المؤمن في المنزلة عند الموحدين، من غير منازع، ويشترك معه في الألقاب الرئاسية، فبينما كان ابن تومرت يسمى بالإمام، وعبد المؤمن بن علي بالخليفة كان يسمى هو بالشيخ.

وبلغ من احترام عبد المؤمن له، وحسن تقديره إياه أن كان يأخذ برأيه في كل مشاكل الحكم، وأكرم أولاده من بعده وأسند لهم المناصب والإمارة في الأندلس وإفريقية.

وعندما تولى الخلافة الموحدية الناصر بن المنصور عين أبا محمد ابن أبي حفص حاكما على إفريقية سنة (603هـ . 1207م)، وأعطاه مطلق التصرف في إدارتها، فانتصر انتصارات عظيمة على ابن غانية، واحتفظ بسلطانه إلى أن توفي سنة سنة 618هـ؛ وبقي الحفصيون تحت سلطان الموحدين إلى ذلك الحين.[2]

❖ **ثانيًا: قيام الدولة الحفصية:**

يعتبر الانفصال الرسمي عن الدولة الموحدية بالنسبة للحفصيين على يد أبي زكريا بن عبد الواحد الحفصي سنة (626هـ . 1229م).

وكانت هناك عدة أسباب شجعت الأمير أبا زكريا بن عبد الواحد الحفصي على الانفصال، منها:

1. انهيار دولة عبد المؤمن في المغرب والأندلس عقب الهزيمة التي حاقت بجيوشها في موقعة العقاب سنة 1212م.

---

(1) . ينظر: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم المعروف بابن أبي دينار، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1286م، ص:124؛ دائرة المعارف، مرجع نفسه، ج7، ص: 119.

(2) . ينظر: دائرة المعارف، مرجع سابق، ج7، ص: 474؛ صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، علي محمد محمد الصلابي، دار البيارق للنشر، عمان . الأردن، ص: 353ـ 354.

2. رفض الخليفة الموحدي إدريس المأمون في عام (626هـ . 1229م) لتعاليم ابن تومرت.

3. قتل الخليفة الموحدي إدريس أشياخ الموحدين الذين عارضوا سياسته ومعظمهم من هنتانة، قبيلة الحفصيين.

فاستغل أبو زكريا عبدالواحد الموقف المتأزم ورفض مبايعة الخليفة إدريس المأمون، واتخذ الأسباب المذكورة ذريعة للخروج عن طاعة عبد المؤمن والاستقلال بولايته، واعتبر نفسه أحق بميراث فكر وعقائد وأهداف حركة ابن تومرت، ولذلك حرص الحفصيون منذ إعلانهم للانفصال على التمسك بتعاليم ابن تومرت. واستطاع أبو زكريا بن عبد الواحد أن يشكل إمارة في تونس، وقضى على البقية الباقية من بني غانية.[1]

❖ ثالثًا: حكم الدولة الحفصية:

وما إن استتب أمر البلاد التونسية بيد الولاة الحفصيين، حتى أعلنوا استقلالهم بتونس، وانفصالهم عن المملكة الموحدية بالمغرب. وقد حظيت فترة استقلال تونس بعز وسلطان واتساع ملك ونفوذ لم يتسن لكثير من الدول، إلا أنّ الغالب عليها سوء الإدارة لتغلب الفكر البربري على رجالها وتمدنها.[2] وهذا ما سيلاحظ من خلال سيرة أمرائها وسيقتصر البحث على من عاصرهم الإمام ابن عرفة ونذكرهم على النحو التالي:

1. عهد أبي يحي زكرياء بن اللحياني(711 . 717هـ)

هو زكرياء بن أبي العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد اللحياني، وقد ولد الإمام ابن عرفة في عهده. بويع سنة إحدى عشر وسبعمائة، وكانت له مشاركة في العلم والأدب. وقد طعن في السن وكبر وساس الأمور وجرّبها، ولما حاصره أبو يحيى أبو بكر من الثغور الغربية، واضطربت عليه البلاد، علم أن لا طاقة له به فخرج إلى قابس ثم طرابلس بعد أن جمع الأموال وباع كل شيء حتى

(1) . صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، مرجع سابق، ص: 354. 355.

(2). ينظر: خلاصة تاريخ تونس، حسن حسيني عبد الوهاب، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، ط3: 1332هـ، ص: 105؛ المؤنس في أخبار افريقية وتونس، مرجع سابق، ص: 117.

الكتب التي جمعها أبو زكرياء بيعت للوراقين،[1] ودام حكمه بتونس ستة أعوام وثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوما،[2]وقامت سياسته على تقدير العلماء والصالحين، وكان محبوبا عند الخاصة والعامة، وكان لا يكافئ من فعل معه سوءًا إلا بالخير، ولا يقع بصره على مسجون إلا أطلقه، وجعل أهل مشورته وخاصته من أهل العلم والتقوى والدين والرأي السديد.[3]

2_ عهد محمد أبي ضربة (717. 718هـ)

هو الأمير أبو عبد الله محمد أبو ضربة اللحياني، دخل ومن معه تونس سنة 717هـ، وبويع بالحضرة ولُقّب بالمستنصر، وكانت مدة حكمه من يوم بيعته إلى أن فر ثمانية أشهر وثلاثة أيام.[4]

3_ عهد أبي بكر يحي بن إبراهيم(718. 747هـ)

دخل المولى أبو يحي أبو بكر بن المولى أبي زكرياء تونس في ربيع الثاني سنة 718هـ،[5] وقد وجه هذا السلطان اهتمامه إلى إصلاح بلاده التي كادت تخرب لتوالي الفتن، فاعتنى بشأن الفلاحة والصناعة والعلوم بمقدار ما في الامكان، فعاد إلى البلاد شيء من رونقها في مدة قريبة.

وكان في عصره من الفقهاء الأجلاء ما أكد سمعة تونس العلمية، وأيد شهرتها نخص منهم بالذكر: قاضي الجماعة محمد بن عبد السلام، صاحب التآليف الجليلة المتوفى سنة 749هـ، والإمام محمد بن عرفة وغيرهم كثير، توفي سنة 747هـ، وكانت مدة حكمه تسعا وعشرين سنة وشهرين وثلاثة عشر يوما.[6]

(1) . ينظر: المؤنس، مرجع سابق، ص: 134.

(2). الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، أبوعبد الله محمد بن أحمد ابن الشماع، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، ص:88.

(3). ينظر: الأدلة البيّنة، ص:88. 89؛ صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، مرجع سابق، ج5، ص: 359.

(4). ينظر: الأدلة البيّنة، مرجع سابق، ص:88؛ المؤنس، مرجع سابق، ص: 135.

(5). الأدلة البيّنة، مرجع سابق، ص: 87.

(6) . خلاصة تاريخ تونس، مرجع سابق، ص: 115؛ الأدلة البيّنة، مرجع سابق، ص:91.

وكانت مدة حكمه من أعقد الأوقات وأشدها ارتباكاً، واضطراباً وأحداثاً وفتناً، وكان توحيده للسلطنة الحفصية غير مزيل لأوكار الانشقاق، بالإضافة إلى من يريدون العصيان وهم تحت نفوذه، إلا أن العهد الثاني من مدة حكمه امتازت باستقرار نسبي، وتنفس الناس الصعداء لما كان قبله من فتن وثورات.[1]

4_ عهد أبي حفص عمر الثاني(750.747هـ)

هو أبو حفص عمر بن أبي يحيى أبي بكر؛ لما توفي أبو بكر جمع الحاجب محمد بن تافراجين رجال الدولة وأخذ عليهم البيعة للأمير بالحاضرة عام 747هـ. ولما بلغ أخوه أبو العباس أحمد– الأحق بالإمارة – صاحب قفصة الخبر دعا العرب للخروج معه ضد أبي حفص فأجابوه، وبعد كرٍ وفرٍ غلب أبو حفص وقتل أبو العباس. أما ابن تافراجين فقد نكص لما تقابل الجمعان ورجع إلى الحاضرة، ثم التحق بالسلطان أبي الحسن المريني صاحب المغربين الأوسط والأقصى.[2]

5_عهد الفضل بن أبي بكر(750. 751هـ)

كثر الأعداء لأبي الحسن المريني من طرف الأعراب، وكذلك بعض الحفصيين بسبب سياسة الإقصاء التي مارسها، وفي أواخر سنة 749هـ اتجه أولاد أبي الليل –أحد القبائل الإفريقية– إلى أبي العباس الفضل صاحب عنابة وفاوضوه على أنّهم يساعدونه في طلب حقه من ملك أبيه، فاستجاب لذلك، وهاجموا مدينة تونس مرتين دون جدوى، وبعد انضمام الجنوب لأبي العباس خشي أبو الحسن المريني من سوء المآل، فقرر الانسحاب من تونس، وترك ابنه أبا الفضل واليًا على السلطنة وما إن وصل الفضل الحفصي وحاصر الفضل المريني حتى استسلم هذا الأخير.[3] وبويع المولى أبو العباس الفضل بن المولى أبي يحي أبي بكر في أول ذي الحجة سنة750هـ.

---

(1). السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، 1406هـ. 1986م، ص:337، 370.

(2). خلاصة تاريخ تونس، مرجع سابق، ص:117؛ الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، أبو العباس أحمد علي بن الخطيب ابن القنفذ القسنطيني، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر ،تونس، 1968م، ص: 168-169.

(3). ينظر: السلطنة الحفصية، مرجع سابق، ص:406 ، 412.

وكانت مدة حكم الأمير أبي العباس الفضل بتونس خمسة أشهر وخمسة عشر يوماً.[1]

6_عهد أبي اسحاق ابراهيم (751. 770هـ)

كانت لهذا الأمير ببلدة العناب سيرة حسنة، ولكنه ما إن ملك تونس حتى اشتغل باللهو.

وكان ابن عرفة في عهد أبي اسحاق إماما للصلوات الخمس، وكان يحتل المرتبة الثانية أو الثالثة في ترتيب العلماء، وممّا يُبيِّن مكانته العلمية في ذلك الوقت قراءته صداق المولى أبي اسحاق على ابنة الشيخ تافراجين، كتبه الشيخ ابن مرزوق وقرأه الشيخ الفقيه الامام ابن عرفة.

توفي سنة 770هـ، وكانت مدة حكمه حوالي ثمانية عشر عاما.[2]

7_ عهد أبي البقاء خالد الثاني(770. 772هـ)

هو ابن المولى أبي إسحاق إبراهيم بن أبي يحي أبي بكر بن أبي زكرياء يحي، جلس للحكم بعد موت أبيه وحجب له أحمد اليالقي ولم يترك هذا الأخير للأمير خالد شيء إذ انتهب الأموال، وأهان الأشراف، واختل الأمر. فلحق منصور ابن حمزة بالمولى أبي العباس وحثّه على ملك إفريقية، فنهض أبو العباس إلى تونس وتلقته وجوه إفريقية بالطاعة، وانتهى إلى الحضرة فحاصرها، ففر الأمير خالد وأصحابه، ولكن قُبض عليه واعتقل. ثم وجه به وبأخيه في البحر فغرقا بسبب العاصفة، وكانت مدته بتونس سنة وتسعة أشهر.[3]

8 . عهد أبي العباس أحمد(أحمد بن محمد بن أبي بكر)(772 . 796هـ)

هو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي يحي أبي بكر بن أبي زكرياء يحي، بويع بتونس سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة، كان شجاعاً ديّناً عاقلاً صفوحاً، جال في بلاد المغرب مع أبي سالم المريني، ولما ملك إفريقيا رفع أنواع الفساد، وانتزع ما بأيدي العرب من الأمصار، واعتقل ابن تافراجين بقسنطينة لما سمع بمداخلته العرب في الفساد.[4]

---

(1). ينظر: الأدلة البيّنة، مرجع سابق، ص:100، 101.

(2) . المرجع نفسه، ص: 100، 105، 106.

(3) . ينظر: المؤنس، مرجع سابق، ص: 142.

(4). ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

قلده السلطان أبو العباس أحمد إمامة جامع الزيتونة سنة 772هـ، ثم ترقى إلى خطة الإفتاء بالمملكة الحفصية في العام الذي بعده، وقد شاع ذكره وذاع صيت علمه.(1)

9 . عهد أبي فارس عبد العزيز(796. 837هـ)

هو ابن المولى أبي العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي يحي، بويع عند وفاة والده قام بالأمر فأصلح البلاد، وقمع أهل الفساد، وكان شجاعا حازماً تقيًّا معتقداً في الصالحين موقراً للعلماء.(2)

واستمر في عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز وأبي عمرو عثمان حتى أن السلطان أبا فارس الحفصي استطاع الانتصار على المسيحيين وطردهم من جزيرة جربة سنة 835هـ(3)،

وبانتهاء عصر السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان(4) سنة 893هـ بدأ عصر الضعف والانحطاط والذي انتهى بسقوط الدولة الحفصية ودخولها تحت الاحتلال الإسباني.(5)

❖ ومن خلال هذا العرض يتبين أن فترة حكم بني حفص قد مرت بأربع مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة قيام الدولة، وتبدأ هذه المرحلة مع بداية الدولة الحفصية على يد السلطان أبي زكرياء الأول في قيام الدولة بعد إعلانه الانفصال عن الدولة الحفصية، واتساع نفوذ أبي زكرياء الأول وخضوع معظم بلاد المغرب لطاعته.

---

(1). ينظر: خلاصة تاريخ تونس، مرجع سابق، ص: 116؛ تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، أبي عبد الله محمد بن ابراهيم المعروف بالزركشي، تحقيق: محمد ماضود، المكتبة العتيقة، تونس، ط2: 1966م، ص:107.

(2) . ينظر: المؤنس، مرجع سابق، ص: 144.

(3) . ينظر: الأدلة البيّنة، مرجع سابق، ص: 117.

(4) . هو أبو عمر عثمان، كانت أمه من علوج النصارى، كان شجاعا حازما محبا للعلماء؛ ولما ثارت عليه الأعراب مرارا أوقع بهم، توفي هذا السلطان سنة 893هـ، فتولى حفيده الحكم. من مآثره إخراجه لخزانة الكتب التي بقصره المشتملة على أُمَّات الدواوين، وجعل لها خزانة بالمقصورة الشرقية من الجامع الأعظم وأوقف عليها وقفا مؤبدا فعم نفعها وعظم ثوابها.. ينظر: خلاصة تاريخ تونس، مرجع سابق، ص: 123؛ الأدلة البيِّنة، مرجع سابق، ص: 124.

(5). ينظر: المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621هـ وحتى سنة 893هـ، جميلة مبطي المسعودي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1421هـ. 2000م، ص: (ك).

المرحلة الثانية:

مرحلة الصراعات الداخلية، وتبدأ هذه المرحلة مع بداية حكم السلطان أبي اسحاق إبراهيم واستمرت حتى سقوط الدولة الحفصية تحت الاحتلال المريني من سنة 748هـ إلى 750هـ.

المرحلة الثالثة:

مرحلة قوة الدولة: والذي بدأ من عهد أبي العباس أحمد الثاني من سنة 772هـ، واستمر في عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز وأبي عمرو عثمان.

المرحلة الرابعة:

مرحلة انهيار الدولة: وتبدأ هذه الفترة بصورة واضحة بانتهاء عصر السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان سنة 893هـ، بدأ عصر الضعف الذي انتهى بسقوط الدولة الحفصية وخولها تحت الاحتلال الإسباني.

ومن هنا ندرك أن الإمام ابن عرفة لم يقف من هذه الأحداث التي وقعت في عصره موقف المتفرج، بل نجد دوره الواضح فيما كشفت عنه كتب التاريخ، فابن عرفة كان واعظا ناصحا، عالماً مفتياً، والعلم نور يؤثر بصاحبه وبمن حوله.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية

من المعلوم أن البيئة الاقتصادية والاجتماعية ظل للبيئة السياسية، ومرآة ينعكس عليها مظاهر التقدم أو التأخر، ولا يمكن الفصل بحال بين البيئة الاقتصادية والسياسية.

ولم يختلف المجتمع التونسي عن غيره من المجتمعات، فقد انقسم في بنائه إلى طبقات، وإلى ذلك أشار أحدهم فقال:" العنصر التونسي عبارة عن مزيج مركب من عناصر نشيطة مختلفة الأجناس، أكثرهم في العدد البربر، فالعرب، فالأندلس، فالترك، فالزنوج... ، فبقية عناصر الأقليات التي اندمجت في عناصر الأكثريات، وبحكم الضرورة لابد وأن تلك العناصر تكون متباينة في القوة والإدراك والأخلاق، ولكنهم متحدون كلهم في حب بلادهم تونس على السواء".[1]

(1). صفحات من تاريخ تونس، محمد بن الخوجة، تحقيق: حمّادي السَّاحلي، الجيلاني بن الحاج يحيى، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط1: 1986م، ص: 227.

من الطبقات المكّونة للمجتمع التونسي نذكر ما يلي:

1. طبقات الخلفاء و الأمراء:

هم أصحاب الخليفة من ذوي قرباه، وهم رجال الدولة البارزون كالأشراف والوزراء والقواد والكتاب والقضاة والعلماء والأدباء، وكان لهؤلاء باب خاص يدخلون منه لمقابلة الخليفة أطلق عليه "باب الخاصة"؛ كما جُعل لهم مطابخ خاصة وإسطبلات خاصة.(1)

2. طبقات البربر والعرب:

قل أن تجد أمة يكون الدم الساري في شرايينها من دماء عناصر شتى كالأمة التونسية، فالعنصر التونسي الأصلي الذي هو من جنس البربر، اختلط دمه في البداية بدماء العناصر النازحة لإفريقية على عهد دولة قرطجنة وهم أهل سواحل الشام من فينيقيا وكثير من يهودها، وأكثر منهم الزنوج الذين كانوا يستجلبونهم من دواخل السودان ومن الأحباش، للانتفاع بيدهم العاملة في الأشغال الشاقة، وهذا هو السبب الأصلي في انتشار اللون الأسود بالجهات الجنوبية في تونس.(2)

والبربر عنصر قوي البنية، موصوف بالجلد والصبر على مضاضة العيش.(3)

فالبربر هم العنصر الأول الذي سكن القطر التونسي وعمر أرضه أجيالاً وقروناً قبل أن ينزله عناصر جدد، واختلف المؤرخون في أصلهم ونسبهم، فقيل هم إفريقيون أصلاً وموطنا وقيل بل هم آسيويون، ومن قائل إن أصلهم من اليمن، ومن قائل إن أصلهم من العماليق انتقلوا من ديار الشام إلى إفريقية.(4)

ومنهم من كانوا يدينون بالإسلام في بساطته وسماحته، وكان لهذا التمازج البربري العربي أثر بعيد في نشر المذهب الموحدي المهدوي وفيما أحرزه المسلمون من انتصارات.(5)

---

(1). تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن ابراهيم حسن، دار الجيل . بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14: 1416هـ . 1996م، ج4، ص: 586.

(2). ينظر: صفحات من تاريخ تونس، مرجع سابق، ص: 221.

(3). خلاصة تاريخ تونس، مرجع سابق، ص: 8.

(4). تاريخ الأدب، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة . مصر، ص:141.

(5). ينظر: تاريخ الاسلام، مرجع سابق، ج4، ص: 589

3. اليهود والنصارى:

ومن طبقات المجتمع أهل الذمة، اليهود والنصارى، وكانوا يتمتعون بكثير من سياسة التسامح الديني ويقيمون شعائرهم في أمن وطمأنينة، وكان كثير من الخلفاء يحضرون مواكبهم ويشتركون في الاحتفال بأعيادهم ويزورون أديرتهم في مناسبات معينة ويغدقون عليهم الهبات والعطايا.(1)

4 . طبقة أهل الحرف والصناعات:

يقابل الخاصة العامة، وهم السواد الأعظم من الناس ولهم مرافق خاصة بهم كباب العامة ومطابخ العامة، وتتمثل هذه الطبقة في أهل الحرف والصنائع والتجار والفلاحين؛ وقد أعفى الملوك الصناع من أداء أية ضريبة وكانوا على جانب عظيم من الاستقامة وحسن الخلق، وهم في العادة أقل ثقافة ودراية بأمور دينهم.(2)

5. طبقة الرقيق:

ومن طبقات المجتمع الرقيق الذين كانوا يكونون طبقة كبيرة من أسرى الحروب، وكان الرقيق يؤلفون الأغلبية الساحقة من طبقة الخدم، وهم الجواري والرقيق والخصيان، وكان الخدم والرقيق رجالاً ونساء يقومون بخدمة الخليفة وحاشيته في دار الخلافة ويقومون بخدمة الناس.(3)

6. طبقة مهاجري الأندلس:

لقد ظهرت في العصر الموحدي الحفصي، عناصر عرقية جديدة، أثرت في العناصر الأصلية الإفريقية الموجودة من قبل، حيث ارتفع عدد السكان المقيمين في البلاد، على وجه الخصوص، بقدوم عناصر من المهاجرين المغاربة والأندلسيين والنصارى المعتنقين للإسلام، في حين تسرب

(1). تاريخ الاسلام، مرجع سابق، ج4، ص: 588.

(2). ينظر: المرجع نفسه، الجزء نفسه، ص: 586، 590.

(3). المرجع نفسه، الجزء نفسه، ص: 587.

بعض الزنوج اضطراراً إلى المدن وكذلك إلى بعض القبائل،[1]وكانت مدينة تونس تستقطب الكثير من السكان المقيمين داخل أسوارها أو في ضواحيها، وهي مجموعة كبيرة من المهاجرين القادمين من الأندلس، فالحضارة الأندلسية كانت أرقى وأسمى في كثير من الميادين، لاسيما في ميدان الآداب كالنحو والشعر والخط والتاريخ، بينما السكان المحليون مسيطرين بصورة تكاد تكون دائمة على ميدان الشريعة والعلوم الدينية.[2]

فهكذا كانت الحياة الاجتماعية في ذلك العصر، وبالرغم من أن الطبقات والفئات التي كونت المجتمع التونسي كانت مختلفة إلا أنها كانت متجانسة.

المطلب الثالث: الحالة العلمية والثقافية

إنّ صفة الخلافة التي تميز بها أغلب سلاطين بني حفص، قد جعلت منهم، بمقتضى مفهوم السيادة ذاته في الإسلام، الممثّلين لأعلى سلطة بالنسبة إلى السكان الخاضعين لحكمهم. وقد كانت سلطتهم واسعة إلى أبعد حدّ، تشمل على حد سواء الأمور الدينية والشؤون المدنية والعسكرية، ويمارسونها بدون أي تدخل شرعي ولا أية رقابة من طرف مجموع رعيّتهم[3] ولزيادة البيان والتوضيح نذكر ما يلي:

1. استطاع المستنصر أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا الحفصي أن يطور الدولة ويجعلها مقصداً للعلماء والأدباء، وأن تتخذ مكانة رفيعة على المستوى الدولي في زمانه، وجاءته سفارات من دول متعددة، بعضها من السودان، وبعض آخر من اوروبا، واهتم بعاصمة الدولة، وتطور العمران وازدهرت الأحوال العامة في أيامه، حتى أصبحت أعز أيام الدولة الحفصية.[4]

(1). تاريخ افريقية في العهد الحفصي، روبار برنشفيك، تحقيق: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، ط1: 1988م، ج2، ص: 158.

(2). المرجع نفسه، الجزء نفسه، ص: 160.

(3). المرجع نفسه، الجزء نفسه، ص: 34.

(4). صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، مرجع سابق، ج5، ص: 363.

2. ازدهرت إفريقية في أيام الخليفة أبي فارس وبلغت شأوا بعيدا في الثروة والعمران. وذلك بفضل الاستقرار الذي عاشته تونس في زمانه(1)؛ فقد أنشأ خزانة الكتب المشتملة على أمات الدواوين وجعل لها مقصورة بالجامع الأكبر وأوقفها على طلبة العلم ينتفعون بها في وقت محدد دون إخراجها.(2)

3. أقام الخليفة أبو العباس أحمد القراءة في الأسبوع بالمقصورة غربي جامع الزيتونة وأوقف على ذلك وقفاً مؤبداً.(3)

فقد حرص الأمراء الحفصيين على تكريم العلماء والفقهاء وانشاء المؤسسات التي تهدف لنشر العلم، وفيما يلي ذكرٌ لبعض النماذج:

أ . الكتاتيب:

الكتاب مشتق من كتب، والمكتب بضم الميم وسكون الكاف وكسر التاء أو المكتِّب بضم الميم وفتح الكاف وكسر التاء مع التشديد، والمكتب موضع الكتاب، والمكتب والكتاب موضع تعليم الكتاب والجمع الكتاتيب، المكتب موضع التعليم، والمكتب المعلم، وكانت الكتاتيب في تونس هي الأماكن التي يتعلم فيها صبية المسلمين مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، أي أن هذه المكاتب تشبه ما نسميه الآن بالمدارس الابتدائية، ولم تكن هناك مكاتب خاصة يتلقى فيها التلاميذ العلوم الدينية بانتظام، بل كانوا يختلفون إلى المسجد.(4)

وقد نشأت بتونس كتاتيب لتحفيظ الناشئة القرآن الكريم وتعليمهم مبادئ العربية حتى يحسنوا أداء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وكان يتعلم فيها أبناء العرب البربر جميعا، وكان المعلمون فيها يبدؤون بتعليم القراءة والكتابة وبعض مبادئ العربية، لإحكام النطق السديد بألفاظ

---

(1). خلاصة تاريخ تونس، مرجع سابق، ص: 119-120.

(2). المؤنس، مرجع سابق، ص: 122.

(3). المرجع نفسه، ص: 142.

(4). ينظر: تاريخ الإسلام، مرجع سابق، ج4، ص: 402؛ التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، محمد عادل عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987م، ص: 39.

الذكر الحكيم. وكانت تلك الكتاتيب تلحق بالمساجد أو تخصَّص لها غرفة بداخلها ثم أخذت تشيع في الحارات والدروب بالمدن وفي الواحات والأحياء بالوديان. وظلت أساس التعلم في البلاد، مثلها في ذلك مثل جميع البلدان العربية.(1)

ب . المسجد:

الدار الثانية للتعليم بعد الكتَّاب المسجد، حيث كان الشيوخ يتحدثون في التفسير والحديث النبوي والفقه واللغة العربية، والناس يتحلقون حولهم كما تتحلق الناشئة والشباب للتعلم وأخذ ما لديهم من تعاليم الدين وعلوم الإسلام والعربية. فالكتاب لتحفيظ القرآن، وتنعقد الصلاة في المسجد، ويجلس الشيخ في جانب منه يلقي بعض دروسه الدينية.(2)

كان المسجد أعظم معاهد الثقافة لدراسة القرآن والحديث والفقه واللغة وغيرها من العلوم، وكان المسجد فوق اعتباره مكانا للعبادة والمكان الذي يؤم فيه الخليفة الناس في الصلاة، مركزا لإدارة شؤون الدولة أو الولاية. وكان المنبر أشبه بالعرش، يلقى منه بيان الخليفة لسياسة الدولة، ويلقى فيه خطبته الأولى ويبين سياسته في الحكم. وفي المسجد تذاع القرارات المهمة التي تتعلق بالصالح العام، ويستقبل الخليفة السفراء ويدبر شؤون الدولة. والمسجد هو المكان الذي يتخذه علماء التفسير والحديث مقرا لهم، وهو المعهد الذي يتلقى فيه الأطفال اللغة العربية وأصول الدين، وهو المكان الذي اتخذه القضاة لعقد جلساتهم، بل لقد اتخذ بعض المساجد أماكن يلجأ إليها المسلمون ويصدون منها الأعداء.(3)

❖ جامع الزيتونة:

يعتبر هذا الجامع من أهم مساجد إفريقية لقدم عهده، واحتفاظه بعناصره المعمارية والزخرفية الأولى منذ نشأته، ثم لشهرته كجامعة علمية قديمة مازالت تدرس فيها علوم اللغة

(1) . ينظر: تاريخ الأدب، مرجع سابق، ص: 170، 62.

(2) . ينظر: المرجع نفسه، ص: 170.

(3). تاريخ الإسلام، مرجع سابق، ج4، ص: 399 . 400.

والتاريخ والفقه، وتاريخ هذا الجامع يكتنفه الغموض؛[1] فقد حقق المؤرّخون أنّ موقع الجامع كانت به زيتونة حوالي صومعة كان يتعبّد بها راهب نصراني، وتلك الصومعة كان موقعها حيث صومعة الجامع لهذا الزمان؛ وكان بناؤه على يد الشيخ الأمين حسان بن النعمان الغساني الذي وفد على إفريقيا سنة 79هـ لنشر الدعوة الإسلامية بين أهاليها الأصليين، لذلك أحدث العرب الفاتحون أول مسجد للصلاة بتونس، وسمّوه جامع الزيتونة، وأتم البناء وتوسعة الجامع الأمير عبيد الله بن الحبحاب سنة 141هـ، والي إفريقية من قبل الخليفة وأحكم وضعه على أساس فخم، ومن يومئذ صار شأنه في تعاظم إلى هذا الزمان وكان بنو حفص سلاطين تونس، على اتفاق في احترام جامع الزيتونة.

أما دراسة العلوم بجامع الزيتونة، فقد ابتدأت ضئيلة حوالي القرن الثالث للهجرة، ولكنها ما لبثت حتى أثمرت وسايرت كليات قرطبة وبغداد والقيروان، وناهيك بأقطاب العلم الذين أنبتتهم رياض جامعة الزيتونة، منهم المؤرخ ابن خلدون صاحب الشهرة العالمية، والإمام محمد بن عرفة وكفى بفقهه حجة، وليس هما القطبان الوحيدان بتونس بل نجد ذكر غيرهما ممن هم ليسوا بأقل شهرة منهما في العلم والأدب والحكمة.[2] ومنذ أنشئ هذا الجامع يتخذه الشيوخ من أهل العلم لمدارسة الناس في علوم الدين وتحول سريعا مركزاً للعلوم الدينية يؤم شيوخه الطلاب من كل أنحاء المغرب وغير المغرب.

وقد نال جامع الزيتونة الحظ الأعظم أيام الدولة الحفصية إذ عنيت عناية كبيرة بمبانيه ومكتباته وشيوخه وطلابه.[3]

---

(1) . تاريخ المغرب الكبير، السيد عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت . لبنان، 1981م، ص: 435 . 436.

(2). ينظر: صفحات من تاريخ تونس، مرجع سابق، ص: 283 .284، 288، 289؛ الحلل السندسية في الأخبار التونسية، محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج، تحقيق: محمد الحبيب الهيله، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، ط1: 1985م، ص: 558.

(3). ينظر: تاريخ الأدب، مرجع سابق، ص: 171 . 172.

ب . الزوايا:

من معاهد العلم" الزاوية"، وهي مأخوذة من الفعل انزوى ينزوي، وبمعنى اتخذ ركناً من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد، وقد أدرك خلفاء المسلمين الأوائل حاجة المعتكفين إلى هذا الانزواء، فأنشأوا لهم مساكن ملحقة بالمسجد، ثم تطورت الزوايا فيما بعد إلى أبنية صغيرة منفصلة في جهات مختلفة من المدينة في شكل دور أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس، ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين وما يتصل بالدين من العلوم النقلية والعقلية، ثم أصبحت الزاوية ببلاد المغرب مدرسة دينية وداراً للضيافة،(1) وكان بعضها يتسع في مبانيه، حتى تصبح الزاوية كأنها مسجد يموج بطلابه وزواره، وكان يكثر أن يكون لشيخها ضريح يدفن فيه، ومن فوقه قبة كبيرة.(2)

والزوايا على أنواع: أولا الزاوية البسيطة، أي التي لم تنشأ على ضريح أحد الأولياء، وإنما هي مجموعة من الأبنية المتلازمة منها مبيت الطلبة وهي مكونة من عدة غرف حول صحن كبير، والكتاب وغرفة التدريس والمكتبة والمسجد ثم المرافق اللازمة. وتكون الأراضي التي حولها حبسا عليها في الغالب للإنفاق منها ومن الهبات.

أما النوع الثاني من الزوايا فهو الزوايا ذات الولي التي أنشئت حول ضريح أحد الأولياء.

والنوع الثالث من الزوايا فهو الزوايا الطرقية وهي الخاصة بأصحاب الطرق الصوفية.(3)

وأخذت تونس منذ القرن السابع الهجري تستكثر . مثل بقية بلدان المغرب . من زوايا المتصوفة، وتبعتها في ذلك بقية الإقليم التونسي وهي أشبه بمساجد صغرى تضم مباني للشيوخ والطلاب وتلقى فيها دروس العلوم الدينية واللغوية، مما جعلها تشارك في نشر التعليم بمستوياته المختلفة، وكان يلحق بها عادة كتّاب لتحفيظ القرآن الكريم.(4)

(1). ينظر: تاريخ الإسلام، مرجع سابق، ج4، ص: 401.

(2). ينظر: تاريخ الأدب، مرجع سابق، ص: 64.

(3) . ينظر: التربية الإسلامية في المغرب وتأثيراتها الأندلسية، مرجع سابق، ص: 40.

(4). ينظر: تاريخ الأدب، مرجع سابق، ص: 172، 173.

ومن المعروف أن الزوايا كانت أيضا من المؤسسات العلمية المهمة، فبالإضافة إلى كونها موضعا لاجتماع المتصوفة للعبادة والذكر، فقد كان يقصدها بعض الطلبة لتلقي العلم، كما كان يسمح لهم . أحياناً . بالسكنى فيها، ولهذا فقد كثرت الأحباس عليها لتقوم بوظيفتها على خير وجه.[1]

وقد كثرت الزوايا في عهد الدولة الحفصية، والتي منها: زواية الشيخ أحمد بن عروس الهواري المتوفى سنة 868هـ، شيدها له الأمير الحفصي الثامن عشر محمد المنتصر المتوفى سنة839هـ، وزواية الشيخ قاسم الجليزي الأندلسي المتوفى سنة 902هـ، وهو الذي تكفل ببنائها، و زاوية الشيخ محمد بن عمران المتوفى سنة 931هـ وغيرها.[2]

د . المدارس:

اهتمت الدولة الحفصية في عهد المستنصر بالمدارس، كان من مدارس ذلك العهد مدرسة السيدة " عطف" أم الخليفة الحفصي المستنصر وقد أمرت ببنائها وأسمتها المدرسة التوفيقية وألحقتها بالمسجد الذي شيدته، وأطلق عليه اسم جامع التوفيق.[3]

و فيما يلي رصد لأهم المدارس المشيدة في هذا العصر، في هذا الإقليم من المغرب الإسلامي:

1. المدرسة الشماعية:

في عصر الدولة الحفصية تجد الحركة العلمية تزدهر بفضل رعاية الدولة لها وما أنشأت من مدارس شارك فيها المهاجرون الأندلسيون إلى تونس، وكانت أول مدرسة أسستها هذه الدولة هي المدرسة الشماعية أسسها أبو زكريا أول حكامها؛ سمّيت الشماعية نسبة لسوق الشمّاعين الذي كان حولها في أوائل الدولة الحفصية، وممن سكنها في طلب العلم جماعة من أيمة

---

(1) ينظر: جوانب من حضارية المغرب الإسلامي، كمال أبو مصطفى، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية . مصر، 1997م، ص: 117.

(2) الدولة الحفصية، أحمد بن عامر نقلاً عن المختصر الشامل في علم الكلام، مرجع سابق، ص: 30.

(3) ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة . مصر،ط10: 1995م، ص: 337.

المذهبين (المالكي، الظاهري) في عصور مختلفة، منهم: ابن عرفة، والبرزلي، والأبّي ومن المتأخرين الشيخ إسماعيل التميمي.(1)

2. المدرسة التوفيقية:

هذا اسمها المهجور المعروفة به في كتب التاريخ، وأما اسمها المشهور فهو مدرسة جامع الهواء، أحدثتها الأميرة عطف زوجة الأمير أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، وأم السلطان أمير المؤمنين محمد المستنصر بن أبي زكرياء، وكان ذلك سنة 650 هـ . 1252م، بنتها في آن واحد مع جامع التوفيق، ولك أن تقول جامع الهواء، ورتّبت بها دروساً علمية وأوقافاً جارية لاستدامتها، وكانوا في ذلك الزمان يسندون مشيختها لإمام الجامع.(2)

3 . المدرسة العنقية:

اسمها مشتق من اسم الزقاق الواقعة فيه، وهو نهج عنق الجمل، سمّوه كذلك فيما يلوح لطوله وانحرافه، ولا مشاحة في الاصطلاح، ومنه نفهم أن نهج عنق الجمل كان معروفا بهذا الاسم في أوائل المائة الثامنة وما قبلها. وهذه المدرسة أسستها الأميرة المحسنة فاطمة ابنة الأمير أبي زكرياء الحفصي في سنة 733هـ . 1332م؛ ومن شيوخها محمد بن عبد السلام(3) حيث كان مدرسا بها، ومما تولى التدريس بها أيضاً الشيخ أبو مهدي الغبريني(4)، ثم جماعة من بيت القلشاني(5) وغيرهم من الأعلام.(6)

(1). ينظر: تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد، محمد بن الخوجة، تحقيق: الجيلاني بن الحاج يحيى، حمّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، ط2: 1985م، ص: 286 . 287.

(2). ينظر: المرجع نفسه، ص:287. 288؛ تاريخ الأدب، مرجع سابق، ص:173.

(3). شيخ الإمام ابن عرفة، وستأتي ترجمته بالمبحث الثاني من هذا الفصل.

(4) . ستأتي ترجمته بالمبحث الثاني من هذا الفصل.

(5) . ستأتي ترجمته بالمبحث الثاني من هذا الفصل.

(6). ينظر: تاريخ معالم التوحيد، مرجع سابق، ص: 293. 294؛ تاريخ الأدب، مرجع سابق، ص: 173.

4 . المدرسة المنتصرية:

وأسس السلطان أبو عبد الله بن أبي فارس المدرسة المنتصرية، وتوفي قبل أن تتم فأتم بناءها أخوه أبو عمرو عثمان على أكمل بناء وأتقنه ووقف عليها وقفا كافيا. (1)

5. المدرسة المعرضية:

وهي من أقدم المدارس وأجلها في العهد الحفصي، بناها أبو زكريا بن السلطان أبي اسحاق في حدود سنة 683هـ . 1284م، وقد عرفت هذه المدرسة باسم آخر هي مدرسة الكتيبين لموقعها بسوقهم. (2)

6. المدرسة التافراجينية (مدرسة تافراجين): لمؤسسها الشيخ الحاجب أبي محمد عبد الله ابن تافراجين، وكانت تدعى مدرسة القنطرة، ممن تولى التدريس بها البرزلي(3) أحد تلاميذ ابن عرفة.(4)

كان علماء تونس يدرسون بأكثر من مدرسة: فقد درس أبو عبد الله محمد ابن عبد السلام بالمدرسة الشماعية وبالمدرسة العنقية والأولى هي التي اشتهرت به. أما محمد بن عرفة فقد درس بالمدرسة التوفيقية وبمدرسة باب البحر، والأولى هي التي اشتهرت به، وهي توجد داخل الربض الجنوبي لمدينة تونس.(5)

كانت هذه المدارس وغيرها، مشابهة لمثيلاتها الشرقية؛ هدفها تكوين نخبة من طلبة العلم على أيدي الأساتذة المتخصصين، ويقوم منهج الدراسة على تكوين عقل الطلاب بتعليم عناصر الثقافة المتكاملة، وتوليد مهارات الابتكار، وملكة العلم والفقه الراسخة، فأخرجت العلم من طور النقل والتلقين حتى أصبح تكويناً وتوجيهاً؛ لتوسيع نطاق المعارف بالبحث والإنشاء والتحرير.

---

(1). ينظر: تاريخ الأدب، مرجع سابق، ص:173؛ تاريخ معالم التوحيد، مرجع سابق، ص: 295.

(2). تاريخ الأدب، مرجع سابق، ص: 173.

(3) . ستأتي ترجمته بالمبحث الثاني من هذا الفصل.

(4) . ينظر: فهرست الرصاع، أبي عبد الله محمد الأنصاري، تحقيق: محمد العنابي، دار الكتب الوطنية، تونس، ص:199؛ تاريخ الدولتين، مرجع سابق، ص: 101.

(5) . ينظر: برنامج المجاري، أبي عبد الله محمد بن محمد المجاري الأندلسي (تلميذ ابن عرفة)، تحقيق: محمد أبو الأجفان، دار الغرب الاسلامي، بيروت . لبنان، ط1: 1400هـ . 1982م ، ص: 139.

ذلك هو المنهج الثقافي الأشعري الذي حمل لواءه الإمام الرازي في القرن السادس، وقد تخرج على هذه المدرسة قاضي تونس العلامة ابن زيتون؛[1] فكان حلقة الوصل بين ذلك المنهج ومناهج الدراسة التونسية، ومن تلك الصلة تأثر المذهب المالكي تأثراً عميقاً بالدراسة النظرية الأصولية، القائم هيكلها على حسن التقسيم، وبراعة التعليل وعمق النظر، ودقة الجمع والمقارنة.

تخرج في تلك الدراسة فحول العلماء الذين ازدهرت بهم تونس في أواخر القرن السابع وأوائل الثامن؛ كابن راشد،[2]وابن عبد الرفيع،[3] وابن عبد السلام، وابن هارون، وظهرت خلاصة تلك النهضة في مجدد القرن الثامن الإمام العلامة شيخ الإسلام محمد بن عرفة.[4]

د . المكتبات وخزائن الكتب:

اتخذ العلماء والأدباء أماكن يجتمعون فيها للتزود من العلم، فكثرت المكتبات التي تزخر بالكتب الدينية والأدبية وغيرها، وأصبحت هذه المكتبات فيما بعد من أهم مراكز الثقافة الإسلامية.[5]

(1) . هو أبو أحمد بن أبي بكر بن مسافر بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الرفيع اليمني المالكي الشهير بابن زيتون قاضي الجماعة بتونس الفقيه الأصولي العلامة الملقب تقي الدين ويكنى أيضاً بأبي الفضل ولي قضاء تونس مرتين وهو أول من أظهر تآليف فخر الدين بن الخطيب الأصولية بإقرائه إياها بمدينة تونس، توفي بتونس سنة 691هـ . 1291م. ينظر: الديباج المذهب، في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1: 1417هـ . 1996م، ص: 310 . 311؛ شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ج1، ص: 276.

(2) . هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن راشد القفصي يكنى أبا عبد الله الإمام العلامة الفقيه الأصولي، أخذ عن أئمة من أهل المشرق والمغرب كابن الغماز وغيرهم كثير. له تآليف مفيدة منها: الشهاب الثاقب في شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي، والمذهب في ضبط قواعد المذهب في ستة أسفار والفائق في الأحكام والنظم البديع في اختصار التفريع وتحفة اللبيب وغير ذلك من التقاييد الحسنة. حج في سنة ثمانين وستمائة، ثم رجع إلى المغرب بعلم جم وولي قضاء قفصة ثم عزل. وتوفي في تونس سنة (736 هـ . 1335م) قال ابن عرفة: ويكفي من فضله أنه أول من شرح جامع الأمهات لابن الحاجب. ينظر: الديباج المذهب، مرجع سابق، ج2، ص: 328 . 329؛ شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1، ص:297 . 298 .

(3) . هو إبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع الربعي التونسي، قاضي القضاة بتونس يكنى أبا إسحاق كان علامة وقته ونادرة زمانه الفقيه الأصولي المتفنن الفاضل العالم بالأحكام والنوازل، ولد سنة 637 هـ، وتوفي بتونس سنة 733 هـ . 1332م. ينظر: الديباج المذهب، مرجع سابق، ج1، ص: 270؛ شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1، ص: 296.

(4) . ينظر: المختصر الفقهي، محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق: حافظ عبد الرحمن محمد خير، مؤسسة خلف أحمد الحبتور للأعمال الخيرية، دبي . الإمارات، ط1: 1435هـ . 2014م ، ص: 16.

(5). ينظر: تاريخ الإسلام، مرجع سابق، ج4، ص: 408.

أما المكتبات فلم تكن تحتوي في العصر الذي يهمنا إلا على المخطوطات. وبصرف النظر عن المكتبات الغزيرة الكتب في بعض الأحيان، والتابعة لبعض الخواص، فإن المكتبات الموجودة في المساجد والزوايا والمدارس كانت تقوم بدور اجتماعي أهم لأنها كانت تساعد على نشر المعارف لدى جمهور واسع؛ وكان في القصبة بعاصمة تونس في عهد الدولة الحفصية مكتبة ضخمة فيها كثير من الكتب والمؤلفات ويقال إنها كانت تحوي ستة وثلاثين ألف مجلد، وظل الشيوخ والطلاب ينتفعون بكتبها طوال أيام الدولة الحفصية، وكان بها كتب نفيسة كثيرة.(1)

ولقد أسس الأمير أبو زكرياء ابن أبي إسحاق مدرسة المعرض كما سبق ذكره، زودها بكتب نفيسة من كل فن من فنون العلم، وكذلك المكتبات التي أسسها وتعهدها السلاطين، سواء في القصر أو في جامع الزيتونة بالعاصمة، وهي التي كانت مزودة أكثر بالكتب، وفي قصبة تونس جمع أبو زكرياء الأول أكثر من ثلاثين ألف سفر؛ ومن بين هؤلاء السلاطين أيضا أبو عبد الله بن الحسن أسس بجامع الزيتونة مكتبة مهمة، والتي مازالت إلى اليوم تحمل اسمه وهي **المكتبة العبدلية**.

1. أسس الأمير أبو زكرياء ابن أبي إسحاق مدرسة المعرض، وقد زوّدها بكتب نفيسة من كل فن من فنون العلم.(2)

2. خزانة الكتب التي بناها الخليفة الحفصي أبو فارس المتوفى 838هـ وكانت بالمسجد الأعظم، وأوقفها على طلاب العلم بشرط ألا يخرج منها شيء عن محله، وجعل لها من يقومون على ترتيبها وتنظيمها، ومناولة الطلاب لما يحتاجون منها.(3)

3. خزانة الكتب التي بناها الخليفة الحفصي أبو عبد الله المستنصر المتوفى 839هـ التي بناها بالمقصورة الشرقية بمسجد الزيتونة، وأودعها أمات الدواوين، وجعل لها من يقوم عليها، وأوقف

(1). ينظر: تاريخ الأدب، مرجع سابق، ص: 173، 184.
(2). ينظر: تاريخ إفريقية، مرجع سابق، ج2، ص:384
(3). ينظر: المؤنس، مرجع سابق، ص: 175.

عليها أوقافاً.[1]

وبالرغم من نهب مدينة تونس من طرف جيش شارل الخامس، من مختلف أسباب التلف أو الضياع عبر السنين، فإن تلك المجموعات الكبرى من الكتب ذات الأصل الحفصي، التي أثرتها فيما بعد بعض الكتب الجديدة، مازالت قائمة إلى يومنا هذا.[2]

ونخلص إلى أن قيام إمبراطورية الحفصيين لإفريقية قد حقق تقدماً عظيماً فجعل تونس لا مقر الحكم فحسب بل المركز السياسي والثقافي للقطر بأسره، وشيّد الحاكمان الأولان لهذه الأسرة أبنية عدة (قصورا ومساجد وزوايا ومكتبات وقناطر معلقة)، واجتذبا إلى البلاد الشعراء والعلماء من جميع بقاع العالم الإسلامي لاسيما الأندلس، وكانت العلاقات الودية بينهما وبين المسيحيين حافزاً على التجارة بين أوربا وإفريقية،[3] وهو ما سيأتي الحديث عنه في المطلب الموالي.

هكذا كانت تونس في عصر ابن عرفة بلداً زاخراً بالثقافات وشتى أنواع العلوم والمعارف، ازدهرت فيه العلوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير وغيرها بصورة واضحة، فهي بلد العلم والمعرفة الذي انعكس على ابن عرفة، فنهل منها في شتى مجالات العلوم الشرعية وجالس علماءها وأخذ منهم مما أهلّه لأن يكون من أعلامها البارزين.

المطلب الرابع: الحالة الاقتصادية

يساعد معرفة الوضع الاقتصادي على دراسة العصر الذي نشأ فيه ابن عرفة، فالأوضاع الاقتصادية لها علاقة كبيرة بكل ما يحدث من أحداث سياسية واجتماعية، إذ أن كثيراً من هذه الأحداث تكون مدفوعة بالقرارات والتحركات الاقتصادية.

لقد حظيت الدولة الحفصية مدة استقلالها بعز وسلطان واتساع ملك ونفوذ لم يتسن لكثير من الدول، إلا أن الغالب عليها سوء الإدارة لتغلب الفكر البدوي على رجالها وتمدنها، ولذا كان دورها يمثل هيئة خالدة إلى التقليد، بعيدة عن الاختراع لبعد عهدها عن الصبغة العربية والحضارة الشرقية.

(1). المؤنس، مرجع سابق، ص: 178.
(2). ينظر: تاريخ افريقية، مرجع سابق، ج2، ص: 384. 386.
(3). ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سابق، ج7، ص: 474. 475.

وأثناء حكم المستنصر عظمت حضارة تونس وكَثُر ترف ساكنيها، وتأنق الناس في الملابس والمراكب والمباني والماعون والانية فاستجادوها وتناغوا في اتخاذها وافشائها إلى أن بلغت غايتها ثم رجعت من بعده أدراجها.[1]

وكانت تونس قد زهت في مدة تولي السلطة أبي بكر وذلك راجع لاهتمامه بإصلاح داخلية البلاد التي كادت تخرب لتوالي الفتن، فاعتنى بشأن الفلاحة والصناعة والعلوم بمقدار ما في الامكان، فعاد إلى البلاد شيء من رونقها في مدة قريبة، يروى أن عدد دكاكين العطارين بلغ في أيامه إلى سبعمائة دكان وهذا بفضل ما بذله من الاعتناء بترقية الصناعة والتجارة.[2]

وفي عهد هذا السلطان انتشر العدل والأمن فأقبلت الرعية مطمئنة على العمل، وبذلك نمت الثروة العمومية، وارتفعت مداخيل الدولة، وأبطل كثيرا من الضرائب والمجابي الفادحة التي كان يدفعها السكان ظلماً؛ زيادة على ذلك فإن لهذا الأمير أعمالا جليلة منها إنشاء جملة قلاع ومعاقل لحراسة الثغور كمحرس " راس أدَار" و" الحمّامات" و" رفراف"، ومنها إحداث سقايا ومرستان بالحاضرة للمرضى والضعفاء العجز.[3]

لقد كانت تونس مركز الدولة الحفصية مجهزة بمنشآت مستقلة من مساكن مختلفة وأجهزة دفاعية وجوامع خطبة، ولم تقتصر سلاطين بني حفص على المحافظة على هذا الطابع الموحدي، بل وسعوا من نطاقه.[4]

* **ففي مجال الزراعة:**

كان اقتصاد البلاد يكتسي صبغة ريفية بالغة وحضرية أيضاً، وكان يرتكز على الزراعة وتربية الماشية في مناطق شاسعة من البلاد، والتي كانت تنحصر بداية في تربية الإبل والغنم ثم تربية البقر والخيول بالإضافة إلى تربية النحل والدجاج والحمام من طرف السكان المستقرين.

---

(1). ينظر: خلاصة تاريخ تونس، مرجع سابق، ص: 105، 106، 110.

(2). ينظر: المرجع نفسه، ص: 115؛ الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، مرجع سابق، ص: 91.

(3). ينظر: تاريخ افريقية، مرجع سابق، ج2، ص: 457؛ خلاصة تاريخ تونس، مرجع سابق، ص: 120.

(4). ينظر: المرجع نفسه، ص: 115.

ومن الآثار التي أظهرها المستنصر بناءه للمصيد بناحية بنزرت ويصف كيفية الصيد فيه وموكب الصائدين، وأيضا إيوانه الذي يعتبر من أفخم الإيوانات.(1)

فقد كان الصيد يمثل مورداً مهماً من موارد الرزق، وكان الصيد البحري في السواحل يرمي إلى اصطياد الأسماك من بينها التنّ والإسفنج في عرض سواحل صفاقس، وكان صيد التنّ والمرجان مفوّضاً إلى النصارى الأجانب.

ومن الآثار التي تدل على عظم الدولة الحفصية الحنايا التي كانت توصل المياه إلى البساتين وتستفيد مدينة تونس من جزء من مياهها.(2)

وأما الزراعات التي لم تكن تسعى إلى الامتداد إلا أثناء فترات توفر الأمن القصيرة المدى فإنها تختلف بالضرورة من جهة إلى أخرى، ولو أن الشعير يمثل أكثر الحبوب استهلاكا كان موجوداً في كل مكان، كما انتشرت زراعة القوارص وغيرها من أنواع الثمار والخضر وقد استفادت البستنة من مهارة المهاجرين الأندلسيين، لاسيما في ضواحي العاصمة، وأخيراً نجد من بين المواد المعدنية كثيراً من الملح وقليلا من الرصاص والحديد وكميات كافية من الطين، وكذلك في بعض المناطق، الحجر الصالح للبناء والجبس والكلس.(3)

*** في مجال الصناعة:**

أما الصناعة بتونس فكانت تتزود أساساً من إنتاج البلاد ذاته، باستثناء المعادن النفيسة المستوردة في أغلب الأحيان من الخارج. وتتمثل تلك الصناعات أولاً في طحن الحبوب واستخراج الزيت، ثم تأتي صناعة الجلد، وهي مادة متوفرة بكثرة، والغزل والنسيج والخزف وصناعة الحصائر والحلفاء والدباغة وصناعة البلور والشمع والصابون والنقش على الجبس أو الخشب وصناعة البناء.(4)

(1) . ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص: 337.

(2) . ينظر: المرجع نفسه، ص: 337.

(3) . ينظر: تاريخ افريقية، مرجع سابق، ص: 457، 458.

(4) . ينظر: المرجع نفسه، ص: 458.

فقد عرف القطر التونسي مختلف الصناعات وخاصة اليدوية منها من قديم كالنجارة والحدادة وعصر الزيتون واستخراج المعادن، وكان بها معادن كثيرة مثل الرصاص والحديد والزنك والزئبق والفضة والذهب أتاحت للقطر موارد مالية غير قليلة. ومن أهم الصناعات صناعة الخزف مطليا وغير مطلى وما يتصل بها من الآنية والأباريق والمواعين.

وكانت صناعات المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية والكتانية منتشرة في تونس وغيرها من بلاد القطر التونسي، ومن الصناعات التي كانت مزدهرة بتونس أيضاً الوراقة أو صناعة الورق والكتابة فيه؛ وأخذ الشعب التونسي يحسن صناعة الورق من الكتان ويسمى الكاغد.

وهذا الإنتاج الصناعي الوافر وما سبقه من الإنتاج الزراعي الكثير هيأ تونس لأن تصبح سوقا عالمية كبرى، فكانت ترسل بمنتوجاتها شمالا إلى شعوب البحر المتوسط الأوروبية وشرقا إلى مصر والشام وتركيا وغرباً إلى الجزائر ومراكش وإسبانيا وكانت قوافلها تتغلغل في فلوات الصحراء الكبرى إلى السودان محملة بالسلع التونسية من الزيتون وزيته ومن المنسوجات القطنية والكتانية والحريرية ومن السروج وأقفال الحديد والمفاتيح والإسفنج الذي يصاد على الساحل والملح المطحون الذي يحمل من ملاحات تونس الكثيرة، وتعود محملة بالجلود وريش النعام والعاج أو ناب الفيل والرقيق الأسود.[1]

*** أما في التجارة الخارجية:**

كانت أهم موارد الدولة تتمثل في أملاك السلطان الخاصة والضرائب الموظفة على الأراضي الفلاحية التي فرضها الموحدون، ومختلف المكوس الموظفة على الصنائع ونقل البضائع وبيعها وما تؤديه القبائل من ضرائب فرضت عليها.

وإلى جانب هذا النظام الجبائي التقليدي المعهود شجع الحفصيون نشاط القرصنة والتجارة البحرية التي كان يقوم بها في المرافئ الحفصية تجار من المسيحيين واستخلصوا من النشاطين أرباحا هائلة.

(1) . ينظر: تاريخ الأدب، مرجع سابق، ص: 147 . 150.

ومكنت هذه الموارد الخارجية السلطان الحفصي في تونس من أن يكون أقل تبعية لما تدفعه الرعية. فقد تواصل ازدهار مدينة تونس، إذ شيد الحفصيون أسواقها، واشتد التباين بين تقدم الصناعات ونشاط التجارة وازدهار الثقافة فيها من ناحية وتدهور أمر الأرياف من ناحية أخرى.[(1)]

وكانت العملة المتداولة آنذاك عملة خاصة بهم وذلك لتسهيل مبادلاتهم ومعاملاتهم التجارية فتم صك الدرهم التونسي الذي كان يضرب في دار السكة التونسية وقد جرى التعامل به في كافة بلدان افريقية خلال القرن 7هـ . 13م؛ ويذكر الونشريسي أن الدرهم الحفصي الجديد يساوي ثلاثة من الدراهم الصغيرة المعروفة بالدراهم الجدودية، ومن المعروف أن الحفصيين قاموا بسك أجزاء الدينار والدرهم حيث كان يلاحظ وجود أجزاء أو كسور للدرهم، فكان هناك القيراط (أي نصف الدرهم)، وربع الدرهم لتسهيل التعامل بين الناس.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه انتشرت ظاهرة غش العملة وهو أمر شاع في بلاد المغرب في بعض فترات من العصر الإسلامي، فيذكر أن الدراهم المغشوشة انتشرت بالقيروان والمهدية، مما أدى بالناس إلى منع الرد فيها لكثرة الغش، فكلم في ذلك الفقيه ابن عرفة السلطان حتى يقطعها وذلك سنة 770هـ.[(2)]

ممّا سبق نخلص إلى أن نشأة الإمام ابن عرفة كانت في بقعة العلم والدين آنذاك، ممّا أثر فيه إيجاباً حيث غرست فيه حب العلم والمعرفة، وبعثت فيه الرغبة القوية في التحصيل والتفوق، فكانت هذه من أهم أسباب نبوغه وتفوقه وتبوّئه مكانة عالية حتى عرفه القاصي والداني، وأثنى عليه كل من عرفه أو اطلع على مؤلفاته وهو ما سيتم توضيحه بالمبحث الآتي.

(1) . ينظر: تاريخ تونس، مرجع سابق، ص: 59.

(2). ينظر: جوانب من حضارة المغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص: 78، 80.

المبحث الثاني: سيرته الشخصية

يشتمل هذا المبحث على اسم المؤلف ونسبه ثم مسيرته العلمية خلال حياته، وما تقلده من المناصب العلمية، وما قدمه لهذه الأمة من العلم.

ويشتمل هذا المبحث على المطالب الآتية:

المطلب الأول: اسمه ونسبه.

المطلب الثاني: مولده ونشأته.

المطلب الثالث: صفاته وأخلاقه.

المطلب الرابع: أعماله.

المطلب الخامس: وفاته.

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته

هو أبو عبد الله محمد بن محمد[1] بن عرفة[2] الورغمّي التونسي المالكي الإمام العلامة المقرئ الفروعي الأصولي البياني المنطقي شيخ الشيوخ، وبقية أهل الرسوخ، إمام جامع الزيتونة وخطيبها وعمدة أهل التحقيق والرسوخ أستاذ الأساتذة، وقدوة الأئمة الجهابذة علامة الدنيا الحائز قصبات السبق في العلوم بلا ثنيا، الحافظ النظار المتحلي بالوقار مع الجلالة ومزيد من الاعتبار.[3]

يكنَّى الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ بأبي عبد الله كما ذكر كل من ترجم له،[4] ولم يذكر أحد ترجم لابن عرفة، أن له ولدا يسمى بعبد الله كما لم يذكر أن له أولادا آخرين، فلعله كان له ولد سمى بذلك، ولكن المترجمين أهملوا ذكر ذلك بسبب اهتمامهم بالكلام عن شخصية الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ وهذا أمر يلحظه من تتبع الكتب التي تذكر المشاهير والأعلام، في الغالب يجدهم يهملون ذكر الأولاد إلا ما كان من ولد له تأثير في حياة أبيه، أو حمل مسؤوليته من بعده.[5]

---

(1). وفي كتاب غاية النهاية في طبقات القراء أضاف صاحبه كلمة حماد الى سلسلة نسبه: محمد بن محمد بن عرفة بن حماد. غاية النهاية في طبقات القراء شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، مكتبة ابن تيمية، ج.برجستراسر،1351هـ،ج2، ص: 243.

(2). يراجع في ترجمته: إنباء الغمر بأبناء العمر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر،1389هـ ـ 1969م، ج2، ص:192، برنامج المجاري، مرجع سابق، ص: 138؛ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان،ج1، ص: 229؛ طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ج2، ص: 236؛ لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، محمد أبو الفضل تقي الدين بن فهد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1: 1419هـ ـ 1998م، ص:127؛ نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا بن أحمد التنبكتي، دار الكاتب، طرابلس ـ ليبيا، ط2: 2000م، ص: 463؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ـ سوريا، ط1: 1406هـ ـ 1986م، ج9، ص: 61؛ تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ج3، ص: 363؛ معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد كحالة، مكتبة المتنبي، بيروت ـ لبنان، ج11، ص: 285... وغيرها من كتب التراجم التي ترجمت له.

(3). ينظر: الديباج المذهب، مرجع سابق، ص:419 وشجرة النور، مرجع سابق، ج1، ص: 326.

(4). أهم ترجمة وأقدمها جاءت في "الديباج المذهب "لابن فرحون المتوفى سنة (795هـ) والمعاصر لابن عرفة أخذها عنه عندما لقيه في المدينة المنورة حاجاً سنة (792هـ) وأنزله داره، تضمنت هده الترجمة المعلومات الأساسية عن حياته، وكانت المصدر لكثير من الترجمات التي جاءت بعدها، ينظر الديباج المذهب، مرجع سابق، ص:419.

(5). المختصر الشامل في علم الكلام، أبو عبد الله محمد التونسي، تحقيق: مسعد عبد السلام عبد الخالق، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة ـ مصر، 1437هـ ـ 2016م، ج1، ص:35، 36.

* **نسبته:** لأبي عبد الله بن عرفة نسب ثلاث اشتهر بها:

الورغمي: بِفَتْح ثمَّ سُكُون بعْدهَا مُعْجمَة مَفْتُوحَة ثمَّ مِيم مَكْسُورَة ثَقيلَة نِسْبَة إلى قبيلة ورغمَّة البربرية، وهي من قبائل هوارة، نزحت من المغرب وقطنت جنوب شرق تونس في ولايتي مدنين وتطاوين الآن.(1)

وهو ما أكده تلميذه البسيلي قائلاً:" الوَرْغمّي بفتح الواو، وسكون الراء المهملة، وفتح الغين المعجمة نسبة إلى قبيلة ورغمه البربرية في أقصى الجنوب الشرقي التونسي بولاية مدنين".(2)

وجاء في كتاب درر العقود الفريدة في باب الترجمة للإمام ابن عرفة: " وأما وَرْغَمَّة المنسوب إليها الشيخ فقبيلة من قبائل أعرابيا".(3)

* **التونسي:** نسبة إلى مدينة تونس.

* **المالكي:** فنسبة إلى مذهب الإمام مالك الذي كان منتشرا آنذاك ببلاد المغرب العربي.(4)

ولا خلاف بين المصادر والمراجع التي رجعت إليها في صحة هذه النسب الثلاث.

المطلب الثاني : مولده ونشأته

تكاد تجمع الكتب التي ترجمت لابن عرفة على أن مولده كان بمدينة تونس في السابع والعشرين من رجب عام ست عشر وسبعمائة من الهجرة النبوية المباركة وأضاف صاحب الوفيات أن مولده سنة سبع عشرة وسبعمائة أو قبلها بسنة.(5)

---

(1). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت . لبنان، ج11، ص:233.

(2). التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، أحمد بن محمد البسيلي التونسي، تحقيق: عبد الله بن مطلق الطوالة، تونس، ط1، 1412هـ . 1992م، ج1، ص: 39.

(3). درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، ط1: 1423هـ . 2002م، ج3، ص: 225.

(4). ينظر: شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج2، ص:208، 211.

(5) . ينظر: الوفيات، أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4: 1403 هـ - 1983 م، ص: 380.

ولم تنقل كتب التراجم شيئاً عن موطن ولادته، ولا عن نشأته تفصيلاً، أو شيئاً عن تكوين أسرته، إلا ماورد عن والده[1]، فوالده[2] كان من العلماء الصالحين[3]؛ وتفيد بعض الأخبار التي ذكرها الإمام ابن عرفة في كتابه **المختصر الفقهي**:" أن أباه رأى رسول الله ﷺ في النوم في رؤية صالحة ذات تثبت منها، وقد نقل أن سبب تبحر ابن عرفة في العلوم أن أباه كان قد ملك شعرة من شعر النبي صلى الله عليه وسلم، فلما ولد له ابن عرفة حكها في ماء وأذابها فيه، ثم سقاها إيّاه، وكانت أول ما دخل جوفه، فتبحر في العلوم ببركة آثاره صلى الله عليه وسلم".[4]

حيث كان رجلا خيّرًا صالحاً متعبّداً، جاور بالمدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ولازمها وتوفي بها، وكان يدعو في آخر ليله لولده بعد تهجده، ويصلي على نبيه ويسلم عليه، ثم يقول: يا نبيّ الله محمد بن عرفة في حِماك، يقول ذلك في كل ليلة، حتى صحبه اللطف الجميل في حياته، وأول شيوخه كان والده الذي غرس فيه محبة العلم والعلماء، وربّاه على التقوى منذ نعومة أظافره، وكان يرجو له مستقبلاً باهراً، وهو الذي اختار له أهم مشايخه ليدرس عليهم كما سيأتي ذكره، كما كان شديد العناية به جسدياً وصحياً؛ يحفظه ويصونه من نوائب الدهر ومن الحاسدين، فقد كانوا يخبئونه في أيام صغره من رجل عيّان كان يسكن بجوارهم خوفاً عليه من الإصابة بالعين، لاسيما وأنّه كان في صغره حسن الشكل والصورة.[5]

ومن شيوخه في العلم والده وكان رَأسا فِي العبادة والزهد والورع ملازما للاشتغال بالعلم، رحل النَّاس إليه وأخذوا عنهُ وانتفعوا به، ولم يكن ببلاد الْمغرب من يجرِي مجراه فِي التَّحقيق ولا من اجْتمع لَهُ من الْعلوم ما اجْتمع له ولقد كانت الفتوى تأتيه من مَسَافَة شهر.[6]

---

(1) . ينظر: المختصر الفقهي، مرجع سابق، ص: 11.

(2) . كانت وفاته سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ودفن بالبقيع. الديباج المذهب، مرجع سابق،ج2، ص: 333.

(3). شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1، ص: 327.

(4). المختصر الفقهي، مرجع سابق، ص: 12.

(5). ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص: 12.

(6) . الضوء اللامع، مرجع سابق، ج9، ص: 240، 241.

ثم قدمه لجلة علماء زمانه فقد كان معروفا منذ صغره بالجد والاجتهاد والمطالعة والمذاكرة والملازمة للشُّيوخ الجِلَّة.(1)

ولم يكن في العبادة والصلاح أقل اجتهاداً من العلم والفقه، فكان ملازماً للصلاة والصيام والصدقة؛(2) وحجّ الشيخ أبو عبد الله في سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة فتلقاه العلماء وأرباب المناصب بالإكرام التام واجتمع بسلطان مصر الملك الظاهر فأكرمه، وأوصى أمير الركب بخدمته.(3)

فقد كانت مناقبه عديدة وفضائله كثيرة وهو ما سيأتي الحديث عنه في المطلب الموالي.

المطلب الثالث: صفاته وأخلاقه.

يقدم المؤرخون الذين ترجموا لابن عرفة صورة رائعة له؛ إنساناً عالماً، فقد اتصف بعدد من الصفات التي انفرد بها عن غيره من أبناء عصره، حيث عُرف الإمام ابن عرفة بالزهد والورع والتواضع والأمانة والأخلاق الكريمة.

وإليك تفصيل أخلاقه فيما يأتي:

*** زهده:**

عُرف رحمه الله بزهده في الحياة الدنيا، حيث ورد في كتب التراجم أنه:" تصدى لنشر الْعلم....والتظاهر بِالنعْمَةِ فِي مأكله و ملبسه و كثرة الصَّدقة وَالْإِحسان إِلَى الطّلبَة مع إخفائه لذلك".(4)

---

(1) . ينظر: الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية(شرح حدود ابن عرفة)، محمد بن قاسم الأنصاري، أبو عبد الله الرصاع، المكتبة العلمية، ط1: 1350هـ، ص:4 . 5.

(2). ينظر: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتونس، أبي عبد الله محمد بن محمد أبن أحمد الملقب بان مريم التلمساني، المطبعة الثعالبية . الجزائر، 1326هـ . 1908م، ص: 191؛ شرح حدود ابن عرفة، المرجع السابق، ص: 5.

(3). ينظر: الديباج المذهب، مرجع سابق، ج9، ص: 333.

(4) . البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ج2، ص:256.

و من زهده أيضاً أنه كان يقول: "لولا خوف الحاجة في الكبر ما بتُ وعندي عشر دنانير".[1]

*** ورعه:**

أما عن ورعه رحمه الله تعالى فقد وصفه أحد تلاميذه قائلاً: "وأما جدّه واجتهاده في طاعة ربِّه والسعي في ثوابه في صيامه وقيامه وصدقته فيقال: إنه بلغ درجة كثير من التابعين، ونال درجة الصالحين. وذكر الحكايات في ذلك يحتاج إلى تأليف، وتدوين تصنيف".[2]

ويقول عنه تلميذه واصفاً ورعه، وشدة خوفه من الله تعالى: "كان شديد الخوف من أمر الخاتمة، كثيراً ما يطلب له الدعاء بالموت على الإسلام ممن يعتقد فيه خيرا، أعطاني يوماً شيئاً مما يتصرف به الأولاد، وقال أعطه للولد الذي عندك، وكان ولداً سباعياً. أي ابن سبع سنين. وقل له يدعو لي بالموت على الإسلام رجاء قبول دعاء الصغير..".[3]

وأما بالنسبة لصلاحه فكان رحمه الله كثير العبادة والذكر شاغلاً وقته بما يعينه[4] مستجاب الدعاء يقول تلميذه الشيخ البسيلي: "ممَّا رأيت من بركته، أنِّي كنتُ أجلسُ قُبَالَتَهُ بمجلسِ تدريسِه، فرُبَّمَا تكلَّمَ مَعِي بمَا يقع في خاطِرِي".[5]

***جمال مظهره:**

قد ورد في كتب التراجم أن الامام ابن عرفة كان في صغره حسن الصورة، و كان والده شديد العناية به جسدياً وصحياً، يحفظه ويصونه من نوائب الدهر ومن الحاسدين[6]

---

(1). نيل الابتهاج، مرجع سابق، ص:466.

(2) . شرح حدود ابن عرفة، مرجع سابق، ص: 63.

(3). نيل الابتهاج، ص: 465؛ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مرجع سابق، ص: 192.

(4) . ينظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1: 1416هـ . 1995م، ج2، ص:294.

(5) . نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس البسيلي، تحقيق: محمد الطبراني، منشورات وزارة الأوقاف و الشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1: 1429هـ . 2008م، ج1، ص:80.

(6) . المختصر الفقهي، مرجع سابق، ص: 12.

*** قوة ذكائه وحفظه:**

وقد حباه الله شدة الذكاء، وسرعة في البديهة وقوة في الحفظ، ووصفه بعض من ترجم له :"أنه كان إماماً في العلوم العقليّة والنقليّة، صنّف في أكثرها والغالب على كلامه شدة الإيجاز حتى التحق بالألغاز".[1]

وهبه الله ملكة فريدة في الإلقاء جذبت إليه أنظار الناس من كل حدب وصوب، إذ كانوا يتوافدون إليه للاستماع منه والتعلم، وقد صاحب ذلك حسن منطق يجعل سامعه لا يمل حديثه المصحوب بالشواهد والبراهين العقلية حتى صار مشهوراً بين أقطار البلاد العربية، وهذا ما عبر عنه الشيخ شهاب الدين المقري في كتابه أزهار الرياض:" صناعة التعليم، وملكة التلقي، لم تبلغ فاسا، كما هي بمدينة تونس، اتصلت إليهم من الإمام المازري، كما تلقاه عن الشيخ اللخمي، وتلقاها اللخمي عن حذاق القرويين، وانتقلت ملكة هذا التعليم إلى الشيخ ابن عبد سلام، مفتي البلاد الإفريقية وأصقاعها، المشهود له برتب التبريز والامامة، واستقرت تلك الملكة في تلميذه ابن عرفة رحمه الله".[2]

كان جريئاً في قول الحق، لا يخشى في الله لومة لائم، ذا هيبة وقدر عند السلاطين يقول عنه تلميذه الشيخ ابن حجر العسقلاني : وكان معظماً عند السلطان فمن دونه مع الدين المتين والخير والصلاح"[3] ومنقبضاً عن مداخلة السلاطين لا يرى إلا في الجامع أو في حلقة التدريس لا يغشى سوقاً ولا مجتمعاً ولا مجلس حاكم إلا أن يستدعيه السلطان في الأمور الدينية.[4]

(1) . نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، محمود مقديش، تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، ط1: 1988 م، ص:593.

(2) . أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، شهاب الدين أبو العباس المقري، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة. مصر، 1358هـ. 1939م، ج3، ص: 24.

(3) . إنباء الغمر بأبناء العمر، مرجع سابق، ج2، ص: 192.

(4) . ينظر: الديباج المذهب، مرجع سابق، ج2، ص: 332.

***تواضعه ولين جانبه:**

اشتهر علامة تونس بتواضعه الكبير، فرغم أنه كان مُعظما عند السلطان وإليه المرجع في الفتوى في المغرب، إلا أن ذلك زاده تواضعاً وإحساناً ورحمة، كما كان سمحاً في التحاور مع الآخرين خاصة الذين يبدؤونه بالعداوة، فقد أساء الأدب بعض معاصريه، فذم مجلس درس ابن عرفة بشعر لا يليق كتبه فأجابه شعراً:

وَمَا حَالُ مَنْ يَهْجُمُ أَخَاهُ بِلَفَظَة كَذَا ذَاكِرِ الْمَرْوِي عِنْدَ الْأَئِمَة

وَعِلْمُ أُصُولِ الْفِقْهِ وَالبَحْثِ وَالنَّظَر سِوىَ حَالُ مَنْ قَدْ سَاءَهُ قَلْبُ نُكْتَة

فَباءَ بِفِسْقِ قَالَهُ سَيِّد أَتَى بِذِكْرٍ وَقُرْآن وَوَعْظٍ وَحِكْمَة

رَوَى مُسْلِمُ مَعَ شَيْخِهِ عِنْدَ قَوْلِه سِبَابُ لِذِي الإِسْلاَمِ فِسْقٌ بِحُجَة

بِصُغْرَى وَكُبْرَى يُنتجَان فُسُوقه فَبالله أَعْرِضْ عَنْهُ وَادْفَعْه بِالتِي[1]

وفيه يقول صاحب **طبقات المفسرين:**" جمع على اعتقاده ومحبته الخاصة والعامة ذا دين متين وعقل رصين وحسن إخاء وبشاشة وجه للطلاب صائم الدهر لا يفتر عن ذكر الله وتلاوة القرآن إلا في أوقات الاشتغال...كهفاً للواردين عليه من أقطار البلاد يبالغ في برهم والإحسان إليهم، وقضاء حوائجهم؛ وقد خوله الله تعالى في رياسة الدين والدنيا ما لم يجتمع لغيره في بلده له أوقاف جزيلة في وجوه البر وفكاك الأسارى ومناقبه عديدة وفضائله كثيرة"[2] رحمه الله رحمة واسعة.

المطلب الرابع: أعماله

أشار إليها الرصاع قائلاً:" وقدم للإمامة بالجامع الأعظم عام ستة وخمسين وسبعمائة وقدم لخطابته عام اثنين وسبعين وقدم للفتوى عام ثلاثة وسبعين".[3]

فالإمام ابن عرفة ـ رحمة الله ـ وظائف متعدّدة نذكرها فيما يلي:

(1) ـ المختصر الفقهي، مرجع سابق، ص: 38.

(2) ـ طبقات المفسرين، مرجع سابق، ج2، ص:237.

(3)ـ شرح حدود ابن عرفة، مرجع سابق، ص: 6.

1. التدريس:

اشتغل ابن عرفة بالتدريس في وقت مبكر جداً، لتمكنه من عدة علوم فقد كان يدرس الأصلين والمنطق والفرائض والحساب والقراءات، ونظرا لغزارة علمه وقوة فهمه ألقى الله محبته في القلوب، وكان تلاميذه الآخذون عنه يقفون عند حده معظمين لقدره مسلّمين لفهمه، وكتبه مانعة شافية،[1]كان يكره التدريس الخالي عن الفوائد والفرائد،[2] ولذا كان يقول:"...إن لم يكن في مجلس الدرس التقاط زيادة من الشيخ فلا فائدة في حضور مجلسه بل الأولى لمن حصلت له معرفة الاصطلاح والقدرة على فهم ما في الكتب أن ينقطع لنفسه ويلازم النظر"، ونظم ذلك في أبيات شعرية فقال:

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَجْلِسِ الدَّرْسِ نُكْتَةٌ وَتَقْرِيرُ إِيضَاحٍ لِمُشْكِلِ سُورَةٍ
وَعَزْوُ غَرِيبِ النَّقْلِ أَو فَتْحُ مُقفل وَإِشْكَالٍ أَبْدَتْهُ نَتِيجَة فِكرَةٍ
فَدَعْ سَعْيَهُ وَأَنْظُرْ لِنَفْسِكَ واجْتَهِدْ وإِيَّاكَ تَرْكاً فَهُوَ أَقْبَحُ خِلَّةٍ[3]

وقال تلميذه الأبيّ (ت 828هـ): فلقد كتبت.... نحو الورقتين كل يوم مما ليس في الكتب".[4]

2. الإمامة:

قدِّمَ الإمام ابن عرفة لِلْإِمَامَةِ بِالْجَامِعِ الْأَعْظَمِ (جامع الزيتونة) عَامَ ستة وخمسين وسبعمائَةٍ (756هـ)، ومن غريب كراماته أنه من توليه الإمامة إلى موته، لم يقع له تعذر عن الإمامة في صلاة من الصلوات إلا في أيام مرضه؛ وغاب عن بعض الصلوات بسبب خروجه لمصلحة

(1). ينظر: البستان، مرجع سابق، ص: 191.
(2) . ينظر: المختصر الشامل في علم الكلام، مرجع سابق، ص: 46.
(3). البستان، مرجع سابق، ص: 192؛ الحلل السندسية، مرجع سابق، ج1، ص: 561؛ نيل الابتهاج، مرجع سابق، ص: 469، 470.
(4). البستان، مرجع سابق، ص: 193.

المسلمين، وغيبته في زمن حجه، وفي مرضه تُوُفِّيَ فِيهِ،[1] وبلغت مدة إمامته بجامع الزيتونة خمسين سنة.[2]

3. الخطابة:

تولى الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ خطَابَة مسجد الزيتونة عَامَ اثنتين وسبعين وسبعِمائةٍ (772هـ) وظل خطيباً له حتى وفاته.[3]

ولما تولى الإمامة والخطابة بجامع الزيتونة لم يرض به أهل مدينة تونس لأنه ليس ابن بلدتهم فاشترطوا عليه شروطا فقبلها منها ألا يمشي على الأرض حافيا فقال «لا اتركها ولا في المسجد» وأول مرة رقي المنبر قال أيها الناس:

يَرْفَعُ الْدَّهْرُ أُنَاسًا ...... بَعْدَ أَنْ كَانُوا سَفَالَه

مَنْ لَهُ فِي الْغَيْبِ شَيْء ... لَمْ يَمُت حَتَّى يَنَالَه[4]

4. الإفتاء:

كان ابن عرفة إماما في العلوم صنّف في كثير من مهماتها، والغالب على كلامه الاختصار، وكان آخر عمره معتنياً بالفقه، خصوصا من حين ولايته للإفتاء، عَام ثَلَاثَةٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ (773هـ).[5]

أما **القضاء** فمنْ سعادتِهِ أنه لم يبتل بفتنة القضاء مع قدرته على تحصيله، حفظاً له من ربه لدوام النفع فِي عِلْمِهِ.[6] فرغب عن منصب القضاء على الرغم من كفاءته وقدرته على ممارسته،

---

(1). ينظر: شرح حدود ابن عرفة، مرجع سابق، ص:6؛ البستان، مرجع سابق، ص:191.

(2). الوفيات، مرجع سابق، ص:380.

(3). شرح حدود ابن عرفة، مرجع سابق، ص:6؛ البستان، مرجع سابق، ص: 191.

(4). تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، ج1، 366ـ 367.

(5). الحلل السندسية، ج1، ص: 571؛ البستان، مرجع سابق، ص: 197؛ الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط15: ماي 2002م، ج7، ص:42، 43 .

(6). شرح حدود ابن عرفة، المرجع نفسه، ص: 6.

قال صاحب الديباج: "ولم يرض لنفسه الدخول في الولايات بل اقتصر على الإمامة والخطابة بجامع الزيتونة وانقطع للاشتغال بالعلم".[1]

المطلب الخامس: وفاته

بعد حياة حافلة بالجدّ والاجتهاد والفتوى والتدريس والتأليف في مختلف العلوم، توفي الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ بمدينة تونس، عام ثلاثة وثمانمائة (803هـ/1400م)، أما شهر وفاته فقد حدده بعض تلاميذه، أنه توفي في شهر جمادى الآخرة وله سبع وثمانون سنة.[2] والبعض الآخر يرى بأنه توفي ليلة الخميس الرابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانمائة.[3]

إلا أن أكثر المصادر والمراجع تشير إلى أن وفاته كانت في الرابع والعشرين من جمادى الثانية سنة 803هـ.

وقد أثنى عليه تلميذه الأبي (ت 828هـ) كان شديد الخوف من أمر الخاتمة كثيراً ما يطلب الدعاء له بالموت على الإسلام ممن يعتقد فيه خيرًا، بل ويطلب ذلك من الأولاد الصغار أحياناً، وحجته في ذلك ربما كان دعاء الصغير مقبولا، لأنه لم يقترف ذنباً.[4]

وكان عمر ابن عرفة سبعة وثمانين سنة وأشهراً[5] وقد نظم أبياتا في ذلك:

بَلَغْتُ الثَمَانِينَ بَلْ جُزْتهَا فَهَانَ عَلَى النَّفْسِ صَعْب الحَمَام
وَآحَاد عَصْرِي مَضَوا جُمْلَة وَعَادُوا خَيَالاً كَطَيْفِ المنَام
وَأَرْجُو نَيْل صَدر الْحَدِيث بِحُبِ اللِقَاءِ وَكُرْه المقَام
وَكَانَتْ حَيَاتِي بِلُطْفِ جَمِيل لِسَبْقِ دُعَاء أَبِي فِي المقَام[6]

(1). الديباج المذهب، مرجع سابق، ج2، ص: 332.
(2). إنباء الغمر بأبناء العمر، مرجع سابق، ج2، ص: 192.
(3). غاية النهاية في طبقات القراء، مرجع سابق، ج2؛ ص: 243؛ بغية الوعاة، مرجع سابق، ج1، ص: 230؛ تفسير ابن عرفة، أبي عبد الله محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، ج1، ص: 7.
(4) . ينظر: البستان، مرجع سابق، ص: 192.
(5) . الحلل السندسية، مرجع سابق، ج1، ص: 567.
(6). البستان، مرجع سابق، ص: 197.

المبحث الثالث: سيرته العلمية

سنتعرض في هذا المبحث إلى التعرف على بعض شيوخ الإمام ابن عرفة، الذين أخذ عنهم هذا العلم، وكذلك نتعرف على بعض تلاميذه الذين حملوا هذه الأمانة من بعده، والكنز الذي تركه وراءه من المصنفات. و يشتمل هذا المبحث على خمسة مطالب وهي:

المطلب الأول: طلبه للعلم.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.

المطلب الثالث: مؤلفاته.

المطلب الرابع: مذهبه الفقهي والعقدي.

المطلب الخامس: مكانته وثناء العلماء فيه.

المطلب الأول: طلبه للعلم

تقدّم أن الإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ تلقى أول تعليمه على يد والده والذي كان من العلماء الصالحين، فقد ابتدأ قراءة القرآن وتجويده بقراءة الأئمة الثمانية.

ثمّ شرع بعد ذلك في طلب العلم، فدرس على كبار علماء عصره بتونس مختلف العلوم كعلم أصول الفقه، وأصول الدين، والحديث، والعقائد، والنحو، والجدل والمنطق، والحساب وغيرها من العلوم الدينية والدنيوية.

أَخذ الْعلم عن جماعة من الْعلماء الجلّة مِنْهُم وَالِده، وسمع من شيوخه الصحيحين والموطأ وأخذ عنهم الفقه والأصول، وكان لا يُرى إلا في الجامع أو في حلقة التدريس لا يغشى سوقا، ولا مجتمعا، ولا مجلس حاكم، انقطع للاشتغال بالعلم، والتصدر لتجويد القراءات.

ولم يقتصر ابن عرفة ـ رحمه الله ـ على تلقِّي العلم على أستاذ واحد، بل كان يطلب العلم الواحد أو العلمين أو الثلاثة من عدّة علماء في وقت واحد، فعلى سبيل المثال، درس الفقه والأصول من كلّ من الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد السَّلام، وأبي عبد الله محمد بن هارون، ومحمد بن حسن الزبيدي، وأبي عبد الله الآبلي ونظرائهم،(1) ودرس أصول الدين على كل من ابن سلامة وابن عبد السَّلام.(2)

ولم يكتف بطلب العلم بمسقط رأسه تونس بل رحل إلى عدة بلدان لطلب العلم فأخذ عن المصريين، والجزائر. بتلمسان ـ أخذ عن العلاّمة محمد بن أحمد بن قاسم العقباني ومحمد بن الجلاب، وبطرابلس عن حلولو المغراوي وإبراهيم الباجي وغيرهم كثير.(3)

نظرته للعلم والعلماء:

إن للعلم فضلا كبيرا في إعلاء درجات الإنسان في الدنيا والآخرة، وقد جعل الله سبحانه وتعالى طريق العلم النافع يقود إلى الجنة وهذا نظراً لفضله وشرفه وفضل أهله سواء كان

(1). ينظر: الديباج المذهب، مرجع سابق، ج2، ص:332.
(2). ينظر: الحلل السندسية، مرجع سابق، ج1، ص: 571.
(3). ينظر: المرجع نفسه، الجزء نفسه، ص: 572.

عالما أو متعلماً، ولم يغفل الإمام ابن عرفة عن هذا بل سعى إلى توجيه طلاب العلم إلى الترقي وقد كان الإمام ابن عرفة كثيراً ما ينبه الطلبة على عظم شأن هذا العلم، ومن ذلك ما رواه تلميذه الشيخ الأبيّ فقال: "واتفق أن شيخنا مرض مرضاً أشرف منه على الموت، ثم نَقِهَ، فدخلت أنا وبعض الطلبة عليه، فأخذ يحضّنا على الجد في الطلب ويقول: العلم ينفع في الدنيا والآخرة. ثم قال: غشي عليّ في مرضي هذا فمُثِّلت لي طائفتان، إحداهما عن يميني وهي الصغرى، والأخرى عن شمالي وهي الكبرى، والتي عن يميني ترجح الإيمان بالله عز وجل، والتي عن شمالي ترجح الكفر بالله وتورد شبها فيوقفني الله عز وجل للجواب عن تلك الشبهة بما أعرف من قواعد العقائد، فلما سُرِّيَ عني علمت أن توفيقي لذلك إنما هو من بركة العلم، وعلمت أن الله عز وجل ينفع به في الدنيا والآخرة.[1]

ومن أوجه حثه على هذا العلم جوابه الذي أورده عندما نقل له أن الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام سئل على من ابتلي بخواطر ووساوس تشكّكه في دينه، وقد حكاه تلميذه البرزلي قائلاً: " سمعت شيخنا الفقيه أبا عبد الله عرفة رحمه الله في مجلس تدريسه يقول: إن هذه الوساوس لا تَرِدُ إلا على المقلّدة، وأما من عرف التوحيد بالدليل فلا تَرِدُ عليه بوجه؛ لأنه حصل معه من العلم ما يستحيل دخول التشكيك عليه، بخلاف التقليد الجازم من غير دليل لأنه يقبل أن يشككه في ذلك مشكك".[2]

المطلب الثاني: شيوخه و تلاميذه

شهدت حياة الإمام ابن عرفة نشاطا وحركة علمية وثقافية واسعة، نظرا لكثرة شيوخه وتعدد تلاميذه، وعليه سنقصر الترجمة على بعضهم.

أولاً . شيوخه: لقد أخذ ابن عرفة عن عدد كبير من العلماء والمشايخ ومن أشهر الذين درس عليهم بعد والده العلماء الفضلاء الآتية أسماؤهم:

(1). ينظر: إكمال إكمال المعلم، أبي عبد الله محمد بن خلفة الوشتاني الأبي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ص: 62.

(2). فتاوى البرزلي، أبي القاسم بن أحمد البلوي ، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، ط1: 2002م، ج1، ص: 186.

1. ابْنِ الْقَدَّاحِ :

هو أبو حفص عمر بن علي بن قداح الهواري التونسي الفقيه الحافظ المفتي، له رسائل قيدت عنه مشهورة، أخذ عنه ابن عرفة الفقه تولى قضاء الجماعة وتوفي على ذلك سنة (734 هـ . 1333م)، وتولى قضاء الجماعة بعده ابن عبد السلام.(1)

2. الْقَاضِي ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ:

هو أبو عبد الله محمَّد بن عبد السلام الهواري التونسي قاضي الجماعة بها وعلامتها الشيخ الفقيه الحافظ المتبحر في العلوم العقلية والنقلية وإمام الفقهاء والنحاة المحقق المؤلف المدقق، له شرح على مختصر ابن الحاجب، وهذا الشرح بالنسبة للشروح التي عليه كالعين من الحاجب، تولى التدريس والفتوى وكانت ولايته القضاء سنة 734 هـ .

أخذ عنه الإمام ابن عرفة الفقه والأصول والحديث وسمع عليه موطأ مالك حيث يقول عنه صاحب كتاب المجاري: "سمع على شيخه الفقيه القاضي الْخَطِيب المفتي المدرس أبي عبد الله محمَّد ابن عبد السَّلام الهواري رحمه الله إلقاءه تفسير القرآن الْعزيز من أَوله إِلَى آخره بِمَا يجب لذلك من تحقيق أحكام الاعتقاد والفقه وقواعد العربيَّة وعلم البيان وأصول الفقه وَغير ذلك".(2)

وقال "**الرّصّاع**"(3): " وأخذ عن شيوخ جليلة عظيمة كريمة منهم الشيخ الْإِمَامُ عَلَمُ الأعلام القاضي ابنُ عَبْدِ السَّلَامِ وكان يقرأ عليه الْعشر فِي كتابِ اللّه تعالى والحديث مِن سنَّةِ رسول اللّهِﷺ ولازمه كثيرا وأخذ عنه علما غزيرا "،(4)ولازمه إلى أن توفي الشيخ بالطاعون سنة (749 هـ . 1348م).(5)

---

(1). ينظر: شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1 ،ص:**297**؛ الديباج المذهب، مرجع سابق، ج2، ص: 82.

(2) . برنامج المجاري، مرجع سابق، ص: 139.

(3) . الرّصّاع: هو مُحَمَّد بن قَاسم أَبُو عبد الله الْأَنْصَارِيّ التلمساني ثمَّ التّونسِيّ المغربي الْمَالِكِي وَيعرف بِابْن الرَّصَّاع . بمهملتين مع التشديد . صنعة لآحد آبائه، ولد سنة 819هـ درس على عدة مشايخ منهم أبو العباس أحمد البسيلي تلميذ الإمام ابن عرفة ، تولى عدة مناصب وولي القضاء، من مؤلفاته: شرح حدود ابن عرفة، الفهرست،...توفي سنة 894هـ. ينظر: الضوء اللامع، مرجع سابق، ج8، ص: 287.

(4). شرح حدود ابن عرفة، مرجع سابق، ص: 5.

(5) . ينظر: شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1، ص: 301؛ نيل الابتهاج، مرجع سابق، ص: 406.

3. أبو عبد الله الأبلي:

هو أبو عبد الله محمَّد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني عرف بالأبلي[1] الإمام العلامة العمدة المحصل الفقيه المحقق الشيخ الفاضل، ولد سنة681 هـ رحل للمشرق ولقي أعلاماً كثيرة فأخذ عنهم، وعنه أخذ جلة منهم ابن خلدون وانتفع به ابن عرفة وغيره وهو من الجماعة الذين اصطفاهم السلطان أبو الحسن المريني في السفر معه لتونس.[2]

ويعد من أهم الشخصيات التي أخذ عنها ابن عرفة، إذ تنبئ الأخبار الواردة في شأنه عن شخصية متمكنة راسخة في العلم، إضافة إلى حسّ نقد عال لأحوال الأمة الأخلاقية والعلمية، إلا أن التواريخ لم تذكر له من التآليف شيئا، ولعل ذلك راجع أساسا لرؤيته الدونية للتأليف، وتثمينه في مقابل ذلك للتّلقي والسّماع والرِّحلة بدعوى الحفاظ على اتصال سند العلم والجد في طلبه[3] فكان يقول: "إنَّما أَفسد العلم كثرة التَّآليف وأذهبه بنيان المدارس".[4]

وتوفي بفاس المغرب سنة (757هـ. 1356 م).[5]

4. ابْنِ الْحُبَابِ: هو أبو عبد الله محمَّد بن يحيى بن عمر المعافري، المعروف بابن الحباب ،الإمام البارع، المحقق المتفنن، الأصولي الجدلي المؤلف. أخذ عن ابن زيتون وغيره وابن عرفة وكان يثني عليه بالعلم وتحقيقه ونقل عنه في مختصره، من تآليفه: اختصار المعالم.... أخذ عنه ابن عرفة[6] الجدل والمنطق وَالنَّحو.

(1). الآبلي – بمد وموحدة مكسورة – نسبة إلى آبلة (Avila) من بلاد الجوف الأندلسي أي إلى الشمال الغربي من مدريد. ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت – لبنان، ط1، ج5، ص: 244

(2) . شجرة النور الزكية، مرجع سابق،ج1، ص: 319.

(3). ينظر: جمع، تقييد ونكت على تفسير ابن عرفة للإمام أبي العباس محمد بن أحمد البسيلي . دراسة وتحقيق لتفسير السور(ص)، (الزمر)، (غافر)، صليحة عثماني، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية قسم العقائد ومقارنة الأديان، جامعة الجزائر1،2011م، ص:50.

(4). الحلل السندسية، مرجع سابق، ج1، ص: 603.

(5). شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1، ص: 319.

(6). قرأ عليه جملة من كتاب سيبويه قراءة بحث وتحقيق، وقرأ عليه أكثر كتاب الإرشاد للعميدي، وسمع عليه جملة من كتاب الجمل للخونجي وأجازه جميع ما رواه وكتب له بخطه، برنامج المجاري، مرجع سابق، ص: 144.

توفي سنة (749. 1348م).[1]

5 . ابن هَارُونَ:

هو أبو عبد الله محمَّد بن هارون الكناني التونسي، ولد سنة680 هـ، الإمام في الفقه وأصوله وعلم الكلام وأصوله، العلامة المؤلف، وصفه ابن عرفة[2] ببلوغ درجة الاجتهاد المذهبي أخذ عن جلة منهم المعمر أبو عبد الله بن هارون الأندلسي، له تآليف مهمة منها: شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي ومختصره الفرعي وشرح المعالم الفقهية وغيرها.[3]

أخذ عنه ابن عرفة شيئا من الفقه وأصوله وشيئا من أصول الدين[4]كونه من مُدَرِّسي جامع الزيتونة توفي سنة (750 هـ .1349م).[5]

6 . أبو عبد اللَّه محمَّد بنِ سلَامة:

هو أبو عبد الله محمَّد بن سلامة[6] التونسي الأنصاري الشيخ الفقيه، العالم الزاهد، الصالح الصالح العابد، أخذ عن جماعة، وعنه الإمام المقري وابن عرفة. كان خليفة في الإمامة بجامع الزيتونة، توفي سنة (746 هـ .1345م) .[7]

وقد كان شيخ ابن عرفة في القراءات[8]عرضها عليه حتى أتقنها، كما أنه أخذ عنه شيئا

---

(1) . شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1، ص: 300؛ شرح حدود ابن عرفة، مرجع سابق، ص: 5.

(2). قرأ عليه جملة من كتاب التهذيب وسمع أكثره كذلك، وسمع عليه كثيراً من كتاب ابن الحاجب الفرعي، وأكثر كتاب الحاصل وبعض المحصَّل كذلك، برنامج المجاري، مرجع سابق، ص: 145.

(3). شرح حدود ابن عرفة، مرجع سابق، ص: 5.

(4) . قَرَأَ عَلَيْهِ ابن عرفة جملَة من كتاب التَّهْذِيب في اختصار المدونة للبرذاعي وَسمع أَكْثَره، وَسمع عليه كثيرا من كتاب ابْن الْحَاجِب الفرعي، وأكثر كتاب الْحَاصِل للأرموي في أصول الفقه، وَبَعض المحصّل في أصول الدين للفخر الرازي، ينظر : برنامج المجاري، مرجع سابق، ص: 145.

(5). الأعلام، مرجع سابق، ج7، ص: 128؛ معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج12، ص: 85.

(6). بعض كتب التراجم ذكرت سلمة بدل سلامة .

(7). ينظر: نيل الابتهاج، مرجع سابق، ص: 402 . 403؛ شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1، ص: 300.

(8). قَرَأَ عَلَيْهِ بِحرف نَافِع فِي أَربع ختمات ختمتين بِرِوَايَة ورش وختمة بِرِوَايَة قالون وختمة بِالْجمعِ بَينهمَا ثمَّ ختمة لِابْن كثير بِالْجمعِ بين روايتيه ثمَّ ختمتين لأبي عمرو وختمة للسوسي وختمة بالجمع بينه وَبَين الدوري ثمَّ ختمة كاملة جمعا بالقراءات السَّبع ثمَّ ختمة بقِراءة يعقوب. برنامج المجاري، مرجع سابق، ص:141.

من أصول الدين و الفقه و أصوله.[1]

7 . الوادي آشي[2]:

هو محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حسان القيسي الواد آشي الأصل، ولد سنة673هـ، التونسي الاستيطان، يكنى أبا عبد الله، ويلقب شمس الدين، ويعرف بابن جابر. ولد ونشأ بتونس وجال في البلاد المشرقية والمغربية، واستكثر من الرواية، ونقب عن المشايخ، وقيد الكثير حتى أصبح جماعة المغرب وراوية الوقت. ثم قدم الأندلس وكان محدثاً مقرئاً مجوداً، له معرفة بالنحو واللغة والحديث ورجاله؛ وأقرأ وحدّث بالحرم النبوي سنة 746هـ، وأفاد واستفاد من أعلام يطول ذكرهم، له تآليف حديثية منها: أربعون حديثا وله أسانيد كتب المالكية يرويها عن مؤلفيها.[3]سمع ابن عرفة عليه صحيح البخاري ومسلم وبعض رسالة القشيري، وأجازه إجازة عامة في جميع ما يحمله ويرويه.[4]

وتوفي بالطاعون سنة (749هـ ـ 1348م).[5]وبعض رسالة القشيري، وأجازه إجازة عامة في جميع ما يحمله ويرويه،[6] وتوفي بالطاعون سنة (749هـ1348م).[7]

(1). وعرض عَلَيْهِ حرز الْأَمَانِي والعقيلة والجزولية والأسرار الْعَقْلِيَّة وَسمع عَلَيْهِ جملَة من الْموطإ تفقها وَقرأ عليه كتاب التَّيْسِير لِلْحَافِظِ أبي عَمْرو وَالْكَافِي لأبي عبد الله بن شُرَيْح ومفردتي يَعْقُوب الدانية الشريحية وَقَرَأَ عَلَيْهِ مفردته بِالْجمعِ بَينهمَا من تأليفه وتهذيبه وَقَرَأَ عَلَيْهِ جملَة من تَفْرِيع ابْن الْجلاب وَجُمْلَة من كتاب الْإِرْشَاد لأبي الْمَعَالِي وَجُمْلَة من المعالم الدِّينِيَّة لِابْنِ الْخَطِيب وَأَجَازَهُ لجَمِيع ذَلِك وَجَمِيع مروياته. المرجع نفسه، الصفحة نفسها وما بعدها.

(2). رسمت في غاية النهاية هكذا "الوادياشي" وفي الديباج "الوادي آشي".

(3). الديباج المذهب، مرجع سابق، ج2، ص: 299؛ شجرة النور، مرجع سابق، ج1، ص: 302؛ غاية النهاية، مرجع سابق، ج2، ص: 106.

(4). ينظر: برنامج المجاري، مرجع سابق، ص: 144.

(5). ينظر: شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1، ص: 302.

(6). ينظر: برنامج المجاري، مرجع سابق، ص: 144.

(7). ينظر: شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1، ص: 302.

8 . أبو عبد الله السَّطِّيّ:

هو أبو عبد الله محمَّد بن سليمان السَّطِّيِّ، الإمام الفقيه، حافظ المغرب، الْمُحَقق الفرضي المدقق، شيخ الفتوى وكان أحفظ الناس للمذهب وأفقههم فيه؛ له: تعليق على المدونة وشرح على الحوفية وغيرها. توفي غريقا[1] سنة (750هـ .1349 م).[2]

وتذكر كتب التراجم أن الإمام السَّطِّيّ هو شيخ الإمام ابن عرفة في علم الفرائض أخذها عنه حتى أتقنها دراسةً وعملاً.[3]

9. ابن علوان:

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن علوان التونسي، الشهير بالمصري، الفقيه العالم الزاهد الإمام، المؤلف المحقق العمدة، من تآليفه: شرح الجلاب المسمى بلباب اللباب، ومن مختصراته اقتطاف الأكف من الروض الأنف، واختصاره لكتاب أنوار القلوب من العلم الموهوب، واختصاره إلى أهل علم التصوف، إلى غير ذلك من تعاليقه نحو الأربعين تصنيفاً، توفي سنة(787هـ . 1385م)؛ قرأ عليه ابن عرفة أصول الفقه.[4]

10. محمد بن حسن الزبيدي: هو الأستاذ البركة محمد بن حسن بن عبد الله القرشي الزبيدي، العالم الصالح الزاهد والزبيدي نسبة لقرية بساحل المهدية، أبو عبد الله أحد الشيوخ

(1). اصطفاه أبو الحسن المريني مع جماعة من العلماء بصحبته حين سفره لتونس وأقام بها نحو العامين ثم لما رجع بحراً غرق في سواحل بجاية مع من غرق من الفضلاء بأسطول السلطان المذكور، شجرة النور، مرجع سابق، ج1، ص: 318.

(2) . ينظر: نيل الابتهاج، مرجع سابق، ص:408؛ برنامج المجاري، مرجع سابق، ص: 130؛ شجرة النور، مرجع سابق، ص: 318.

(3) . قرأ عليه جملَة من كتاب التَّهْذِيب قِرَاءَة بحث وَنظر وجمِيع كتاب القَاضِي أبي الْقاسم الحوفي قراءة بحث وَتَحْقِيق لأحكامه الفقهيَّة وتصوير لأحكامه الفقهية وتصوير لأعماله الجُزْئِيَّة بأنواع أَعماله الثلاثة الْعدد والكفات والجبر والمقابلة. برنامج المجاري، مرجع سابق، ص: 145.

(4). ينظر: شجرة النور، مرجع سابق، ج1، ص: 325؛ توشيح الديباج، وحلية الابتهاج، بدر الدين محمد بن عمر القرافي، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. مصر، ط1: 1425هـ .2004م، ص: 54؛ شرح حدود ابن عرفة، مرجع سابق، ص: 5.

الفضلاء، وقد أخذ ابن عرفة الفقه على يديه؛ توفي عام أربعين سبعمائة(740هـ).[1]

11. أحمد الرصافي:

هو أبو العباس أحمد بن عبد الله الأنصاري، المعروف بالرصافي، شيخ صالح، وكان مولده بمدينة مرسية، عام خمسين وستمائة، له حظ من الآداب وافر، وإمام ناظم ناثر، أخذ أبو العباس الرصافي عن أبي القاسم العزفي وأبي الحسين بن أبي الربيع القرشي، وإبراهيم التلمساني الأنصاري ، ولقيه خالد البلوي بتونس سنة 736هـ، قرأ عليه ابن عرفة جميع كتاب التيسير وأجازه جميعاً.[2]

12. ابن برَّال:

هو أبو عبد الله محمد ابن سعد بن أحمد بن بُرَّال الأنصاري، الشيخ الصالح المقرئ الضابط المحقق، ولد سنة 668هـ؛ وممن أخذ عنه ابن خلدون الذي أثنى عليه بأنه كان إماما في القراءات لا يلحق شأوه، قرأ عليه ابن عرفة كتاب الله العزيز بالقراءات السبع في ختمة كاملة جمعاً بين رواياتها المشهورة من طُرقها المأثورة، وعرض عليه حرز الأماني وقرأ عليه التيسير، وقرأ عليه العقيلة وأجازه بجميع ذلك وبجميع ما يحمله ويرويه.[3]

13. ابن الصباغ:

هو محمد بن محمد بن الصباغ المكناسي، عالم مبرز في المعقول والمنقول، كان ممن حضر إلى تنس من العلماء في الحملة المرينية، وممن توفوا في غرق أسطولها في رحلة العودة، ذكره ابن خلدون في التعريف وأثنى على معرفته بالحديث ورجاله، وموطإ مالك، توفي سنة خمسين وسبعمائة (750هـ).[4]

---

(1). ينظر: الحلل السندسية، مرجع سابق، ج1، ص: 687؛ الديباج المذهب، مرجع سابق، ج2، ص: 331؛ نيل الابتهاج، مرجع سابق، ص: 396.

(2). ينظر: الحلل السندسية، مرجع سابق، ج1، ص: 801، 804، برنامج المجاري، مرجع سابق، ص: 145 . 146.

(3). ينظر: برنامج المجاري، مرجع سابق، ص: 142؛ الحلل السندسية، مرجع سابق، ص: 615.

(4). ينظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، ادارة المعارف، الرباط . المغرب، ج4، ص: 80؛ الحلل السندسية، مرجع سابق، ج1، ص: 597؛ نيل الابتهاج، مرجع سابق، ص: 410.

ثانياً . تلاميذه:

كان الإمام ابن عرفة لَا يمل من التدريس وإسماع الحَدِيث وَالْفَتْوَى مَعَ الْجلالَة عِنْد السُّلْطَان،(1) برع في الأصول والفروع والعربية والبيان والمعاني والقراءات والفرائض والحساب.(2) فقد كان يقعد للتدريس بمدرسته بتونس من بعد صلاة الغداة إلى الزّوال، وكان يقرئ فيها فنونا يبتدئها بالتفسير، حيث يقول أحدهم إن مقاعد الطلبة في دروسه يُقضى لهم بها عند التشاحح.(3)

كان إماماً في علوم القرآن، مجّداً في العربية والأصلين، والفرائض والحساب، وعلم المنطق وغير ذلك، وله في ذلك تآليف مفيدة.

تخرج على يديه جماعة من العلماء الأعلام وقضاة الإسلام.(4) نذكر منهم ما يلي:

1 . الحافظ ابن حجر العسقلاني:

هو أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن علي بن أحمد الشهَاب أبو الْفضل الكناني العسقلاني القاهري، الشافعي الْمَعْرُوف بِابْن حجر، وهو لقب لبَعض آبَائِهِ، الْحَافِظ الكبير، الشهير الإمام، المنفرد بمعرفة الحديث وعلله في الأزمنة المتأخرة، ولد في ثاني عشر شعْبَان سنة 773هـ بمصر، ونشأ بهَا يتيما في كنف أحد أوصيائه، فحفظ القرآن وهو ابْن تسع، برع في جميع العلوم، من تصانيفه: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لسان الميزان، تهذيب التهذيب، وغيرها توفي في أَوَاخِر ذي الْحجَّة سنة 852 هـ.(5)

ذكر ابن حجر أنه أخذ عن الإمام ابن عرفة فقال:" أجاز لي وكتب لي خطه لما حج...".(6)

---

(1). ينظر: الضوء اللامع، مرجع سابق، ج9، ص: 240.

(2). ينظر: بغية الوعاة، مرجع سابق، ج1، ص:229.

(3). الحلل السندسية، مرجع سابق، ج1، ص: 563، 570.

(4). الديباج المذهب، مرجع سابق، ج2، ص: 331 .332.

(5) . ينظر: البدر الطالع، مرجع سابق، ج1، ص: 87 . 92؛ الضوء اللامع، مرجع سابق، ج1، ص: 316؛ طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي، عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الارشاد، صنعاء. اليمن، ص: 339. الأعلام، مرجع سابق، ج1، ص: 178.

(6). إنباء الغمر، مرجع سابق، ج2، ص: 192.

2. عيسى الغبريني :

هو أبو مهدي عيسى بن أحمد بن محمَّد الغبريني التونسي، قاضي الجماعة بها وعالمها وصالحها وخطيبها بجامعها الأعظم[1] بعد ابن عرفة وحافظها، العالم الجليل المعظم أوحد أهل زمانه علماً وديناً وفضلاً، أخذ عن ابن عرفة وغيره، وهو أكبر أصحابه وأجلهم، ولي قضاء تونس وإمامة جامع الزيتونة.

ووصفه تلميذه أبو القاسم بن ناجي بأنه ممن يظن به حفظ المذهب بلا مطالعة، وبالغ في الثناء عليه في غير موضع، توفي في ربيع الثاني سنة (813 هـ . 1410م) أو سنة (815 هـ . 1412م).[2]

3 . أبو عبد الله الوانوغي:

هو أبو عبد الله محمَّد بن أحمد الوانوغي التوزري، نزيل الحرمين الشريفين، كان عالما بالتفسير والأصلين والعربية والفرائض والحساب والجبر والمقابلة والمنطق، ولد سنة 759هـ، وقيل سنة755هـ بتونس ونشأ بها، وَكان شديد الذكاء، سريع الفهم، حسن الْإِيرَاد للتدريس والفتوى، وَله تأليف على قواعد ابن عبد السَّلام، وأسئلة في فنون العلم، وغيرها. توفي بمكة سنة (819 هـ .1416م).[3]

وصرح صاحب البغية أنه تتلمذ على الإمام ابْن عَرَفَة، وأخذ عنه الفقه وَالتَّفسير والأصلين، والمنطق.[4]

---

(1). استناب ابن عرفة وقت سفره للحج على إمامة جامع الزيتونة، ثم استقل بالإمامة المذكورة بعد وفاته وبقي عليها حتى توفي ليلة السبت سابع عشرين من ربيع الثاني عام خمسة عشر وثمانمائة، ينظر: نيل الابتهاج، مرجع سابق، ج1، ص: 298.

(2) . ينظر: نيل الابتهاج، مرجع سابق، ج1، ص: 297؛ شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1، ص: 350؛ أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نهويض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت . لبنان، ط2: 1400هـ . 1980م، ص: 250.

(3). ينظر: بغية الوعاة، مرجع سابق، ج1، ص: 31؛ شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1، ص: 350؛ طبقات المفسرين، مرجع سابق، ج2، ص: 62.

(4). بغية الوعاة، مرجع سابق، ج1، ص: 32.

4 . أبو عبد الله الأبي:

هو أبو عبد الله محمَّد بن خلف[1] المعروف بالأبي الوشتاتي، البارع المحقق، العلامة الأصولي، عالم بالحديث، من أهل تونس، نسبته إلى "آبَةْ" من قراها المؤلف الفقيه المتفنن الراوية النظار.

من نبغاء تلاميذ الإمام ابن عرفة لازمه وبه انتفع، وقد عوتب ابن عرفة على كثرة اجتهاده وإتعابه لنفسه في النظر والمراجعة لإعداد درسه في الفقه، فقال:" كيف أنام وأصبح بين أسدين الأبي بفهمه وعقله والبرزلي[2] بحفظه ونقله"، ويستفاد من هذا أنه ذو عقل تحليلي ناقد، وذو ملكة جيدة في الاستنباط، وَوَصفه ابْن حجر بِأَنَّهُ عَالم الْمغرب بالمعقول؛ له: شرح على صحيح مسلم سمَّاه إكمال الإكمال، شرح المدونة ،... توفي سنة (828 هـ .1424م).[3]

5 . أبو القاسم البرزلي: هو أبو القاسم بن أحمد البرزلي البلوي القيرواني ثم التونسي، مفتيها وفقهيها، وحافظها وإمامها بالجامع الأعظم، شيخ الشيوخ، وعمدة أهل التحقيق والرسوخ، وأستاذ الأساتذة، وقدوة الجهابذة، الفقيه الحافظ للمذهب، النظار إليه المفزع في الفتوى.

أخذ عن الإمام ابن عرفة، ولازمه نحو أربعين سنة، وأجازه إجازة عامة، أخذ عنه علمه وهديه وطريقته.[4] له: جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام، الحاوي في النوازل،... توفي سنة 841 هـ أو (سنة 844هـ .1440م)، عن عمر يناهز 103 سنة.[5]

(1) . جاء في نيل الابتهاج والبدر الطالع "خلفة" بِكَسْر الْخَاء الْمُعْجَمَة وَسُكُون اللَّام وَبعدهَا فَاء، و"خلف" في شجرة النور الزكية.

(2). ستأتي ترجمته في الفقرة الموالية.

(3). ينظر: نيل الابتهاج، مرجع سابق، ص:487؛ البدر الطالع، مرجع سابق، ج2، ص:169؛ شجرة النور، مرجع سابق، ج1، ص: 353؛ الأعلام، مرجع سابق، ج6، ص:115؛ تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، ج1، ص: 37.

(4) . قرأ عليه بعض صحيح مسلم، وجميع صحيح البخاري، والموطأ، والشفا للقاضي عياض، وعلوم الحديث لابن الصلاح، وجمل الخونجي في المنطق، وكثيرا من المحصل للأرموي.. وغيرها ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، ج1، ص: 87.

(5). ينظر: شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1، ص: 352؛ الأعلام، مرجع سابق، ج5، ص:171. 173.

6 . ابْن نَاجِي:

هو أبو الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني، القَرَوِي المالكي، الإِمام الفقيه، الحافظ للمذهب، النظار الفاضل، القاضي العادل، المؤلف العارف بالأحكام والنوازل. تولى القضاء بجهات كثيرة من إفريقية مثل: تبسة وسوسة والقيروان؛ أخذ عن أئمة منهم ابن عرفة وتلامذته كالبرزلي والأبيّ والوانوغي وغيرهم كثير.

له شرح على الرسالة وشرحان على المدونة وغير ذلك، وتآليفه معوَّل عليها في المذهب. توفي بالقيروان سنة (838هـ . 1434م).[1]

7. البسيلي:

هو أبو العباس أحمد بن عمر البسيلي الإمام الفقيه الخير الشيخ الفاضل، من أهل تونس وقيل من أهل المسيلة بالجزائر، وكانت عائلته مستقرة بتونس العاصمة؛ أخذ عن ابن عرفة وأبي العباس البطرني وابن خلدون وأبي مهدي عيسى الغبريني وغيرهم، له تقييد في التفسير قيّده عن ابن عرفة، فيه فوائد مهمة ونكت وكان حضوره عند ابن عرفة سنة 785 هـ .

توفي سنة 830 هـ،[2] وله فيه قصة مذكورة في نيل الابتهاج وهي: لما سمع بذلك الأمير الفقيه الحسين ابن السلطان أبي العباس الحفصي، فراسله فيه وطلبه منه فامتنع وماطله أيامًا، ثمَّ أرسل إليه وأمر رسله أن لا يفارقوه حتى يسلّمه لهم، فلما رأى الشيخ صاحب الترجمة الجدّ في الأمر أخذ منه من سورة الرعد إلى الكهف ودفع لهم الباقي، فمشوا به ثم مات، ومات الأمير أيضًا وبيع التقييد في تركته، فسافر به مشتريه إلى بلاد السودان، فبقي أهل تونس لا شعور لهم به، فلذلك كان أصل نُسَخِه من نسخة السودان، ومن هناك انتشر، وقد كان الشيخ لما طولب به اختصر منه تقييدًا صغيرًا جدًا، وهو موجود بيد الناس.[3]

---

(1). ينظر: الحلل السندسية، مرجع سابق، ج1، ص: 691؛ شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1، 352؛ نيل الابتهاج، مرجع سابق، ص: 364.

(2). ينظر: شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1، ص: 361؛ معجم المفسرين، مرجع سابق، ج1، ص: 71.70

(3). نيل الابتهاج، مرجع سابق، ص: 115.

8. السلاوي:

هو أبو القاسم الشريف الإدريسي السلاوي، وبه اشتهر الفقيه الصالح الأفضل، أحد الأئمة الأعلام، من أكابر تلاميذ ابن عرفة، أخذ عنه وبغيره وعنه ابن ناجي ونقل عنه في شرح المدونة، ومن تآلفيه: تقييد في التفسير عن ابن عرفة في مجلدين وإكمال الإكمال على صحيح مسلم في مجلد ضخم كبير اقتصر فيه غالبًا على أبحاث ابن عرفة وأصحابه.[1]

9. ابن قنفذ القسنطيني:

هو أبو العباس، أحمد بن حسن بن علي الشهير بابن الخطيب القسنطيني ويعرف بابن قنفذ، الإمام العلامة قاضي قسنطينة، مولده في حدود 740 هـ، أخذ عن أئمة كأبي القاسم الشريف وأبي عبد اللّه بن عرفة، وغيرهم كثير.

له مؤلفات كثيرة في فنون منها: شرح الطالب في أسنى المطالب، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، وشرح ألفية ابن مالك، وكتاب بغية الفارض من الحساب والفرائض، وأنس الفقير وعز الحقير في ترجمة الشيخ أبي مدين وأصحابه، وتوفي سنة (810 هـ .1407م).[2]

10 . ابن علوان:

أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن علوان الشهير بالمصري التونسي مولداً الإمام العالم الراوية الفقيه الرحال الشيخ الصالح. عرف بابن علوان المتقدم أبوه، أخذ عن أبيه، وعن الإمام أبي القاسم الغبريني والخطيب ابن مرزوق وابن عرفة وغيرهم من أئمة المشرق والمغرب له تآليف في الاجتماع على الذكر. توفي سنة (827 هـ .1423م).[3]

(1) . ينظر: نيل الابتهاج، مرجع سابق، ص: 368؛ شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1، ص: 361.

(2). ينظر: درة الحجال، أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، 1970م، ج1، ص: 121؛ نيل الابتهاج، مرجع سابق، ص: 110؛ شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1، ص: 360.

(3). ينظر: توشيح الديباج، مرجع سابق، ص: 170؛ نيل الابتهاج، مرجع سابق، ص: 106؛ شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1، ص:350 .351؛ الحلل السندسية، مرجع سابق، ج1، ص: 665.

11. أبو الفضل محمد بن محمد المشذّالي الباجي:

هو محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد المشذالي، وبه عرف البجائي علامتها وفقيهها وإمامها وخطيبها ومفتيها وصالحها ومحققها، الفقيه العلامة المحقق النظار الورع الزاهد؛ شهر بالمشذالي، بفتح الميم المعرفة وشد الذال، نسبة لقبيلة من زواوة أخذ عن أبيه بل ترقى معه في بعض شيوخه، وكان إمامًا كبيرًا مقدمًا على أهل عصره في الفقه وغيره.

له فتاوى نقلت في المعيار والمازونية وألّف تكملة حاشية أبي مهدي الوانوغي على المدونة في غاية الحسن والتحقيق تدل على إمامته واختصر البيان لابن رشد رتبه على مسائل ابن الحاجب وشرحه في أربعة أسفار غاية في التحقيق واختصر أبحاث ابن عرفة التي في مختصره المتعلقة بكلام ابن شاس وابن الحاجب وشرحه مع زيادة. توفي ببجاية سنة 866 هـ .1461م.[1]

12. القلشاني:

هو أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله القلشاني الباجي ثم التونسي، قاضي الجماعة بتونس العلامة المحقق النظار الحافظ الإمام، ولد في ذي القعدة سنة 753هـ بيته معروف بالعلم والفضل، تولى التدريس بالمدرسة العُنقية، وكان عالماً صالحاً؛ أخذ عن ابن عرفة وأبي العباس بن حيدرة وغيرهما، وتوفي في ربيع الثاني سنة (836 هـ . 1432 م).[2]

13. ابن مرزوق الحفيد:

هو أبو الفضل محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي، التلمساني الشهير بالحفيد الحجة الحافظ المتفنن ذو التآليف والفتاوى السائرة المذكورة في المعيار

(1). ينظر: نيل الابتهاج، مرجع سابق، ص: 538؛ شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1، ص: 379.

(2). ينظر: شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1، ص:352؛ الفكر السامي، مرجع سابق، ص: 91؛ الحلل السندسية، مرجع سابق، ج1، ص: 672.

وغيره، وله شرح على التهذيب وشرح على مختصر خليل، وشرح على صحيح البخاري وغيره، وله أراجيز في علوم النحو والحديث والقراءات وغيرها، توفي سنة اثنين وأربعين وثمانمائة (842هـ).[1]

14. ابن الشماع:

هو أبو العباس أحمد بن محمَّد اشتهر بالشماع الهنتاتي التونسي، الشيخ الصالح العلامة الفقيه المحقق خطيب جامع القصبة، أخذ عن ابن عرفة وغيره وعنه أبو زيد الثعالبي وغيره؛ نقل الونشريسي في المعيار جلة من فتاويه. توفي سنة(833 هـ . 1429 م).[2]

هؤلاء هم أهم شيوخه الأجلاء الذين أخذ عنهم الكثير، لحبه وشغفه الدائم بالعلوم والمعارف؛ وأما تلاميذه الذين درسوا عليه فخلق كثير نظراً لطول المدة التي مكثها في التدريس، وكثرة توافد الطلبة عليه من تونس وخارجها، فمن الجزائر أبو العباس البسيلي، ومن المغرب أبو القاسم السلاوي، وأبو عبد الله المشذالي، ومن المشرق ابن حجر العسقلاني، وأبو حامد بن ظهيرة المكي، وشمس الدين بن عمار المصري وغيرهم كثير.

المطلب الثالث: مؤلفاته

لقد بذل الإمام ابن عرفة – رحمه الله – جهوداً جبّارة في مجال التأليف، فعلى الرغم من اشتغاله بالإمامة، وبالتدريس والإفتاء، فإنّ إنتاجه في مجال التأليف لم يتوقف، فقد ألف التآليف الفائقة انتفع بها أهل المشرق والمغرب، وأثنى عليه الكثير من طلبته المغاربة والمشارقة، وفي هذا الشأن يقول عنها أحدهم: " وألف . رضي الله عنه . تآليف عجيبة ومصنفات غريبة منها تأليفه الفقهي لم يسبق به في تحقيقه وتهذيبه وجمعه وأبحاثه الرشيقة وحدوده الدقيقة وما فيه من معجزات أبحاثه المبتكرة وفوائده التي هي في كل أوراقه منتشرة وتأليفه المنطقي فيه من القواعد والفوائد ما

---

(1). ينظر: الضوء اللامع، مرجع سابق، ج7، ص: 50؛ الفكر السامي، مرجع سابق، ج4، ص: 90؛ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البابايي، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، مرجع سابق، ج2، ص: 191.

(2). ينظر: شجرة النور الزكية، ج1، ص: 351 . 352؛ تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، ج3، ص: 208.

يعجز عنه كبار الفحول على صغر جرمه وكثرة علمه وتأليفه الفرضي وتأليفه الأصولي الديني والفقهي وغير ذلك من إملاءاته في الأحاديث النبوية والآيات القرآنية والأحكام الشرعية ".[1]

وهذه **عناوين مؤلفاته المشهورة:**

1 . تفسير ابن عرفة:

كان ابن عرفة طيلة نصف قرن أو أكثر غير منقطع عن درس التفسير كلما انتهى ختمة منه أعاد ختمة جديدة، وعلى هذه الطريقة، تكَوَّنَ من درس ابن عرفة تفسير نفيس: حيُّ المباحث، مستقل الأنظار، متين المباني، غزير الفوائد،[2] وهذا ما أكده محققه[3]:" فلم يترك ابن عرفة موضعا فيه كلام فقه إلا علق عليه، ولم يترك كذلك موضعا فيه جوانب لغوية إلا تكلم فيها، فهو بحق كتاب لا غنى عنه.... وقد اعتمدنا في كتابنا هذا على أصل مخطوط وهو بخط ابن عرفة ولكن الواضح أنها منقولة من هذا التفسير أو هذه النسخة[4] التي اعتمدنا عليها وقد اختصرها تلاميذه إلى حد كبير"[5]، فلم يتول الشيخ ابن عرفة بنفسه كتابة هذا التفسير، المتضمن خلاصة دروسه القيِّمة، ولكن طلبته هم الذين اضطلعوا بذلك، فَقَيَّدوا أمالي شيخهم، وفوائده حتى خرجت تفسيرا يُنسب إليه.[6]

---

(1). شرح حدود ابن عرفة، مرجع سابق، ص: 5.

(2). ينظر: التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور، مجمع البحوث الإسلامية، مصر، 1390هـ . 1970م، ص: 104، 106.

(3) . جلال الأسيوطي، وهي الطبعة التي استخرجت منها آراؤه العقدية وسيأتي الكلام عنها بالتفصيل.

(4) . يقصد بها "تفسير ابن عرفة ، تحقيق: جلال الدين الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1: 2008م، وحولها يدور موضوع بحثنا وسيأتي الكلام عنها لاحقاً.

(5). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 4.

(6). التفسير ورجاله، مرجع سابق، ص: 106.

2 . المختصر الشامل:

وهو كتاب في العقيدة ألفه على طريقة البيضاوي[1] في كتابه طوالع الأنوار، حيث قال في ديباجته: "لما كان علم الكلام هو الموصل لإدراك حقيقة الإيمان، بواضح الأدلة و البرهان رأيت أن أجمع فيه مختصراً شاملاً لأصول طريقتي الأقدمين والمتأخرين، ورتبته على منوال طوالع الأنوار للشيخ القاضي ناصر الدين البيضاوي......"[2]، ولهذا التأليف عناوين مختلفة بعض الاختلاف حسب المصادر والمخطوطات،[3] وأتم تأليفه يوم27 رمضان سنة (789هـ . 1387م).[4]

3 . شرح مختصر الحوفي[5] في الفرائض:ويسمّى مختصر الفرائض، حيث إنه قام باختصار كتاب الحوفي اختصاراً وجيزاً،[6]وذكر في أوله أنه لما تكرر إقراؤه لكتاب الحوفي، وكان يلقي لطلبته مسائله الجزئية بضوابط كلية، وكثيراً ما التمسوا منه تكريرها؛ اختصره مع زيادة وتنبيهات على مواضع مشكلة.[7]

4 . المختصر الفقهي:

وهو كتاب في الفقه المالكي، سمّاه المختصر الفقهي، وهو أكبر كتبه وأهمها، وأشهر تأليف لابن عرفة، قال تلميذه الأبيّ:" مختصره الفقهي الذي ما وضع في الإسلام مثله لضبطه في المذهب

(1) . هو القاضي ناصر الدّين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي قاضي القضاة ،البيضاوي بفتح الباء نسبة إلى البيضاء، من بلاد فارس، الشافعي كان إماما، مبرّزا، نظّارا، خيّرا، صالحا، متعبّدا . ولي أمر القضاء بشيراز، وقابل الأحكام الشرعية بالاحترام والاحتراز. ومن تصانيفه: الطوالع والمنهاج في أصول الفقه وغيرها توفي سنة: 685هـ بمدينة تبريز. ينظر: شذرات الذهب، مرجع سابق، ج7، ص: 686.

(2). تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، ج3، ص: 368.

(3). باب الإمامة من كتاب المختصر الشامل لابن عرفة الورغمي، سعد غراب، حوليات الجامعة التونسية، تونس، العدد9، 1972م، ص: 183.

(4). تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، ص: 368.

(5). هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن خلف الإشبيلي القاضي المالكي العارف بالفرائض، وكان من بيت علم وعدالة، فقيهاً حافظاً، حاضر الذكر للمسائل بصيراً، فرضياً ماهراً؛ تولى القضاء بإشبيلية فشكرت سيرته في أحكامه، وسلك سبيل النزاهة، والعدل والجزالة، وله في الفرائض تصانيف: كبير ومتوسط ومختصر. وتوفي سنة 580هـ. ينظر الديباج المذهب، مرجع سابق، ج1، ص:221 .222.

(6). ينظر: الديباج المذهب، مرجع سابق، ج2، ص: 332؛ شذرات الذهب، مرجع سابق، ج9، ص: 62.

(7). تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، ج3، ص: 368.

مسائل وأقوالًا مع زوائد مكملة والتنبيه على مواضع مشكلة وتعريف الحقائق الشرعية"،[1] بدأ في تأليفه سنة 772هـ، وأتمه في سنة 786هـ، جمع فيه مسائل المذهب، مصدراً كل باب بتعريف ماهيات الحقائق الفقهية الكلية له، وأورد كثيرا من أقوال أئمة المذهب المالكي، ويكملها بمناقشاته وتوضيحاته المفيدة[2]، وفي هذا الشأن يقول مؤلفه عنه:" فهذا مختصر في الفقه المالكي قصدت فيه جمع ما يحصل بهدي الله تحصيله، ذكر مسائل المذهب نصّاً وقياساً، معزوة أقواله لقائلها أو ناقلها إن جهل، فلا إجمال ولا التباس، وتعريف ماهيات الحقائق الفقهية الكلية، لما عرض من النقل والتخصيص،...سالكاً في ذلك وسط الإيجاز والاختصار، حرصاً على سرعة الفهم و الاستبصار".[3]

واشتهر المختصر الفقهي بعدة أسماء منها: المبسوط في الفقه، التقييد الكبير في المذهب، اختصار مجموع ما ألفته المالكية في الفقه، وتختلف تجزئة أسفاره ما بين خمسة وسبعة وعشرة.[4]

وأفردها بالشرح البديع محمد بن قاسم الرصاع في كتابه الموسوم بـ: الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية المشهور بشرح حدود ابن عرفة.[5]

5 . المختصر في المنطق: للإمام ابن عرفة مؤلف في المنطق سمّاه المختصر في المنطق وفيه من القواعد والفوائد، على صغر جرمه، ما يعجز عنه الفحول،[6] لشحنه بالاعتراضات على أماثل ذلك الفن؛[7] ولهذا المختصر شرحان:

الأول : شرح محمد بن يوسف السنوسي الجزائري المتوفى سنة 895هـ.

الثاني: شرح محمد الشافعي بن القاضي، واسمه نتائج الفكر في شرح المختصر.[8]

---

(1) . ينظر: نيل الابتهاج، مرجع سابق، ص: 466، 468؛ الحلل السندسية، مرجع سابق، ج1، ص: 561 .562.

(2) . المختصر الفقهي، مرجع سابق، ج1، ص: 29.

(3) . المرجع نفسه، الجزء نفسه، ص: 41.

(4) . المرجع نفسه، الجزء نفسه، ص: 29.

(5) . ينظر: شرح حدود ابن عرفة، مرجع سابق، ص: 48، 61؛ الحلل السندسية، مرجع سابق، ج1، ص: 569.

(6) . نيل الابتهاج، مرجع سابق، ص: 464.

(7) . توشيح الديباج، مرجع سابق، ص:240.

(8). العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، حسن حسني عبد الوهاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، ط1: 1425هـ . 2005م، ج1، ص: 766.

6 . منظومة في قراءة يعقوب:

ذكرت كتب التراجم أن للإمام ابن عرفة ـ رحمه الله ـ نظما في قراءة يعقوب.[1]

المطلب الرابع: مذهبه الفقهي والعقدي

أ/مذهبه الفقهي:

الإمام ابن عرفة الورغمي علم من أعلام المالكية، وله مؤلفات في الفقه المالكي، لقيت قبولاً واسعاً حتى صارت من الكتب المعتمدة عند متأخري المذهب المالكي. ويظهر ذلك جليّاً من خلال كتابه " **المختصر الفقهي**" فقد صرح بذلك في أكثر من موضع في كتابه، ومنها قوله:" فهذا مختصر في الفقه المالكي قصدت فيه جمع ما يحصل بهدي الله تحصيله ذكر مسائل المذهب نصًّا وقياسًا، معزوة أقواله لقائلها أو ناقلها إن جهل؛ فلا إجمال ولا التباساً...".[2]

وأما **مذهبه العقدي:**

فيتضح من خلال كتابه " تفسير ابن عرفة"، أنه ينهج منهج الأشاعرة في العقيدة وقد تصدى عند تفسيره لبعض الآيات القرآنية لتفنيد آراء المعتزلة وغيرهم، مقراً مذهب أهل السنة والجماعة غالبا في نقاط النزاع بينهم.

وسيكون المزيد من التفصيل في بيان عقيدة ابن عرفة، ومدى قربه أو بعده من الأشاعرة في الفصول القادمة من هذه الرسالة.

(1) . إنباء الغمر، مرجع سابق، ج2، ص: 192؛ كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد ـ العراق، 1941م، ج2، ص: 1867.

(2). ينظر: المختصر الفقهي، مرجع سابق، ص: 61.

المطلب الخامس: مكانته وثناء العلماء عليه

شهدت نصوص العلماء برفعة قدر الإمام ابن عرفة، وشهد بهذا القدر والرفعة كل من عاصره، ومن جاء بعده أو عاصر آثاره، ونذكر بعضا من أقوالهم:

1. قال عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني:

" أجاز لي وكتب لي خطه لما حج بعد التسعين بالإجازة عنه، وعلق عنه بعض أصحابه كلاماً في التفسير كثير الفوائد في مجلدين وكان يلتقطه في حال قراءتهم عليه ويدونه أولاً فأولاً، وكلامه فيه دال على التوسع في الفنون وإتقان وتحقق."[1]

2. **ونعته معاصره ابن الجزري**[2] :"فقيه تونس وإمامها وعالمها وخطيبها، وقال أيضا:" ولم تزل الحجاج ترد علينا بأخباره السارة حتى كنت في الديار المصرية سنة اثنتين وتسعين فقدمها حاجا فاجتمعت به بالقاهرة ....فاستجزته تجاه الكعبة المعظمة فأجازني وأولادي جميعا، ثم رجعنا إلى الديار المصرية فاجتمعت به كثيرا وأنشدته وأنشدني وتوجه إلى بلاده في ربيع في سنة ثلاث ولم أر مغربيا أفضل منه.....ولم يخلف بعده مثله".[3]

(1). إنباء الغمر بأبناء العمر، مرجع سابق، ج2، ص:192.

(2) . هو الحافظ المقرئ شيخ الإقراء في زمانه شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الدمشقي الشافعي، ولد سنة 751هـ، كان إماما في القراءات لا نظير له في عصره في الدنيا حافظا للحديث، من مؤلفاته: النشر في القراءات العشر، طيبة النشر في القراءات العشر، غاية النهاية في طبقات القراء، توفي سنة 833هـ.ينظر: ذيل طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ص: 249؛ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين، عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس ، عمان . الأردن، ج2، ص: 114.

(3). غاية النهاية في طبقات القراء، مرجع سابق ،ج2،ص:243.

3. وقال عنه تلميذه أبو حامد بن ظهيرة المكي(1) في معجمه: "هو إمامة علّامة برع أصولًا وفروعًا وعربية ومعاني وبيانًا وقراءة وفرائض وحسابًا، رأسًا في العبادة والزهد والورع ملازمًا للشغل بالعلم، رحل إليه الناس وانتفعوا به ولم يكن بالمغرب من يجري مجراه في التحقيق ولا من اجتمع له من العلوم ما اجتمع له، تأتي إليه الفتوى من مسيرة شهر...انتهت الرياسة إليه بقطر المغرب أجمع في التحقيق، والفتوى، والمشاورة".(2)

4. وأطال الرصاع الثناء عليه وكان ممّا قال فيه: " وقد أجرى الله تعالى في قلوبنا محبته وأسبغ بها علينا نعمته لما تواتر لدينا من حسن طريقه وهديه، وغزارة علمه وبلاغة فهمه، وقوة عزه لطاعة ربه، فزرع الله في قلوب المؤمنين محبته، وألقى في أفئدتها مودته، كما جرت عادته سبحانه في معاملته لخاصة الصالحين، في إلقاء مودتهم في قلوب عباده المؤمنين، وقد شاهدنا شيوخنا الآخذين عنه يقفون عند حده معظمين لقدره، مسلمين لفهمه، لا يعارضونه ولا يراجعونه إلا بأدب ووقار، وتعظيم وإكبار، وقد قيدنا عنهم ما سمعنا من كراماته وما بلغنا من محاسنه وسياداته وما قيد عنه من ابتكاراته."(3) ولقبه بقوله: " فهو الشيخ شيخ الإسلام الأعلم الإمام الصالح العالم القدوة العلامة البركة الفهامة ذو القدر الكبير والفخر الشَّهِيرِ...".(4)

---

(1) . هو محمد بن عبد الله بن ظهيرة بن أحمد بن عبد الله بن عطية بن ظهيرة ابن مرزوق بن محمد بن سليمان المخزومي المكي الشافعي، جمال الدين، أبو حامد، ولد سنة 751هـ، اشْتغل بالفقه والفنون وعني بِالْحَدِيثِ فَرَحل فِيهِ مرَارًا إِلَى دمشق وحلب ومصر والقدس وَحصل الْأَجْزَاء وفوائد الشُّيُوخ ، توفي سنة 817هـ. ينظر: طبقات الشافعية، تقي الدين ابن قاضي شهبة، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب، بيروت . لبنان، ج4، ص: 54 . 56؛ إنباء الغمر، مرجع سابق، ج3، ص: 45. 47.

(2). نيل الابتهاج، مرجع سابق، ص: 468؛ الضوء اللامع، مرجع سابق، ج9، ص:241، 242.

(3). شرح حدود ابن عرفة، مرجع سابق، ص: 3.

(4). المرجع نفسه، ص: 4.

5. ووصفه تلميذه أبوعبد الله المجاري[1] بأنه:" الشَّيخ الفقيه المفتي المحدث الرَّاوِية إمام أهل زمانه فِي فتح أقفال المشكلات وكشف نقاب الشّبَه المعضلات".[2]

6. قال عنه تلميذه أبو الطيب بن علوان:

"كان شيخنا ابن عرفة إمامًا علامة محققًا مفتيًا مدرسًا خطيبًا صالحًا حاجًا، فاز من كل فن بأوفر نصيب وحاز في الأصول والفروع السهم والتعصيب، رمى لهدف كل مكرمة بسهم مصيب وأطلعت سماء إفاداته ذراري علم عيشهم وإبل مرعاهم خصيب فمنفعته بعد موته دائمة وبركاته بعد وفاته وتلامذته وأوقاته قائمة جمع بين طرفي العمل والعلم وشغل أوقاته بخير، فليس وقت منها بهزل، أيامه صيام ولياليه قيام وركوع وسجود جاهد هجوم الليل وآثر السجود على النوم والهجود". [3]

7. وقال عنه السخاوي[4]:

" ومهر في العلوم وأتقن المعقول والمنقول إلى أن صار المرجوع إليه في الفتوى ببلاد المغرب وتصدى لنشر العلوم وكان لا يمل من التدريس وإسماع الحديث والفتوى مع الجلالة عند السلطان

---

(1). هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن عبد الواحد المجاري الأندلسي، ولد في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، فقيه محدث، من شيوخ القراءات، له مؤلف ترجم فيه لشيوخه، ومنهم الإمام الشاطبي، وغالب ترجمته تعداد ما قرأ عليه وذكر شيوخه.من مؤلفاته: برنامج المجاري، توفي سنة 862هـ . ينظر: برنامج المجاري، مرجع سابق، ص:9 ؛ الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، محمد بن عبد الرحمن الشقير، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1: 1429 هـ - 2008 م، ج1، ص:48.

(2). برنامج المجاري، مرجع سابق، ص: 13.

(3) . نيل الابتهاج، مرجع سابق، ص: 467.

(4) . هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السّخاوي، ولد في القاهرة سنة 831هـ، ومن أهم مؤلفاته: الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع, والإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التأريخ، والمقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، وغير ذلك من المصنفات المفيدة النافعة. توفي في المدينة المنورة سنة (902هـ). ينظر: ترجمته في: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، لمحمد بن محمد الغزي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1: 1418هـ-1997م، ج1، ص: 53؛ وشذرات الذهب، مرجع سابق، ج1، ص: 76.

فمن دونه والدين المتين والخير والصلاح والتوسع في الجهات والتظاهر بالنعمة في مأكله وملبسه والإكثار من التصدق والإحسان للطلبة مع إخفائه لذلك".[1]

(1). الضوء اللامع، مرجع سابق، ج9، ص: 240.

عاش الإمام ابن عرفة في القرن الثامن الهجري في ظل الدولة الحفصية، حيث كانت ولادته مع أول خليفة تولى الحكم وهو أبو يحي زكرياء، فنشأ وترعرع في مدينة ورغمّة بتونس، وبدأ تعليمه وأنهاه وهو بتونس، وفيها نبغ في عدة علوم وألف وصنف عدة تآليف ومصنفات.

تفرغ للتدريس والإمامة والخطابة والإفتاء حتى توفي رحمه الله في أوائل القرن التاسع الهجري، وترك آثاراً منها تلاميذه الذين نقلوا علومه إلى المغرب والأندلس والمشرق، وترك لنا مصنفات منها ما حفظت في خزائن الكتب، بعضها تم تحقيقه والبعض بقي على شكل مخطوطات، ومنها ما فقدت ولم تبق إلا أسماؤها؛ وصار راسخ القدم في العلوم العقلية والنقلية، وقد ترك مشايخه بصمات في توجهه في التأليف والتخصص، ولاسيما علم التفسير وهو ما سيكون الحديث عنه في الفصل الموالي بإذن الله تعالى.

الفصل الثاني:

دراسة كتاب تفسير الإمام ابن عرفة ومنهجه في عرض العقيدة

المبحث الأول: قيمة التفسير العلمية

المبحث الثاني: منهجه في التفسير

المبحث الثالث : منهج الإمام ابن عرفة في بحث العقيدة

تمهيد:

تطرقت في الفصل السابق إلى تعريف المفسر (الإمام ابن عرفة)، من حيث العصر الذي نشأ فيه والبيئة المحيطة به، وإقبال الناس على التعلم والتعليم والتثقيف وأثر ذلك كله على تفسير الإمام ابن عرفة ومنهجه؛ وسنبدأ إن شاء الله بدراسة كتاب تفسير الإمام ابن عرفة، وذلك من خلال ثلاثة مباحث؛ نتعرض في المبحث الأول إلى القيمة العلمية لهذا التفسير، أما في المبحث الثاني فسيكون عن المنهج الذي اتبعه الإمام في تفسيره، وسيكون المبحث الثالث عن منهج الإمام في بحث العقيدة.

المبحث الأول: قيمة التفسير العلمية

لاشك أن لكل كتاب من كتب التفسير أهمية علمية بين غيره من التفاسير، سيّما إذا كان لإمام معروف بالعلم والضبط والتحرير مثل الإمام ابن عرفة الذي مرّ معنا في ترجمته أنه ملم بجملة من العلوم الشرعية.

ولكي نُلم بمعرفة المعلومات الخاصة بهذا التفسير، ومن قيّده وما هي محتوياته؟ قسمت المبحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: محتوى تفسير الإمام ابن عرفة.

المطلب الثاني: قيمة الكتاب العلمية.

المطلب الثالث: مآخذ على الكتاب.

المطلب الأول: محتوى تفسير الإمام ابن عرفة.

لدراسة مضمون تفسير ابن عرفة دراسة علمية، فإنه يجب علينا بيان نسبة التفسير إليه، والتعريف به مع توضيح رواياته.

أولاً. اسم الكتاب:

لم يؤلف الإمام ابن عرفة . رحمه الله . كتاباً في التفسير، وإنما قام طلبته الذين يحضرون مجالس التفسير عنده بجمع ما يُلقى عليهم من هذه الدروس وتدوينها بكتاب أسموه: "تفسير ابن عرفة" نسبة لشيخهم ابن عرفة، جاء في تراجم المؤلفين التونسيين:" ختم تفسير الكتاب الكريم عدة ختمات، وكان تلاميذه يدونون ما يلقي عليهم".[1]

ثانياً. نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

جاء الكتاب منسوباً إلى الإمام ابن عرفة في بعض المصادر، ومنها:

1/ تصريحات تلاميذه أن ابن عرفة كان قد ألقى دروساً في التفسير وقاموا بجمعها و تدوينها، حيث يقول الأبيّ[2]:" فلقد كنت أقيّد من زوائد إلقائه وفوائد إبدائه الخمس التي تقرأ في مجلسه من تفسير وحديث ...نحو الورقتين كل يوم مما ليس في الكتب".[3]

وعن البسيلي[4] . تلميذه . بعد أن أورد في تقييده أسئلة وأجوبة في بعض الآيات ما نصه:" وهذه الأسئلة وأجوبتها وأمثالها، وكل ما ذكرناه في كتابنا هذا مما يقع بين الطلبة في مجالس شيخنا ابن عرفة، أو بينه وبينهم ممَّا يدل على علو مرتبته وعظم منفعته..".[5]

(1). تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، ج3، ص: 367.
(2). تقدمت ترجمته في الفصل الأول، ص: 31.
(3). نيل الابتهاج، مرجع سابق، ص: 466.
(4). تقدمت ترجمته في الفصل الأول، ص: 33.
(5). فهرست الرصاع، أبي عبد الله محمد الأنصاري، تحقيق: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، ص: 82.

ويقول تلميذه **الرصّاع**: "... وغير ذلك من إملاءاته في الأحاديث النبوية والآيات القرآنية والأحكامِ "[1]،وعند حديثه عن تفسيره قال: "ومن دروسه في التفسير جمع البسيلي تفسيره الفريد في التحرير والبديع في التقرير".[2]

2/ اتفاق أصحاب التراجم على نسبة التفسير للإمام ابن عرفة، ومنها:

* جاء في **إنباء الغمر بأبناء العمر**: "...وعلق عنه بعض أصحابه كلاماً في التفسير كثير الفؤاد في مجلدين وكان يلتقطه في حال قراءتهم عليه ويدونه أولاً فأولاً، وكلامه فيه دال على التوسع في الفنون وإتقانٍ وتحقُّقٍ".[3]

* وجاء في **طبقات المفسرين**: " ...إماماً في علوم القرآن، مُجيداً في التفسير".[4]

* جاء في **كشف الظنون**: " ... روى عنه تلميذه أحمد بن محمد البسيلي وجمع ما حفظه عنه، أو عن بعض حذاق طلبته، زيادة على كلام المفسرين".[5]

يعتبر ما جاء في كتب التراجم دليلا قاطعاً على نسبة التفسير إلى الإمام ابن عرفة.

ثالثاً. روايات تفسير ابن عرفة:

ثبت أن تلاميذ ابن عرفة كانوا يدونون ما يلقى عليهم من دروس في التفسير، وقد ذكرهم صاحب كتاب تراجم المؤلفين التونسيين:"... واشتهر من هؤلاء المدونين ثلاثة: البسيلي، والأبيّ، والسلاوي، والموجود الآن هو ما دونه البسيلي والأبيّ؛ والمخطوطات الموجودة عندنا هي من رواية

(1). شرح حدود ابن عرفة، مرجع سابق، ص:5.

(2). فهرست الرصاع، مرجع سابق، ص: 81.

(3). إنباء الغمر بأبناء العمر، مرجع سابق، ج2، ص: 192.وهو ما نقله السخاوي في الضوء اللامع، مرجع سابق، ج2، ص: 192.

(4). طبقات المفسرين، مرجع سابق، ج2، ص: 237.

(5).كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد. العراق، 1941م، ج1، ص: 438.

الأبيّ، أما رواية البسيلي فمنها مخطوطة مبتورة الأول، في حين تعددت نسخ الأبي مع نقص عدد كبير من السور"(1).

فالإمام ابن عرفة لم يتول بنفسه كتابة هذا التفسير المتضمن خلاصة دروسه القيِّمة، ولكن طلبته من الأجيال المتعاقبة هم الذين اضطلعوا بذلك فقيّدوا أمالي شيخهم وفوائده حتى أصبحت تفسيراً، و إن لم يكن من تحرير قلمه فلذلك يسند إليه الكلام بطريق النقل، ويرمز إلى اسمه بحرف العين (ع)، وأشهر الذين عُرفوا بتدوين هذا التفسير هم ثلاثة من أكابر أصحابه: تونسي وجزائري ومغربي، أما التونسي فهو أكبر أصحاب ابن عرفة وأخصهم به وهو الشيخ محمد الأبيّ، وأما الجزائري فهو الشيخ أحمد البسيلي، وأما المغربي فهو الشيخ أبو القاسم السلاوي،(2) وفيما يلي توضيح ذلك:

1. رواية الأبيّ:

رواية الأبيّ هي أكمل الروايات لتفسير ابن عرفة، ومنها نسخ خطية كثيرة، من أكملها نسخة المكتبة الوطنية بتونس، وقد طبع جزء من هذه الرواية في مجلدين إلى نهاية سورة البقرة بتحقيق الدكتور حسن المناعي نشرها مركز البحوث بكلية الزيتونة سنة 1986م.(3)

يقول الأبيّ :"إني لبارّ في قسمي هذا، فلقد كنت أقيد من زوائد إلقائه وفوائد إبدائه الخُمس التي تقرأ في مجلسه من تفسير وحديث وثلاثة في التهذيب نحو الورقتين كل يوم مما ليس في الكتب،...".(4)

2. رواية البسيلي:

أما الرواية الثانية فهي لأبي العباس أحمد بن عمر البسيلي الإمام الفقيه الشيخ الفاضل؛ يرتكز تفسير البسيلي على مجالس ابن عرفة التفسيرية التي شهدها في الفترة ما بين 783 هـ و 803 هـ،

(1). تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، ج3، ص: 367. 368.
(2). التفسير ورجاله، مرجع سابق، ص: 106.
(3). التفسير والمفسرون في غرب افريقية، مرجع سابق،ج1، ص: 669.
(4). الحلل السندسية، مرجع سابق، ج1، ص: 561.

وعليه يظهر أن جمع المادة قد استغرق من البسيلي عشرين سنة إلى وفاة الإمام ابن عرفة، إضافة إلى خمس سنوات بعدها، إذ يرجع آخر تاريخ مذكور في التفسير إلى سنة 808 هـ، وإذا ما أخذنا في الاعتبار أنه قد استعان بمدونات سابقة على حضوره مجالس ابن عرفة عرفنا أن نكت البسيلي صورة حيَّة عن مجالس ابن عرفة في التفسير خلال ما يزيد على ثلاثة عقود.[1]

ومضى يجمع إملاءات شيخه سواء من الدروس التي حضرها أو من أصحابه الذين سبقوه في الأخذ عن شيخه، ولم يكتف بهذا القدر بل عمد إلى زيادة بعض من كلام المفسرين، أو ما سمح به خاطره في أثناء الجمع والتأليف، والظاهر أن التفسير لم يؤلف بين هذه المعلومات جملة إلا بعد وفاة شيخه سنة 803هـ وأيضاً بعد سنة 806هـ.[2]

والبسيلي له تقييدان عن شيخه: تقييد كبير وآخر صغير، وكلاهما مخطوط، والكبير فقدت بعض أجزائه ، وليس كل ما فيه من كلام ابن عرفة، ويوجد من رواية البسيلي نسخة مصورة على ميكروفيلم بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية تحت رقم 1260، 1261 عن نسخة الخزانة الملكية بالرباط.[3] أما التقييد الصغير فهو ناقص يقف عند سورة "الصف" كما أنه لا يوجد به تفسير سور "الشورى" و"الزخرف" و"النجم" و"القمر".[4]

حيث يقول في مقدمة الكتاب عن تفسيره: "هذا تفسير على كتاب الله المجيد، قصدت منه جمع ما تيسر حفظه، وتقييده من مجلس شيخنا أبي عبد الله محمد بن عرفة – رحمه الله تعالى – مما كان بيديه هو أو بعض حذاق طلبة المجلس زيادة على كلام المفسرين وغيرهم ".[5]

---

(1). نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس البسيلي، تحقيق: محمد الطبراني، منشورات وزارة والشئون الإسلامية المملكة المغربية، ط1، 1429هـ. 2008م، ج1، ص: 12.

(2). تفسير الإمام ابن عرفة برواية تلميذه الأبي، ابن عرفة الورغمي، تحقيق: حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ط1، 1986م، ج1، ص: 28، 29.

(3). التفسير والمفسرون في غرب افريقية، مرجع سابق،ج1، ص: 669.

(4). معجم المفسرين، مرجع سابق، ج1، ص: 71.

(5). التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، أبو العباس البسيلي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض – المملكة العربية السعودية، ج1، ص: 199.

3. رواية السلاوي:

والرواية الثالثة هي لأبي القاسم الشريف الإدريسي السّلاوي؛ من أهل القرن التاسع، وهو أحد الأئمة الأعلام من أكابر تلامذة ابن عرفة، أخذ عنه وانتفع به ونقل عنه في شرح المدونة، له تقييد في التفسير عن ابن عرفة في مجلدين وهو مفقود.[1]

نستنتج مما سبق أن هذا التفسير ليس تأليفا كبقية التفاسير المعهودة ويوجد تقاييد لعلماء آخرين عن مشايخهم في حلقاتهم العلمية الخاصة والعامة؛ مثل تقييدات تلاميذ السنوسي وأبي عبد الله الشريف التلمساني، بعضها وصلنا متفرقا وبعضها لم يصل، فالأمر معروف وليس بدعاً من العمل.

فتفسير ابن عرفة هو عبارة عن جملة من التقييدات سجلها تلاميذه خاصة في حلقات الدروس، ولما كانت هذه التقييدات ثرية المحتوى، وكانت إملاءات التفسير تأتي على كامل القرآن الكريم في ختمة متعاقبة، عمد تلاميذه إلى تجميعها والتأليف بينها، وأصبحت منسوبة إلى الإمام ابن عرفة، ويختلفون بحسب طبيعة كل مقيِّد وأسلوبه في التقييد وقدرته على الفهم والأخذ؛ فمن كان حظه في الملازمة لشيخه أكثر كان تقييده أوفى وأغزر[2]؛ أما تقييد الأبي فهو أوسعها وأقربها إلى أسلوب ابن عرفة، وأما البسيلي فيختلف عنه في الاعتماد على بعض المصادر التفسيرية والتاريخية التي لم يعتمد عليها الأبي، إضافة إلى أن البسيلي لا يتقيد دائماً بعبارة ابن عرفة، أما رواية السلاوي، فما تزال مفقودة، وحقق الكثير من تلك المخطوطات في رسائل جامعية.[3]

فموضوع هذا الكتاب تفسيرٌ لنصِّ القرآن الكريم، وتدبُّر سوره وآياته جاءت كثمرة لنقاش وحوار وأسئلة جمعت صاحبه ـ ابن عرفة ـ بطلبته في مجالس للعلم، ما يفسر اختلافه ـ أسلوباً ومنهاجاً ـ عن بقية الكتب المؤلفة التي سبقته في تفسير القرآن.

---

(1)، التفسير والمفسرون في غرب افريقية، مرجع سابق،ج1، ص: 669؛ شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ج1، ص: 361.

(2) . تفسير ابن عرفة برواية الأبيّ، مرجع سابق، ص:32.

(3)، المختصر الفقهي، مرجع سابق، ص: 30؛ درر المعرفة من تفسير الإمام ابن عرفة، نزار حمادي، تونس، ص: 43.

يبدأ هذا الكتاب ـ على غرار كتب التفسير المرتبة على ترتيب المصحف ـ بسورة الفاتحة وتنتهي بسورة الناس، غير أن به نقصاً في تفسير عدد من سور النص القرآني سواء من رواية البسيلي أو من رواية الأبيّ.[1]

أمَّا النسخة المعتمدة في هذا البحث فكانت بتحقيق جلال الأسيوطي الصادرة عن دار الكتب العلمية بلبنان، والتي فيها تفسير للقرآن من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، لكن فيها نقصا في تفسير عدد من السور، وهذه السور الناقصة ـ تعييناً ـ هي: الرعد، إبراهيم، الحجر، النحل، الإسراء، الكهف، العنكبوت، الروم، الطور، القمر، الممتحنة، الصف، الجمعة، المنافقون، التغابن، التحريم، الإنسان، النبأ، الأعلى، البلد، الشمس، الضحى، التين، القدر، البينة، الزلزلة، القارعة، التكاثر، العصر، الهمزة، الفيل، قريش، الماعون، الكوثر، المسد، الإخلاص.

وقد تكلم جلال الأسيوطي عن هذا التفسير في مقدمة التحقيق: "هو تفسير يجمع بين العربية وجوانبها وكذلك الفقه المالكي وجوانبه، فلم يترك ابن عرفة موضعا فيه كلام فقه إلا علق عليه، ولم يترك كذلك موضعا فيه جوانب لغوية إلا تكلم فيها، فهو بحق كتاب لا غنى عنه وكما قال علماء التاريخ إن الأمة لم تأت بمثله بعد ، فهو حق يقال له ".[2]

---

(1)، تفسير ابن عرفة بتقييد أحمد بن محمد البسيلي ـ سورة التوبة ـ الزهرة عامر، مرجع سابق، ص: 56.
(2)، تفسير ابن عرفة، محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 2008م، ج 1 ص: 4.

المطلب الثاني: قيمة الكتاب العلمية

إن قيمة هذا الكتاب تتجلّى في اختيار المصادر النفيسة والقيِّمة التي نقل عنها الإمام ابن عرفة، وهي مصادر في التفسير، والحديث، والعقيدة، والفقه، واللغة، ومختلف العلوم، وإن قيمته تتجلّى أيضا في كيفية نقل الأقوال، وتنسيقها، وترتيبها لتخدم تفسير آيات القرآن وسوره.

ومن فوائده أنه مع مهارة صاحبه في الجمع والتنسيق بين الأقوال، يظهر لنا مهارته في رد الأقوال بعضها بعض، وفي الخروج برأي شخصيّ في بعض الأحيان.

ومن فوائده أيضا أنه وضع ضوابط للمشتغلين بعلم التفسير، فهو علم يستوجب ثقافةً واسعةً ومعرفة بمختلف العلوم.

وأهميته تظهر كذلك في كونه حفظ لنا أقوالاً من مصادر مفقودة أو نادرة وأخرى لا تزال مخطوطةً.[(1)] ويمكن أن نوضح قيمة الكتاب وفوائده من خلال النقاط التالية:

1. لقد اهتم الامام ابن عرفة في تفسيره بمشكل التفسير وتوجيه المتشابه، حيث يقول عن التفسير:" فهو العلم بمدلول القرآن وخاصيته، كيفية دلالته ومتشابهه والناسخ والمنسوخ".[(2)]

2. إن قيمة هذا الكتاب تتجلى في اختيار المصادر النفيسة والقيِّمة، التي نقل عنها الإمام ابن عرفة مصادر في التفسير، والحديث والعقيدة، والفقه واللغة العربية وعلومها، ومختلف العلوم الأخرى.

3. إن قيمته تتجلى أيضا في كيفية نقل الأئمة والفقهاء والقراء، وتعقب آرائهم إما عاضداً أو منتقداً أو مستدركاً، غير محتار ولا متردد.

---

(1). تفسير ابن عرفة بتقييد أحمد بن محمد البسيلي . سورة التوبة الزهرة عامر، رسالة ماجستير تخصص أصول الدين، كلية العلوم الاسلامية، جامعة الجزائر، 2005. 2006م، ص: 57.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 19.

4. له ثقافة واسعة ومعرفة عميقة بمختلف العلوم، وهو ما يحتاجه المفسر الحقيقي وهو ما وضحه بحديثه عن دوره وفائدته:" وفائدته استنباط الأحكام والمعاني من أصول الدين وأصول الفقه والعربية".[1]

5. لم يكثر من إيراد الإسرائيليات، وتفاصيلها.

6. غلبة روح الحوار على مجالسه في التفسير، فلقد اتخذه أسلوبا ومنهجا، وذلك عن طريق افتراض السؤال، وجواب المفسر عليه، لبيان الحكمة من التشريع الإسلامي، والكشف عن البلاغة القرآنية، وهو أسلوب يتسم بعنصر التشويق وتحفيز الهمم.

7. لقد كان ابن عرفة بمجالس تفسيره لا يكرر تفسير ما تم تفسيره مسبقاً، ولكن يحيل إليه، ومن شواهد ذلك قوله في الآية الكريمة:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾(سورة الصف الآية:14):"تقدم في قوله تعالى: (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ)، طلب الإيمان والجهاد بالأنفس والأموال، وهذا هنا آكد؛ لأن ذلك أمر بمطلق الجهاد، والمجاهد قسمان: تارة يجاهد ليدفع العدو عنه، وتارة يجاهد ليطلب النصرة عليه، فهذا يكون قتاله وامتحانه في الحرب أشد من الأول، فأمروا في هذه الآية بالجهاد لطلب النصرة".[2]

8. لقد نوّه العلماء بقيمة تفسير ابن عرفة ورواياته قديما وحديثا، ويكفي القول أنه من آثار الإمام ابن عرفة الذي أجمع العلماء على إمامته، وجلالة قدره، وعلى تمكنه وتبحره في العلوم الشرعية، حتى غدا محط الأنظار، وشدّ الناس الرحال إليه.[3]

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 19.

(2). المصدر نفسه، ج4، ص: 227.

(3). ينظر: تقييد ونكت على تفسير ابن عرفة للإمام ابي العباس أحمد بن محمد البسيلي . دراسة وتحقيق لتفسير سورة البقرة . عثمان واجعوط، رسالة ماجستير تخصص أصول الدين، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر1، 1433هـ . 2012م، ص:120.

المطلب الثالث: مآخذ على الكتاب

مع ما في هذا التفسير من منهج رصين في العرض والمناقشة، وغزارة في المادة العلمية وروعة في الأسلوب، نجد فيه ثغرات، وأي كتاب ليس فيه نواقص غير كتاب الله تعالى، ولقد ورد في قوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾(سورة النساء الآية:82)، ولقد لاحظت بعض المآخذ على تفسيره منها ما يأتي :

- لم يفسر بعض السور،[1] وأهمل عدداً مهماً من الآيات فلم يرد فيها تفسيراً، وقد يفسر هذا النقص احتمال أن ابن عرفة لم يفسر كل سور القرآن في تلك الختمة التي دونها تلامذته . وهو غير مقنع، أو أن هذه النسخة تعرضت للإهمال والتلف والضياع بتوالي السنين ومرور الزمن.
- رواية الحديث النبوي الشريف غالباً من غير سند أو تخريج.
- نجد الشيخ أحياناً، يذكر معنى حديث نبوي شريف في متن تفسيره ولا يذكر نصه ولا راويه.
- الملاحظ أن ابن عرفة يبدأ مجالس تفسيره بإيراد أقوال العلماء . بغض النظر عن مذاهبهم . ثم يعقبها بالمناقشة أو التصحيح، فقد يورد القول ويعقب عليه برأيه الشخصي، أو يورد أقوالاً يرى فيها الخطأ من أجل تصحيحها، وقد يؤدي ذلك إلى تشتت القارئ وارتباكه بين الآراء الكثيرة والمختلفة.

- كثرة النقل عن السابقين خاصة في تقرير المسائل الاعتقادية والخلافية وقد يتجاوز النقل الصفحة خاصة عند نقله عن ابن عطيّة والزمخشري والفخر الرازي وأبي حيان، وامتازت نقولاته بالأمانة العلمية والموضوعية في عرض هذه الآراء، فلا تكاد تجده ينقل قولاً إلا وثقه وعزاه إلى قائله.

---

(1). السور التي لم يرد تفسيرها هي كالتالي: سورة الروم، العنكبوت، إبراهيم، المنافقون، البلد، الشمس، الشرح، التين، العلق، القدر، البينة، الزلزلة، الهمزة، الفيل، الفلق، الناس.

وقد جعل بعض العلماء[1] هذه النقول سبباً لانتقاد ابن عرفة والحط من تفسيره، لأن التفسير أصبح جمعاً لأقوال العلماء فقط.

وأثناء سرده لأقوال العلماء نجده على حالتين:

1. يشير أحيانا إلى المصدر الذي استقى منه القول، كقوله:" قال الفخر في المحصول"[(2)]أو ينسب صراحة لصاحبه إما بنقل حرفي للكلام، وقد يكتفي بذكر المعنى دون اللفظ.

2. وأحيانا أخرى يحيل الكلام إلى جماعة من أهل ذلك الفن، كقوله: الاستئناف عند البيانيين أو قوله: ومن النحويين وقوله ذكر بعض الموثقين.

وقد يقتصر أحيانا على قوله: ذكر غيرهم، وذكر بعضهم،..[(3)]

ـ وفي بعض المواضع ينقل الشيخ ابن عرفة من بعض المؤلفات دون الإشارة إلى مؤلفيها، وأحيانا يكتفي بذكر اسم شهرة الكتاب فقط.

ـ نجده ينقل كلام شيخه ابن عبد السلام[(4)]، وشيخه ابن الحباب[(5)] أو غيره من العلماء، وقد يكون النقل بالحرف ولا يحيل إليه.

---

(1). من بين هؤلاء ابن عاشور حيث يقول:" والموجود من «تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي» من تقييد تلميذه الأبي وهو بكونه تعليقا على «تفسير ابن عطية» أشبه منه بالتفسير، لذلك لا يأتي على جميع آي القرآن"، لأن ابن عرفة رد على ابن عطية كثيرا، لهذا فإنه يطغى على التفسير كله لشدة الاهتمام به والتعليق عليه، الأمر الذي جعل ابن عاشور يعتبر تفسير ابن عرفة تعليقا على تفسير ابن عطية. ينظر: التحرير والتنوير، محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م، ج1، ص: 7.

(2). تفسير ابن عرفة، مرجع سابق، ج1، ص: 125.

(3). تفسير ابن عرفة برواية البسيلي دراسة وتحقيق لسورة الأعراف، العالية شعراوي، رسالة ماجستير، تخصص أصول الدين، جامعة الجزائر، 2005. 2006م، ص: 106.

(4). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 99، 100، 164، 117، 138، 154، 215، 244، 245، 265، 370، 279، 319، 417، ج2، ص: 7، 61، 72، 98، 108، 126، 127، 139، 141، 195، 233، 242، 257، 261، 336، 370، 379، 396، 399، 413، 428، 430، 431؛ج3، ص: 48، 121، 153، 175،228، 235، 236،244، 251، 287، 299، 307، 309، 356 ، 379، 381؛ج4، ص: 50، 87، 228.

(5). المصدر نفسه، ج3، ص: 142، ج4، ص: 50، 244، 357، 427،

- بعض النصوص ينقلها بالمعنى، ويقدم فيها ويؤخر دونما إشارة أو بيان.
- قد ينسب في بعض الأحيان كلاماً لعالم ويكون لغيره.
- قد يطيل النقل عن العالم الواحد في نفس الموضوع إطالة غير مبررة.
- قد يذكر بعض الآراء المختلفة ولا يرجح بينها، ولا يعلق عليها.[1]

(1). ينظر: تقييد ونكت على تفسير ابن عرفة للإمام ابي العباس أحمد بن محمد البسيلي، مرجع سابق، ص: 143.

المبحث الثاني: منهجه في التفسير

إن المتتبع لتفسير الإمام ابن عرفة يجد نفسه أمام موسوعة علمية تجمع أقوال المفسرين والنحويين والأصوليين والفقهاء والقراء وغيرهم، كما أنه لم يهدف إلى أن يخرج للناس بكتاب في التفسير، ولقد ذكر ابن عرفة أنه ليس بمفسر، وأن ما يقوم به لا يعدو أن يكون تجميعا لأقوال من سبقه من العلماء، وهو تواضع معهود عن إخوانه من العلماء، وإلا فالمطلع والمطالع لتفسيره يدرك مدى عمقه وتبحره في هذا العلم.

إنما الطريقة الفريدة في تعامله مع النص القرآني أنتجت لنا تفسيرا يختلف عن كل التفاسير الأخرى؛ فهو يعتمد في دروسه المباحثة والحوار العلمي مع تلاميذه، أو في مناقشة مشايخ عصره تونسيين كانوا أو أندلسيين،[1] كما ورد في أحد الكتب: "ونذكر ما وقع بين ابن عرفة وابن لب وكذا بينه وبين الشاطبي في المراجعات والأبحاث في عدة مسائل".[2]

لقد أشار الإمام ابن عرفة في مقدمة تفسيره إلى المنهج الذي سلكه في تفسيره، حيث عرف علم التفسير بقوله: "هو العلم بمدلول القرآن وخاصيته، وإعجازه ومعانيه الثابتة كيفية ومتشابهه والناسخ والمنسوخ".

وموضوعه: القرآن الكريم.

ودليله: القرينة والبيان، لأن المفسر فسر اللفظة بمعنى ويستدل عليها بشواهد من الشعر، وكذلك يستدل على إعرابها.

وفائدته: استنباطه الأحكام والمعاني من أصول الدين وأصول الفقه والعربية.

وحكمه: أنه فرض كفاية وهو الآن ساقط لحصوله في الكتب، وقام به جمع كثير.[3]

لكن يمكن القول إن الأمة لا تزال تحتاج إلى التفسير كونه متجدّدا في كثير من ثناياه، ولذلك فالمصادر القديمة غير كافية وغير مسقطة للواجب الكفائي.

---

(1). تفسير ابن عرفة برواية البسيلي . دراسة وتحقيق سورة الأعراف .، ص:104.

(2). نيل الابتهاج، مرجع سابق، ص: 469.

(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 19، 20.

أما الطريقة التي كان يتبعها بمجالسه مع تلاميذه فكانت قائمة على النظر الدقيق، والاستدلال القوي والمناقشة المعمَّقة، وهذا ما يؤكده الفاضل بن عاشور:" كان ابن عرفة يسلك مسلك الجمع والتحليل والإملاء، فتُتلى الآية أو الآيات بين يديه ثم يأخذ معناها بتحليل التراكيب، وإيراد كلام أئمة اللغة أو النحو على معاني المفردات ومختلف التراكيب، منشداً على ذلك الشواهد وموردا الأمثال والأحاديث، ويهتم بالتخريج والتأويل حتى تتضح دلالة الآية مستقيمة على المعنى الذي يتعلق به...". [1]

وسوف أذكر أهم معالم هذا المنهج على النحو التالي:

المطلب الأول: التفسير بالمأثور

لقد ورد في كتب علوم القرآن أن التفسير بالمأثور "يشمل ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول ﷺ، وما نُقِل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نُقِل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم.

وإنما أدرجنا في التفسير المأثور ما رُوِىَ عن التابعين – وإن كان فيه خلاف: هل هو من قبيل المأثور أو من قبيل الرأي – لأننا وجدنا كتب التفسير المأثور، كتفسير ابن جرير وغيره، لم تقتصر على ذِكْر ما رُوِيَ عن النبيّ ﷺ وما رُوِيَ عن أصحابه، بل ضمت إلى ذلك ما نُقِل عن التابعين في التفسير". [2]

فهو يشتمل على ما جاء في تفسير القرآن الكريم نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن النبيّ ﷺ، وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم؛ مع حكاية الخلاف في إدخال التابعين في التفسير المأثور. [3]

---

(1). التفسير ورجاله، مرجع سابق، ص: 105.

(2) . التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج1، ص: 112.

(3). ينظر: مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث، محمد النقراشي السيد علي، مكتبة النهضة، القصيم . السعودية، ط1: 1407هـ . 1986م، ص: 69، فصول في أصول التفسير، مساعد بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، ط2: 1423هـ، ص:73.

وقد اهتم الإمام ابن عرفة في تفسيره بالتفسير بالمأثور؛ فيذكر الشواهد من السنة والأقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين، كما أنه يفسر الآيات القرآنية بنظائرها من الآيات الأخرى، وتفصيل ذلك:

أولاً . تفسير القرآن بالقرآن:

فإن قال قائل:" فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اخْتُصِر من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر"[(1)] فتفسير القرآن بالقرآن يُعدُّ أقوى أنواع التفسير؛ إلا أنه لا يُقطع بصحته إلا إن كان الذي فسر الآية بالآية رسول الله ﷺ، أو وقع عليه الإجماع، أو صدر عن أحد الصحابة ولم يُعلم له مخالف، وأما ماعدا هذه الصور فإنه لا يُجزم بصحته لأنه اجتهاد من قائله يخطئ فيه ويصيب، مع أن الطريقة التي سلكها من حيث المبدأ صحيحة، لكنه قد يخطئ في التطبيق لأن للاجتهاد مدخلاً في هذا النوع من أنواع التفسير.[(2)]

وقد سلك ابن عرفة في تفسيره منهج تفسير القرآن بالقرآن وأكثر منه، ومن أمثلة تفسير ابن عرفة للقرآن بالقرآن كالذي جاء في تفسير سورة الفاتحة : قيل إن البسملة آية من كل سورة، ومعناه أنها آية مع كل سورة وليست جزءًا من كل سورة، وتكرر إنزالها مع كل سورة، مع تمثيل قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٨﴾(سورة الرحمن الآية: 13). [(3)]

وجاء أيضا في شرح معنى الإنعام في قوله تعالى:﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝٧ ﴾(سورة الفاتحة الآية:7)، إن العبد إذا ذكر نعمة أسندها إليه؛ قَالَ تَعَالَى:﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ۝٤٨﴾ (سورة الشورى الآية:48)، وكذلك

(1) . مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو العباس بن محمد ابن تيمية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1490هـ.1980م، ص: 39.

(2). قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان، السعودية، 1415هـ، ص: 109.

(3) . تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 25.

قال إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام" ـ.[1] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾(سورة الشعراء الآية: 80).

ويكتفي في غالب الأحيان بالإشارة إلى السورة دون تحديد رقم الآية، ومثال ذلك ما نقله عن الزمخشري في تفسير قوله تعالى:﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ أي النور ضوء النار وضوء كل شيء وهو نقيض الظلمة، والضياء إفراط الإنارة، فالنور عنده زيادة في الضياء، قال الله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ۝٥﴾(سورة يونس الآية: 5)،[2] وعنه أيضاً من سورة البقرة، في قوله تعالى:﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾، أورد الزمخشري سؤالاً قال فإن قلت: لم قال: "يُضِلُّ بِهِ كثيراً" وهم قليلون، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣ ﴾ (سورة سبأ الآية:13) وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾(سورة ص الآية: 24) فأجاب ابن عرفة بقوله:" السؤال غير وارد؛ لأن " ٱلشَّكُورُ" أخص من الشاكر، والشاكر مهدي فلا يلزم من كون الشاكر قليلا أن يكون المهدي قليلا".[3]

ومن تفسير ابن عرفة القرآن بالقرآن قوله في تفسير الآية الكريمة:﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ ﴾ (سورة البقرة الآية: 19). ورد في معنى كلمة ظلمات:" يحتمل أن يكون من باب القلب، لأن المطر ينزل في الظلمات؛ لأن الظلمات فيه، ويحتمل أن يكون الظلمات في المطر حقيقة، والأول أظهر. وقوله في الآية الكريمة:﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾ (سورة يس الآية:8). وتقدم أنه من باب القلب فإن أعناقهم هي التي في الأغلال لا العكس".[4]

ومثال ذلك ما قاله عند تفسيره قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ (سورة القمر الآية:50)، ذكر فيها ابن عرفة: "أنها تمثيل بأقرب ما يمكن في الأمور الجليّات، وإلا

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 39.
(2). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 60.
(3). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 83.
(4). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 63.

فالعقل يهدي إلى أنه أسرع من ذلك وأقرب، وفي آية أخرى قال تعالى:﴿ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ ﴾(سورة النحل الآية: 77)".[1]

ومن تفسير القرآن بالقرآن يظهر أنه استعان بالآيات في إيضاح المعاني اللغوية لبعض ألفاظ القرآن الكريم؛ ومن ذلك قوله في تفسير الآية الكريمة:﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٨ ﴾ (سورة المنافقون الآية:4):"خص هذا بـ (يعلمون)، والأول بـ (يفقهون)، لأن الفقه في اللغة فهم الأشياء الدقيقة، والعلم أعم منه؛ لأن كون العزة لله ولرسوله معلوم بالضرورة، فالمنازع فيه لَا علم له، فضلا عن أن يكون له فقه، فهو مسلوب عنهم العلم، فكأنهم مجانين لَا عقول لهم، وإن كانوا يعلمون بعض العلم، كقولك: أكلت شاة كل شاة، مع أنها ليست هي الكل ويجاب أيضا بأن قولهم (لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ)، لَا يصدر إلا بعد تأويل وتدبر، فناسب الفقه؛ لأنه يعم الأشياء الدقيقة، وقولهم (لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ)، حكم على الغيب الذي لَا يعلمه إلا الله، فناسب نفي العلم".[2]

ويستعين ابن عرفة بالآيات القرآنية في توضيح بعض المسائل النحوية المتعلقة بالتعبير القرآني، إذ يقول في تفسير قوله تعالى:﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ ﴾(سورة البقرة الآية: 24).

قال ابن عرفة: فإن قلت: لم تخلص الفعل للماضي (وإن) تخلصه للاستقبال وهما متباينان؟

فالجواب: أنّ "لم" خلصت الفعل "ولن" دخلت على الجملة فخلصتها.

قال بعض الناس: فإذا قلت: إن لم يقم زيد قام عمرو "فلم يقم" مستقبل باعتبار ما مضى. والمعنى أن يقدر في المستقبل أنه لم يقم (زيد) فيما مضى فقد قام عمرو.

ونظيره ما أجابوا به في قوله تعالى:﴿ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ ﴾ لأن الشرط يخلص الفعل للاستقبال والمعنى يدل على أنه ماض.

(1) تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص:119.

(2) المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 233.

قالوا: المراد أن يقول في المستقبل إني إن قلته فيما مضى فقد علمته فكذلك هنا. فإن قلت: لم عدلوا في قولك: إن قام زيد قام عمرو إلى لفظ الماضي والأصل أن يعبروا بالمستقبل لفظا ومعنى؟

قلت: إما لتحقيق قيامه في المستقبل حتى كأنه واقع أو التفاؤل بذلك أو للتنبيه على أن قيامه محبوب مراد وقوعه.

فإن قلت: (كان يلزمهم) أن يعبروا "**بإذا** "(موضع إن)؟

قلت: إذا لا تدخل إلا على المحقق وقوعه وإن تدخل على الممكن وقوعه، وعلى المحال مثل: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ﴾ "**فإن**" أعم من أن تكون في هذا وفي هذا".(1)

واستعان ابن عرفة بالقرآن الكريم في بيان الوزن الصرفي لبعض الألفاظ القرآنية ومن شواهد ذلك قوله في (خبير) في الآية الكريمة:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾(سورة المائدة الآية:8) خبير مشتق من الخبر، والخبر في الغالب إنما يكون عن الماضي لَا عن المستقبل بدليل إذا نظرنا ما سمع أحدنا من الأخبار فنجد أكثرنا يسمع منها المخبر عن ما مضى، وخبر المستقبل يدل بالنسبة إلى الماضي، قيل له: ويتناول هذا المستقبل، لقوله (تَعۡمَلُونَ) فقال: المستقبل إذا قدرنا وقوعه بما مضى منه وانقطع خبره وما بقي دائما حاليا فهو عامّ".(2)

وفي قوله تعالى:﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٤٧ ﴾(سورة الأنعام الآية: 147):"منهم من قال الخطاب ب ذو أبلغ من اسم الفاعل، ومنهم من عكس فحجة الأولين قوله تعالى:﴿ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦ ﴾ (سورة يوسف الآية: 76)، وقوله تعالى:﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ ﴾ (سورة البقرة الآية: 280) لأنه لو قيل: وفوق كل عالم عليم لم يكن فيه فائدة، وإنَّما الفائدة في الإخبار، بأن من يظن بلوغه النهي في الغاية في العلم فوقه من هو أعلم منه".(3)

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 73. 74.

(2). المصدر نفسه، ج2، ص:95.

(3). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 197.

كما يبّين ابن عرفة بالآيات الكريمة بلاغة التعبير القرآني من خلال استخراجه مجازات القرآن، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٤ ﴾ (سورة الجاثية الآية:34) قال:" ذكروا في المجاز أنه لَا بد له من علاقة، وأن العلاقة ترجح الحمل على المجاز مع جواز الحمل على الحقيقة، قالوا: وقد تكون العلاقة توجب الحمل على المجاز مع جواز تحريم الحمل على الحقيقة، ويسمى هذا عندهم الدليل البرهاني، ومنه هذه الآية؛ لأن النسيان بمعنى الذهول مستحيل على الله تعالى، ففسر هنا النسيان بمعنى الترك، واقترانه باليوم يمنع حمله على الحقيقة لاستحالة نسيان الأمر الحالي؛ إذ هو مرئي ومشاهد، وإنما ينسى الغائب".[1]

وكذا عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ ﴾ (سورة الحديد الآية:1) قال:" التسبيح إمّا حقيقة ويقع على أنواع، لأنهم متنوعون إلى ملائكة وإنس وجن، وإما مجازا، وقرره بوجهين:

*أحدهما: أن هذه الجمادات والأشجار إذا نظر إليها الناظر المعتبر، وفكر في إتقانها وإحكامها يعتقد أن لها خالقاً متصِفاً بصفات الكمال، منزهاً عن النقائص، فهي سبب في التسبيح، ولا يصح أن تكون هي مسبِّحة حقيقةً، لئلا يلزم عليه أحد أمرين: إما وقوع التسبيح من الجماد، وإما قيام الحياة بالجماد، وكلاهما باطل، لأنه حالة التسبيح حيٌّ ليس بجماد.

*والثاني: أنها مسبحة بلسان الحال لافتقارها في كل زمن إلى الاستمداد بالعَرَض من الطعم، واللون، والرائحة،...".[2]

ومن مجازات القرآن الكريم التهكم، وهو عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة في موضع النذارة، والوعد في مكان الوعيد تهاونا من القائل بالمقُول له[3]، ومن أمثلته ما جاء في تفسير ابن عرفة لهذه الآية الكريمة:﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 16.
(2). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 151.
(3). بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ص: 283.

مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾(سورة الرعد الآية:18) "هذا تهكم بهم لأن ذلك عليهم لَا لهم وكذلك قوله (وَبِئْسَ الْمِهَادُ) تهكم لأن المهاد هو ما يفرش ويوطأ".[1]

وفي قوله تعالى:﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (سورة الصف الآية:8):"إدخال اللام في " ليطفئوا" تهكم بهم وتأكيد للسببية، ولو اقتصر على الإرادة لاحتمل أن ذلك لم يخطر بعقولهم عند افتراء الكذب، فأدخلت اللام بيانا لأنهم أرادوا الكذب لأجل أن يطفئوا نور الله، تحقيقاً لسخافة عقولهم".[2]

فمن أمثلة المجاز المرسل إطلاق المسبّب على السبب نحو: قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ﴾(سورة البقرة الآية:284):"من إقامة المسبب مقام سببه لأن المحاسبة عليه متسبّبة عن العلم به أي يعلمه الله فيحاسبكم عليه".[3] ويقول أيضاً في تفسيره للآية الكريمة:﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾﴾ (سورة يوسف الآية:84):"إن الحزن سبب في البكاء؛ والبكاء سبب في البياض فهو من إقامة سَبَب السَّبَبِ مقام السَّبَبِ".[4]

ومن أمثلة المجاز المرسل إطلاق السبب على المسبب نحو: قوله تعالى:﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾(سورة آل عمران الآية: 89) قال: "من إقامة السبب بمقام مسببه، أي إن الله يتوب عليهم، ويقبل توبتهم لأنه غفور رحيم".[5]

وقال في تفسير الآية الكريمة: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾(سورة يونس الآية:59):"يحتمل أن يكون من

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 428.
(2). المصدر نفسه، ج4، ص: 225.
(3). المصدر نفسه، ج1، ص: 336.
(4). المصدر نفسه، ج2، ص: 402.
(5). المصدر نفسه، ج1، ص: 381.

باب إطلاق السبب على المسبب؛ فيكون الرزق حقيقة في الطعام وأطلق عليه اسم الإنزال، ويحتمل العكس فيكون الرزق مجازا في الماء، والإنزال حقيقة". (1)

ويستعين الإمام ابن عرفة بالقرآن الكريم في توجيه القراءات القرآنية، ومن شواهد تفسيره للآية الكريمة:﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ ﴾(سورة مريم الآية:5) :"قرئ (خُفْتُ) ومعنى من ورائي من بعدي، فعلى قراءة (خِفْتُ) يفهم معنى الآية؛ لأنه بمنزلة رجل ومات نظراؤه في صناعته؛ حتى لم يبق منهم إلا إنسان، فيقال: خفت الصناع من بعدي؛ لأنه يقطع إذا مات لَا يبقى إلا إنسان، وعلى قراءة (خُفْتُ) لا يصح المعنى؛ لأنه إذا مات ارتفع خوفه من هذه من رضى الدنيا لَا يخاف مما كان بعد موته". (2)

ويقول في الآية الكريمة:﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ﴾ (سورة الحج الآية:39):"إما على قراءة فتح التاء فظاهر تقدم الإذن، وإمَّا على قراءة كسرها فيكون الإذن الآن، وفقا لهم مثل قوله تعالى:﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ (سورة البقرة الآية: 2)، أي الصائرين للتقوى، ولذلك يقاتلون، أي الذين يقاتلون في المستقبل". (3)

ويقول ابن عرفة في الآية الكريمة:﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ ﴾(سورة محمد الآية: 5) :"أما على قراءة (قاتلوا) فظاهر، والمراد :﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾لأداء الفرائض ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ بأفعال المندوبات، أو ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾لطاعته ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ بخير ما نقص منها أو تتميم ما بقي عليهم من أفعال البر والإعانة أو بمغفرة ذنوبهم، وأمَّا على قراءة (قُتلوا) فالمراد سيهديهم في الدار الآخرة إلى طريق الجنة بالفعل ويغفر ذنوبهم ويدخلهم الجنَّة". (4)

ويبين ابن عرفة بالآيات الكريمة تفصيل ما أُجمل في آية أخرى ففي تفسير قوله تعالى:﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧ ﴾(سورة الواقعة الآية:27)، قال: "كررها في أول السورة

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 345.
(2). المصدر نفسه، ج3، ص: 109.
(3). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 190
(4). المصدر نفسه، ج4، ص: 24.

وهنا، فهو إما أجمل أولا وفصَّل هذا، وذكره أولا من حيث الإجمال، وهنا من حيث الجزاء المرتب عليه، والمراد أن من يأخذ كتابه بيمينه، أو أصحاب اليمين محلهم عن يمين العرش، والأول أظهر".(1)

وقال في تفسير قوله تعالى:﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾(سورة البقرة الآية: 151):"إن هذا تكرار، ففصل في أولها ثم (أجمل) ﴿ مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾شمل الكتاب والحكمة. ومنهم من قال: إنّ العلم قسمان: علم يكون للإنسان بحيث لو شحذ قريحته، وفكر فيه لأدركه من تلقاء نفسه بعقله وفطرته، وعلم لا يمكن للإنسان التوصل إليه من ذاته، ولا يقبل أن يتعلمه وحده بعقله بوجه. وهذا هو المراد بقوله﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾أي ما لم تكونوا قابلين لمعرفته بعقولكم".(2)

ويقول في تفسير ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ في قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ ﴾(سورة البقرة الآية:49):"فذكر في البقرة سوء العذاب مجملا، ثم بينه بذبح الذكور وإحياء النّساء، لأن القصد الإطناب بدليل زيادة {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ البحر} وأشار في السورة الأخرى بقوله: {يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ}) إلى جملة ما (امتحنوا) به من فرعون وقومه من استخدامهم وإذلالهم بالأعمال الشاقة، وذبح الذكور واستحياء النساء ثم جرد منها أعظمها امتحانا، فعطفه لأنه مغاير لما قبله فقال: «يُذَبِّحُونَ» إشعارا بشدة الأمر فيه، وهو مما أجمل فيه، كما ورد في قوله تعالى:﴿ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾(سورة البقرة الآية :98)خصصهما بالذكر إعلاما بمكانهما".(3)

وابن عرفة بيّن في تفسيره مطلق القرآن بالمقيد، ومن شواهد ذلك قوله في الآية الكريمة:﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 138.
(2). المصدر نفسه، ج1، ص: 187.
(3). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 112.

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾(سورة النور الآية:63) "والنهي للتحريم والمصدر مضاف إما للمفعول، أي دعاؤكم للرسول، وهو أن الداعي إذا دعا يقول: السلام عليك يا رسول الله، ولا يقول: السلام عليك يا محمد، فأمروا بالتأدب معه؛ أو مضاف للفاعل، أي لَا تجعلوا دعاء الرسول لكم إلى أمر من الأمور كدعاء بعضكم لبعض بحيث تمتثلوا أمره تارة، وتخالفوه أخرى، فإن قلت: ما فائدة قوله (بَيْنَكُمْ)، والأصل عدمه؛ لأن النهي المطلق أولى من النهي المقيد؟ فالجواب: أنهم إذا نهوا عن مخالفة أمره فيما بينهم، أي في حال غيبته عنهم، فأحرى أن ينهوا عن مخالفة أمره فيما بينهم وبينه، أي بحضرته معهم، فيعلق النهي بالأخص؛ ليدل على ما عداه من باب أحرى". [1]

ومن أمثلة تفسير القرآن بالقرآن عند ابن عرفة عطف عامّهِ على خاصّهِ كما في تفسيره للعموم في الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾(سورة البقرة الآية:64). إن قلت:" قوله (فَضْلُ اللَّهِ) معقوله (وَرَحْمَتُهُ) تكرارٌ؟ فالجواب أنّ هذا ليس بتكرار، بل فضل الله راجع إلى قبول التوبة، ورحمته راجعة إلى نفس التوبة، أو أنّ فضل الله راجع إلى الثواب والإنعام، ورحمته أعمُّ من ذلك فتتناول رفع المؤلم فقط، أو دفعه مع جلب الملائم، فهو من عطف الأعمِّ على الأخصِّ". [2]

وفي قوله تعالى:﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾﴾(سورة غافر الآية:79):" هذا من عطف العام على الخاص لأن المركوب خاص ببعض النَّاس وخاص بالإبل، والأكل عام في جميع النَّاس، وعام في جميع الأنعام". [3]

ومن أمثلة عطف خاصّه على عامّه، ما جاء في تفسير الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾(سورة الأحزاب الآية: 35) قال: "قدّم وصف الإسلام على وصف الإيمان لأمرين:

---

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 230.

(2). المصدر نفسه، ج1، ص: 124.

(3). المصدر نفسه، ج3، ص: 403.

***أحدهما**: أن الإسلام أمر ظاهر، والإيمان أمر باطن، ونسبة الأول للثاني نسبة الدليل إلى المدلول.

***الثاني**: أن الإسلام يستلزم الإيمان لأن الإيمان شرط فيه، فالإسلام عامّ والإيمان خاص، فهو من عطف الخاص على العام". (1)

وأيضاً في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (سورة النور الآية:22)، قال ابن عرفة: "أولوا الفضل منكم والسعة" من عطف الخاص على العام؛ لأن الفضل هو الزيادة في المال، أعم من أن يكون فيه اتساع أو لا". (2)

ومن تفسير القرآن الكريم بالقرآن أنه كان يذكر الآيات المتناظرة كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٥﴾(سورة آل عمران الآية:145): "تضمنت الآية أنهم على ثلاثة أقسام: مؤمن مجاهد في سبيل الله ثابت على دينه، وآخرون ارتدوا على أعقابهم وهموا بالردة، وآخرون اشتغلوا بالغنائم ومتاع الدنيا، قال تعالى في سورة هود: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾(سورة هود الآية:15-16) وقال تعالى: في سورة الإسراء الآية :18﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝١٨﴾، وقال تعالى في سورة الشورى الآية :20﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝٢٠﴾. (3)

ومن منهج الإمام ابن عرفة في تفسير القرآن بالقرآن أنه يذكر ما قد يرد من أسئلة حول معنى النص القرآني ثم يذكر الإجابة عنها مستشهداً بالآيات القرآنية، ومن شواهد ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾(سورة التكاثر الآية:8) :"إن كان سؤال توبيخ للكافر،

(1). ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 297؛ درر المعرفة، مرجع سابق، ج1، ص: 236.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص:227.

(3). المصدر نفسه، ج1، ص: 425.

فظاهر تأخيره عن رؤية الجحيم لأنهم يُسألون، قال تعالى:﴿ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٩ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢ ﴾(سورة المدثر الآية :39. 42):"وإن كان سؤال حقيقة، فيكون بعد رؤية الجحيم الرؤية التي هي عرض ومعاينة، لَا بعد الدخول".[1]

وقال الإمام ابن عرفة بعد تفسيره الآية الكريمة:﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾ (سورة الكافرون الآية:1):"القرآن كله مأمور بقوله وتبليغه، وتخصيص ما خصص منه بالأمور بقوله (قُلۡ)، قيل إما تعظيماً لأمره، أو تهويلاً لحاله واعتناءً بشأنه، وإما لأنه هو جواب عن سؤال مقدر كما قال ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ۝١٠٥ ﴾(سورة طه الآية:105)﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾(سورة الإسراء الآية:85) :"فهذه الآية تدل على أن الكفار طلبوا من النبي ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا هم إلهه سنة فقال: "معاذ الله أن نشرك بالله شيئا"، فقالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فنزلت السورة".[2]

والإمام ابن عرفة الورغمي في رفضه لتفسيرات بعض المفسرين يستعين بالقرآن الكريم على رفضها ومؤيداً لتفسيره، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى﴿ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ ﴾(سورة البقرة الآية: 273):" ونقل هنا ابن عرفة كلام المفسرين ثم قال: ويحتمل أن يكون مثل ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾(سورة فصلت الآية: 46)، أي لو قدر صدور السؤال منهم لما قدر وقوعه إلا بالإلحاف لأجل ما نالهم من الجهد والحاجة، ويحتمل أن يكون مثل :قول الله تعالى﴿ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ ﴾(سورة الأنبياء الآية: 103)، فيكون من باب نفي استلزام الأخص أمرا وإذا لم يستلزم الأخص أمرا لم يستلزمه الأعم. والمعنى: لا يسألون الناس لأجل الإلحاف في السؤال، أي لأجل سبب الإلحاف وهو شدة الحاجة، وإذا لم يسألوهم لأجل شدة الحاجة فأحرى أن لا يسألوهم لأجل سبب عدم الإلحاف، وهو مطلق الحاجة فقط.

قال الفخر بن الخطيب: يحتمل أن يراد بالإلحاف تأكيد صبرهم.

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 345.

(2) . المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 353.

قال ابن عرفة: ينبغي أن يوقف على قوله: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ﴾ مصدر، أي يلحفون إلحافا، أي يبالغون في شدة صبرهم وتجلدهم على الفقر". (1)

وفي تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةًۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤﴾ (سورة النساء الآية:4):"ظاهر الأمر الوجوب، ونقل كلام المفسرين، ثم قال: وعندي أنا في هذا أنه إنما قال: (نِحۡلَةًۚ) ليبينه على الحالة التي نظر فيها عدم إتيانهن الصداق، وهي إذا ماتت الزوجة قبل البناء عقب عقد النكاح وكانت فقيرة، فإن الزوج يؤدي الصداق مجردة نحلة لَا من عوض، وكذلك إذا مات الزوج فإن الزوجة تأخذ الصداق من تركته نحلةً من غير عوض، فإذا أمروا بدفعه حالة كونه نحلة فأحرى أن يلزمه دفعه إذا كان عن عوض، قلت: أو هو إشارة إلى أحد القولين فما إذا تطوع الزوج بعد العقد، وقبل البناء بزيادة الصداق ألحقها به، وجعل حالها كحاله؛ لأن النحلة هي العطية لَا لعوض، وهذا كذلك لجعلهم إياها كالهبة، لأن المعطي ما ذكرها قال: يقضى على الزوج بها فإن لم تقبضها حتى مات أو طلقها قبل البناء فلها عليه نصف الزيادة إن طلق، ولا شيء لها إن مات؛ لأنها عطية لم يقبض". (2)

وكذا في قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ ﴾(سورة الزمر الآية:4):"يحتمل أن يريد ما عظموه حق تعظيمه، وهو مقتضي كلام المفسرين، ويحتمل أن ما عظموه مطلق تعظيمه؛ وهو الصواب، لقوله تعالى في سورة الأنعام:﴿إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ﴾ (سورة الأنعام الآية:91):"فهم أنكروا الرسالة، فلو عظموه مطلق التعظيم لصدقوا الرسول الوارد عنه، والقرآن يفسر بعضه بعضا.

قيل لابن عرفة: تأكيده بالمصدر دليل على أن المراد أخص تعظيم، فقال: التأكيد يشعر بأن المراد التعظيم الواجب التكميلي". (3)

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 323.
(2). المصدر نفسه، ج2، ص:5.
(3). المصدر نفسه، ج3، ص: 390.

ساهم الإمام ابن عرفة في إثراء مبحث حذف التقابل بإضافات غزيرة ونفيسة، كما أن النماذج التي يستخرجها ويذكرها لا تكاد توجد في التفاسير التي بين أيدينا، خصوصاً عندما نقارن بينها وبين ما ورد في " نظم الدرر" للبقاعي، و" روح المعاني" للألوسي، و" التحرير والتنوير" لابن عاشور، وهي التفاسير التي اعتنت كثيراً بإبراز حذف التقابل أو الاحتباك، وهذا مع ملاحظة التقدم الزماني لجهود الإمام ابن عرفة في هذا الصدد[1]، ومن أمثلة ذلك نذكر قوله تعالى:﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا﴾ (سورة آل عمران الآية: 120) قال ابن عرفة:" وفي الآية حذف التقابل، وذلك أن حصول الأمر الملائم المعبر عنه بالحسنة سبب في الفرح، والأمر المؤلم المعبر عنه بالسيئة سبب في الحزن، فإذا مست المؤمنين حسنة جعل للمنافقين أمرين:

. ضررا في أبدانهم، وهو مشقة مشاهدتهم ذلك وسماعه.

. وحزنا في قلوبهم .

وإذا مست المؤمنين سيئة حصل للمنافقين بذلك:

. تنعم في أبدانهم بمشاهدتهم لذلك، وسماعهم إيّاه.

. وفرح قلوبهم وابتهاج في نفوسهم.

فكأنه يقول: (إِنَّ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ) ويحزنوا بها، وإن تصبكم سيئة تنفعهم ويفرحون بها؛ لأن السوء يهدي للتنعيم، والحزن ضد الفرح، أي إذا تنعمتم تضرروا هم وحزنوا فإذا أصابكم سوء وضرر تنعموا وفرحوا".[2]

ويقول ابن عرفة في الآية الكريمة:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝﴾(سورة المائدة الآية: 9. 10):" وفي الآية حذف التقابل، لأنه ذكر في قسم المؤمنين الحكم بثواب عملهم، ولم يذكر ما به يقع الثواب، وذكر في قسم الكافرين ما به يقع العذاب، ولم يذكر الحكم بتعذيبهم، فالتقدير في

(1). درر المعرفة، مرجع سابق، ج1، ص: 225.

(2). تفسير اين عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 405.

الأول: " لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ "وهم أصحاب الجنة، والتقدير في الثاني:"أُوْلَٰٓئِكَ " لهم عذاب أليم وهم " أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ".(1)

ثانياً . تفسير القرآن بالسنّة:

تعتبر السنّة النبوية مصدراً أصلياً للشريعة الإسلامية، ولذلك فمكانتها رفيعة عظيمة، ولها قوة تشريعية ملزمة، وعليها يقوم جزء كبير من كيان الشريعة، وليس للمسلم إلا اتباع أوامرها والوقوف عند حدودها، فالقرآن الكريم نفسه يرد إلى السنة ويوجب على المسلمين أن يطيعوا الرسول ﷺ، ويَعُد طاعة الرسول طاعةً لله، قال تعالى:﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (سورة النساء الآية:80)، ويقرر القرآن أن رسول الله ﷺ أسوة حسنة لكل من آمن بالله واليوم الآخر، وأوجب الله في القرآن النزول على حكم النبيّ في كل خلاف، وأقسم الله . تبارك وتعالى . على نفي الإيمان عن كل من لا يحكمه ولا يرضى بحكمه، لأنه جاء ليعلم الناس أحكام دينهم ويزكيهم، إذ أمر الله سبحانه وتعالى نبيّه بأن يبين للناس ما نُزِّل إليه.(2)

من المعلوم بالضرورة عند محققي علماء الأمة من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين، أن السنة النبوية تفسر القرآن، فهي تشرح معاني بعض آياته، وتبين إجمال آيات أخرى، وتقيد المطلق منها، وتخصص العام وتنسخ آيات معينة . على خلاف في تفاصيل ذلك .، وقد أثبت القرآن هذا بأوضح بيان؛ حيث يقول تبارك وتعالى:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (سورة النحل الآية: 44).(3)

لقد اعتمد ابن عرفة السنة النبوية اعتماداً واضحاً، إذ يورد في كثير من المواطن الأحاديث الكثيرة في تفسير الآية الواحدة كما في تفسيره الآية الكريمة:﴿ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾(سورة البقرة

(1). تفسير اين عرفة، مصدر سابق، ج2، ص:97.

(2). ينظر: الحديث النبوي مصطلحه . بلاغته . كتبه، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط4: 1401هـ . 1981م، ص: 19، 21، 22.

(3). ينظر: دراسات في أصول تفسير القرآن، محسن عبد الحميد، دار الثقافة، الدار البيضاء . المغرب، ط2: 1404هـ . 1984م، ص: 117.

الآية:65)، إذ يقول الإمام ابن عرفة: "...وأخرج مسلم في كتاب الصيد والذبائح عن جابر ابن عبد الله قال: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِضَبٍّ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ، وَقَالَ: «لَا أَدْرِي لَعَلَّهُ مِنَ الْقُرُونِ الَّتِي مُسِخَتْ»[1]، وخرج أيضا عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا بِأَرْضٍ مَضَبَّةٍ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ - أَوْ فَمَا تُفْتِينَا؟ - قَالَ: «ذُكِرَ لِي أَنَّ أُمَّةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُسِخَتْ»، فَلَمْ يَأْمُرْ وَلَمْ يَنْهَ.[2] وفي رواية «غَضِبَ عَلَى سِبْطٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَسَخَهُمْ دَوَابَّ، يَدِبُّونَ فِي الْأَرْضِ، فَلَا أَدْرِي، لَعَلَّ هَذَا مِنْهَا، فَلَسْتُ آكُلُهَا، وَلَا أَنْهَى ».[3]

قال ابن عرفة: فإن قلت: يعارض حديث مسلم، أي هذا الحديث لأنه أفاد بأن (الممسوخ) لا يعيش أكثر من ثلاثة أيام؟ فيجاب بأن مراده في الضب أنه مثل المسخ.

قيل لابن عرفة: مثل المسخ كونه شبيها لا يوجب تحريمه؟ فقال: حرمه لأنه مسخت أمة على صفته فلولا أنه مستقبح مستكره عند الله لما مسخت تلك الأمة على صفته.

فقيل له: أو يكون هذا الكلام منه قبل أن يوحى إليه لحديث: أن الممسوخ لا يعيش أكثر من ثلاثة أيام، والضبّ حيوان يشبه الحرضون إلا أن لونه أسود وسيره غير مسرع يكون في الصحاري. قلت: وخرج مسلم في آخر كتاب القدر عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْه قال رجل: يا رسول الله القردة والخنازير هي مما مسخ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُهْلِكْ قَوْمًا، أَوْ يُعَذِّبْ قَوْمًا، فَيَجْعَلَ لَهُمْ نَسْلًا، وَإِنَّ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ»،[4] فمعصيتكم أشد وعقوبتكم أشد»".[5]

ويستشهد الإمام ابن عرفة بمعنى الحديث في كثير من المواطن من تفسيره، دون أن يذكر نصه وتخريجه، ومن شواهد ذلك في تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾(سورة البقرة الآية: 124):" قيل

(1). أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب إباحة الضب، ، رقم(1949)، 1545/3.

(2). أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب إباحة الضب، ، رقم(1951)، 1546/3.

(3). أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب إباحة الضب، ، رقم(1915)، 1546/3.

(4). أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْآجَالَ وَالْأَرْزَاقَ وَغَيْرَهَا لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ عَمَّا سَبَقَ بِهِ الْقَدَرُ، رقم (2663)، 4/ 2051.

(5). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 125. 126.

لابن عرفة: فهل يجوز أن يختبر المكلف حاله عند ربّه؟ فقال: أما عند الاضطرار فجائز كما في حديث الثلاثة الذين أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل فانحطت عليهم من أعلى الجبل صخرة فسدت فم الغار، فقالوا: تعالوا يتوسّل كل واحد منا إلى الله بأفضل عمل عمله؛ الحديث أخرجه الصحيحان".(1)

ومنهج ابن عرفة في إيراد الأحاديث أنه في أغلب المواضع لا يخرجها، ولا يذكر راوي الحديث، ومن شواهد ذلك قوله تعالى:﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ ﴾(سورة العاديات الآية: 10):"أي ظهر ما كان حاصلا في الصدور والتحصيل متعلق بالأقوال والأفعال، لكن لما كانت الأعمال كلها من طاعة وعصيان إلا بنية، لحديث: "إِنَّمَا الأَعْمالُ بِالنِّيَّاتِ"(2) أسند التحصيل إليها لأنها رأس كل عمل".(3)

وقد يعزو الإمام ابن عرفة الحديث إلى من أخرجه من أئمة الحديث ويذكر من رواه من الصحابة كما في تفسيره لقوله تبارك وتعالى:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ (سورة الفاتحة الآية:2) قال:"... وفي حديث مسلم، عن عبد الله بن عمر، عن أبيه في أشراط الساعة :"أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا(4)".(5)

وكذلك قوله في الآية الكريمة:﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢ ﴾(سورة النساء الآية:142):"والمنافقون إن كانوا معلومين للمؤمنين كانت الآية تقبيحا لفعلهم وتحذيرا منه، وإن كانوا مجهولين فهي تقبيح لفعلهم فقط، ابن عطيّة: ومخادعتهم لأولياء الله فيظنونهم غير أولياء، أو لَا يقصد أحد من البشر مخادعة الله تعالى، فرده ابن عرفة: بما روى مسلم في صحيحه في كتاب ذكر المنافقين عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ،

---

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 167.

(2). أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (1)، 6/1.

(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 339.

(4). أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والْقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ، رقم(8)، 36/1.

(5). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 35.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: " اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ، أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ، قَلِيلٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، كَثِيرٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتُرَوْنَ اللهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ وَقَالَ الْآخَرُ: يَسْمَعُ، إِنْ جَهَرْنَا، وَلَا يَسْمَعُ، إِنْ أَخْفَيْنَا وَقَالَ الْآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ، إِذَا جَهَرْنَا، فَهُوَ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا "، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾(سورة فصلت الآية: 22)[1]".[2]

وقد يعزو الحديث إلى من أخرجه ولا يذكر من رواه، ومن شواهد ذلك قوله في الآية الكريمة:﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ (سورة آل عمران الآية: 195):"...بأن الإيمان يوزن ولا يرجح بالسيئات والمسألة علمية، فلا يحتج فيها كما قال المازري في حديث: "مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طَوَّقَهُ اللهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ " مع أنه حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، فكيف بحديث لم يخرجه واحد منهما ولا صححه أحد"[3].

وقد يكتفي الإمام ابن عرفة بذكر موطن الشاهد من الحديث دون إيراده بتمامه؛ ومن أمثلة ذلك قوله في الآية الكريمة:﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾(سورة الأعراف الآية:20) قال:" معارض بقوله ﷺ: " لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعِزَّةِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَدَمَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، وَعِزَّتِكَ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ "،[4] أخرجه مسلم، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عنه ﷺ، وعن قتادة، عن أنس بن مالك، عنه ﷺ".[5]

(1). أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ، رقم(2775)، 2141/4.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 64.

(3). المصدر نفسه، ج1، ص: 458.

(4). تمام الحديث :لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعِزَّةِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَدَمَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، وَعِزَّتِكَ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ "أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّار، بَابُ النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ، رقم(2848)، 2187/4.

(5). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 216.

وقد يستشهد بالحديث لبيان المعنى اللغوي لبعض ألفاظ القرآن الكريم، إذ يقول في الآية الكريمة: ﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾(سورة محمد الآية: 35) :"وهو مأخوذ من الوتر وهو الدَّحْلُ، في صحاح الجوهري بالحاء والدال المهملتين، قال: والدَّحِلُ: الخَدَّاعُ، وفي مختصر العين بالدال المهملة: هو النار، وبالذال المعجمة: هو البيت الصغير، ...".(1)

ومن منهج الإمام أنه يقيّد بالسنة ما أطلقه القرآن ومن شواهد ذلك قوله في تفسير الآية الكريمة:﴿ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾(سورة آل عمران الآية: 154):"فيه سؤال مذكور في حسن الائتلاف لم أسند الابتلاء للصدور والتمحيص للقلوب، ثم أجاب بأن الابتلاء هو الاختبار فهو إشارة إلى كمال تعلق علم الله تعالى، فإذا كان علمه عام التعلق ناسب أن يسند لك الأعم، وهو الصدر، وأما التخصيص فهو تخليص شيء بشيء وتصفيته فالمناسب تعلقه بالمعنى المقصود من الإنسان، وهو القلب كما في حديث "أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ(2)". (3)

وبيّن ابن عرفة بالسنة ما أجمله القرآن الكريم؛ ومن شواهد ذلك قوله في الآية الكريمة:﴿وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾(سورة البقرة الآية: 195):" أي ببذل المال المتطوع، أو يراد به الإحسان الذي في حديث: «وَهُو أَن تَعْبُد اللهَ كَأَنَّك تَراه فَإِن لَمْ تَكُنْ تَراه فَإِنَّه يَرَاك»(4) وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أبلغ من قوله إن الله مع المحسنين، لأن قولك: زيد يحب بني فلان

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 31.

(2). أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، رقم (52)، 20/1.

(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 432.

(4). أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ، رقم (50)، 19/1.

أبلغ من قولك زيد مع بني فلان لأنه قد يكون معهم ولا يحبهم، قال الله تعالى :﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾ ﴾(سورة الحديد الآية: 4)."[(1)]

ومن منهج الإمام ابن عرفة أنه يخصص بالسنة عام القرآن الكريم؛ ومن شواهد ذلك قوله في الآية الكريمة﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾(سورة يونس الآية:36): "ولم يقل: بما يعملون؛ والعمل أبلغ؛ ألا ترى أنهم قالوا في حديث الأعمال بالنيات يستثنى منه النية، وهي القصد إلى النظر، والنظر قبل والنية عملا، وأجيب بأنه إشارة إلى تعنتهم وأن حقهم إظهار الحق وفعله".[(2)]

و كذلك قوله في تفسير الآية الكريمة: ﴿ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (سورة يوسف الآية: 56):" غير المحسن لَا أجر له فيلزم عليه تناقضه مع قوله (نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ)، أما أن المراد به النور المشتملة على المؤمن والكافر، وأن الكافر منعم عليه في الدنيا حسبما قال ﷺ في حديث الإفك لعمر رضي الله عنه: "أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا"[(3)]، وقال أيضا "الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ "[(4)]. قيل لابن عرفة: ليس هو منعما عليه، لقوله تعالى: (إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا). وإمَّا أن المراد بالرحمة الإيمان والخلوص من الكفر".[(5)]

ومن منهج الإمام ابن عرفة أنه في بعض المواطن يورد الحديث ولا يعزوه إلى من خرجه من أئمة الحديث، ولا يذكر من رواه من الصحابة؛ والشاهد على ذلك قوله في تفسير الآية الكريمة:
﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ﴾
(سورة الرعد الآية: 26):" هذا كالدليل على ما قبله لأنه تقدم ذكر فريق المؤمنين وفريق الكافرين أتى بهذا نفيا لما قد يتوهم من أن إيمان المؤمن وكفر الكافر من قبل نفسه، أي كما تعلمون أن البسط في الرزق والإقتار من فعل الله ليس للعبد فيه قدرة، فكذلك اعلموا أنه لا قدرة له على الإيمان والكفر إلا

---

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 234 . 235.

(2). المصدر نفسه، ج2، ص:340.

(3). أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب المظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابُ الغُرْفَةِ وَالعُلِّيَّةِ المشْرِفَةِ وَغَيْرِ المشْرِفَةِ فِي السُّطُوحِ وَغَيْرِهَا، رقم (2468)، 3/ 133.

(4). أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، رقم (2956)، 4/ 2272.

(5). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 393.

بالله، ويحتمل أن يكون وجه المناسبة بينهما أنه لما ذكر فعل المؤمنين وعقابهم وفعل الكافرين وعقابهم؛ أخبر أنّ بسط الرزق على أكثر الكفار في الدنيا، وقبضه على أكثر المؤمنين إنما هو بمشيئة الله تعالى وإرادته حسبما ورد في الحديث " لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تُسَاوِي عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى الكَافِرِ مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ"[1]، وهذا تتجارى فيه النَّاس، وأوسعهم حالا أشد كفراً أو منعاً".[2]

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله في تفسير الآية الكريمة:﴿ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ٣ ﴾(سورة النور الآية: 3):"كان بعضهم يفسره بأمرين: إما أنه حكم بالتحريم، وإمَّا إخبار عن الواقع، أي المؤمنون الكاملون الذين منعوا أنفسهم منه فلا يقعون فيه، ولا يفعله إلا مشرك أو ضعيف الإيمان، كما قاله: "لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُو مُؤْمِنٌ[3]". [4]

ثالثاً. التفسير بالمأثور عن الصحابة:

عاصر الصحابة نزول القرآن الكريم، وعرفوا أسباب نزوله وفهموا القرآن الكريم في جملته،[5] فقد فقد كان الصحابة يعودون إلى النبي ﷺ في فهم القرآن، ومن خلال هذا الرجوع تكون لديهم رصيد عظيم في تفسير القرآن الكريم.[6] ولقد درج الصحابة رضي الله عنهم في فهم كثير من معاني القرآن القرآن على ما عرفوه من لغتهم التي نزل بها القرآن ووجوه مخاطباتها، ولم يكن النبيّ ﷺ ينكر عليهم ذلك التعويل على اللغة، كما كانوا يستدلون أحياناً على تقرير المعنى بشيء من أشعار العرب، وعلى هذا السبيل جرى التابعون وأتباعهم دون نكير.[7]

فمن مصادر الإمام ابن عرفة في التفسير بالأثر، تفاسير الصحابة لبعض الكلمات أو المعاني أوردها بإسناد إلى قائلها في تفسيره للقرآن الكريم، وكثيرا ما ينقل عن ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن (ت68هـ)، وعبد الله بن مسعود (ت32هـ)، وحذيفة بن اليمان(ت 36هـ)، وعمرو بن

---

(1). أخرجه الترمذي، بلفظ" لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ ،بَابُ مَا جَاءَ فِي هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ،رقم (2320)،138/4.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 430.

(3). أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب المظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابُ النُّهْبَى بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهِ، رقم (2475)، 136/3.

(4). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 223.

(5). علم التفسير، محمد حسين الذهبي، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ص: 14.

(6). التيسير في أصول واتجاهات التفسير، عماد علي عبد السميع حسين، دار الإيمان، الإسكندرية ـ مصر، ص: 95، 96.

(7). قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان، ص: 212.

العاص (ت43هـ)، وأبي موسى الأشعري (ت50هـ)، وأم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها- (ت57هـ)، وعبد الله بن عمر بن الخطاب (ت74هـ)، وأبو سعيد الخدري (ت74هـ)، وأنس بن مالك (ت90هـ)، وغيرهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

فمن الشواهد على نقله أقوال الصحابة في تفسير القرآن قوله في تفسير الآية الكريمة:﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾(سورة يوسف الآية: 101) قال:" أي مبتدعها، قال ابن عباس: ما كنت أعرف ما معنى (فَاطِرَ) حتى اختصم إلي أعرابيان في بير فقال أحدهما: أنا فطرتها أي ابتدأتها[1]".[2]

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى:﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ﴾ (سورة البقرة الآية: 24)، بيّن ابن عباس نوعية الحجارة بأنها حجارة الكبريت. ثم حلل ابن عرفة المعنى بأنه مقارنة الناس للحجارة التي هي نار شديدة دائمة، حالة حلول أجسامهم الرطبة فيها، كما لو كان فيها، فإنها لا تزال أبداً تشتعل كاشتعال النار في الوقود".[3]

وكذلك في تفسيره لقوله عزو جل:﴿ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ٣٤﴾(سورة ص الآية: 34):" وقال تعالى في سورة يونس لفرعون﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ ٩٢﴾، ولم يقل: بجسدك،...، ولذلك يقال: فلان بدن، وفي الحديث أن عائشة رضي الله عنها وكرم وجه أبيها قالت: "فَلَمَّا بَدَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،[4] أَيْ فَلَمَّا طَعن فِي السِّن، ...".[5]

وأورد ابن عرفة قول الصحابي في بيان سبب ترك البسملة في سورة التوبة، حيث قال: "تكلم ابن رشد في البيان على ترك البسملة من أولها في أوائل الجامع الأول وذكروا وجوها في سبب إسقاط

(1). ينظر: مسند الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ترتيب محمد عابد السندي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1379هـ – 1959م، رقم (216)، 44/1.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 408.

(3). المصدر نفسه، ج1، ص: 74.

(4). مسند الإمام أحمد بن حنبل في مُسْنَدُ الصِّدِّيقَةِ عَائِشَةَ بِنْتِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رقم (24658)، ج41، ص: 199. 199.

(5). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 373.

التسمية من أولها، من ذلك قول ابن عباس: سألت عليا عن ذلك، فقال: لأن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أمان، وهذه السورة نزلت بالسيف ونبذ العهد وليس فيها أمان [1]". [2]

والإمام ابن عرفة يعزو أحياناً الحديث إلى من خرّجه من أئمة الحديث، والشاهد على ذلك قوله في تفسير الآية الكريمة:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٨﴾(سورة الحجر الآية: 28):" لأن الملائكة معصومون قاله الأصوليون، وحكى الطبراني عن ابن عباس: إن الله تعالى خلق ملائكة وأمرهم بالسجود لآدم فأبوا فأرسل عليهم نارا، ورده ابن عرفة بثبوت العصمة للملائكة". [3]

رابعاً. تفسير القرآن بأقوال التابعين:

يعد الصحابة – رضوان الله عليهم – من الجيل الذي لم يشهد التاريخ له مثيلاً في علمهم وإيمانهم وإدراكهم لأمور الحياة بنظرة واسعة، مع ما كانوا يتمتعون به من الفصاحة والمعرفة بأساليب القرآن، ويلحق بهذا الجيل جيل التابعين، فمن التابعين من تلقى التفسير كله عن الصحابة. [4]

ويرى ابن عرفة أن عصر التابعين يبدأ بانتهاء عصر الصحابة: والعصر فيما بينهم هم الذين أدرك أصغرهم أكبرهم، قال: فعصر الصحابة انقضى بانقضاء آخرهم مدة، وكذلك عصر التابعين، كما أن عصر شهود ابن القداح انقضى بموت الفقيه أبي عبد الله السكوني". [5]

التابعون هم تلاميذ الصحابة الذين نقلوا إلى الأخلاف أقوالهم في التفسير، ويجب الرجوع لأقوال التابعين كونهم بعض أهل القرون المفضلة لأنهم أخذوا كثيراً من التفسير عن الصحابة، وأيضاً

(1). أخرجه الحاكم في المستدرك عن الصحيحين عن أبي بكر محمد بن الجنيد، رقم(5237)، 2/ 360، وذكره الهيثمي أن إسناده ضعيف، ينظر: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، الهيثمي أبو الحسن، 2/ 167.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 292.

(3). المصدر نفسه، ج3، ص: 5.

(4). التيسير في أصول واتجاهات التفسير، مرجع سابق، ص: 96.

(5). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 130.

معرفتهم بلسان العرب خير من معرفة من جاء بعدهم، فهذه الأمور تعطي تفسيرهم مزية على تفسير من بعدهم في الجملة.[1]

وهكذا نجد الإمام ابن عرفة ينقل أقوال التابعين في تفسير القرآن الكريم وكثيراً ما ينقل عن سعيد بن المسيب، وابن سيرين، وعكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والشعبي، وشريح القاضي.

ونجد الإمام ابن عرفة قد نقل أقوال التابعين كما نقل أقوال الصحابة في تفسير القرآن الكريم، ومن الشواهد على إيراده قول التابعي في تفسير القرآن قوله في الآية الكريمة:﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ﴾(سورة البقرة الآية: 221) :"وهذا باطل بالكتاب والسنة والنظر، أما الكتاب فقول الله تعالى: «وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ » فإنّ النهي عن نكاح المشركات للتحريم وضده وهو الأمر بنكاح المسلمات للنّدب على الجملة. وإنما يجب في بعض الأحيان على بعض الأشخاص، وأما السنة فخرج مسلم في كتاب الحج، في رواية قَتَادَةَ، عَنْ قَزَعَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ الله عَنْه، أَنَّ رسول اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تُسَافِرِ امْرَأَةٌ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ[2]»".[3]

ومن شواهده أيضاً قوله في تفسير قوله سبحانه وتعالى:﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾(سورة البقرة الآية: 230):" قال سعيد بن المسيب: إنها تحلّ بالعقد[4]".[5]

(1). ينظر: المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، دار الفكر العربي، ص: 402؛ قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت، ص: 188.

(2). أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ سَفَرِ الْمَرْأَةِ مَعَ مَحْرَمٍ إِلَى حَجٍّ وَغَيْرِهِ، رقم(827)، 2/ 976.

(3) . تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 267.

(4). لم أقف على تخريجه في كتب السنّة.

(5). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 279.

ويقول في الآية الكريمة:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ﴾(سورة الأحقاف الآية:15) :"اختلفوا في حد بلوغ الأشد، فقال ابن إسحاق: ثمانية عشر، وقيل: عشرون، ابن عباس وقتادة: ثلاثة وثلاثون، الجمهور: ستة وثلاثون. وقال: أربعون".[1]

ومن الأمثلة كذلك قول ابن عرفة: "قال سعيد بن المسيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْه: قالوا إن كان ما تقول حقا فأت بآية تدل على صدقك حتى قالوا: اجعل لنا الصفا ذهبا فقيل لهم: ذلك لكم، ولكن إن كفروا عُذبوا فأشفق رسول الله ﷺ من ذلك وقال: «دَعْنِي أدْعُهُمْ يَوْما فَيَوْما»[2]".[3]

خامساً. الإسرائيليات وموقفه منها:

نجد في كتب التفسير أخباراً كثيرة مروية عن بني إسرائيل، وهذه الأخبار عرفت بالإسرائيليات، وذلك بسبب النقل عن عدد من التابعين الذين كانوا كثيراً ما يسألون عما في كتب أهل الكتاب، ودخلت هذه الأخبار مجال التفسير بالمأثور.[4]

الإسرائيليات جمع إسرائيلية نسبة إلى بني إسرائيل، وفي اللغة إسرائيل اسم قيل هو مضاف إلى إيل، قال الأخفش: هو يُهمز ولا يُهمز. ويقال إسرائين بالنون كما قالوا جبرين وإسماعين،[5] وإسرئيل وإسرئيل هو: يعقوب عليه السلام أي عبد الله وبنو إسرائيل هم: أبناء يعقوب، ومن تناسلوا منهم فيما بعد، إلى عهد موسى ومن جاء بعده من الأنبياء، حتى عهد عيسى عليه السلام وحتى عهد نبينا محمد ﷺ.[6]

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص:18.

(2). أخرجه الحاكم في المستدرك عن الصحيحين، رقم الحديث(174)، 119/1، بلفظ مغاير لما ذكره ابن عرفة، عن ابن عباس قال: قالت قريش للنبي ﷺ أدعو ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن بك، قال: أتفعلون، قالوا: نعم، فدعا فأتاه جبريل فقال: إن الله يَقْرَأُ عليك السلام ويقول: إن شئت أصبح الصفا ذهبا فمن كفر بعد ذلك، عذبته عذابا لا أعذبه أحد من العالمين، وإن شئت فتحت لهم أبواب التوبة والرحمة، فقال: بل باب التوبة والرحمة.

(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 196.

(4). لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت . لبنان، ط3: 1410هـ . 1990م، ص: 264. 265.

(5). مختار الصحاح، زين الدين أبوعبد الله بن عبد القادر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية ـ بيروت ـ لبنان، ط5: 1420هـ ـ 1999م، ص: 147 .

(6). الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة، مكتبة السنة،ط4، ص: 12.

لفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على اللون اليهودي للتفسير، وما كان للثقافة اليهودية من أثر ظاهر فيه، إلا أنَّا نريد به ما هو أوسع من ذلك وأشمل، فنريد به ما يعم اللون اليهودي واللون النصراني للتفسير، وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية. وإنما أطلقنا على جميع ذلك لفظ "الإسرائيليات"، من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني، فإن الجانب اليهودي هو الذى اشتهر أمره فكثر النقل عنه، وذلك لكثرة أهله، وظهور أمرهم، وشدة اختلاطهم بالمسلمين. إن دخول الإسرائيليات في التفسير، أمر يرجع إلى عهد الصحابة رضى الله عنهم، وذلك نظراً لاتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في ذكر بعض المسائل، مع فارق واحد، هو الإيجاز في القرآن، والبسط والإطناب في التوراة والإنجيل. فالصحابي إذا مَرَّ على قصة من قصص القرآن يجد من نفسه ميلاً إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن منها ولم يتعرض له، فلا يجد مَن يجيبه على سؤاله سوى هؤلاء النفر الذين دخلوا في الإسلام، وحملوا إلى أهله ما معهم من ثقافة دينية، فألقوا إليهم ما ألقوا من الأخبار والقصص الديني.(1)

ولقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذه المرويات الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، وهي على ثلاثة أقسام:

***أحدهما:** ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

***والثاني:** ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

***والثالث:** ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لما تقدم وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني.(2)

لم يخل تفسير ابن عرفة الورغمي -كغيره من التفاسير- من ذكر بعض الإسرائيليات، دون تعقيب منه عليها بتصحيح أو تضعيف، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند تفسيره قوله تعالى:﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ

(1). التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج1، ص: 121. 123.

(2). مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية،تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ج13، ص: 366 . 367.

حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾(سورة البقرة الآية: 36):"وأكله من الشجرة إما لظنّه أنّ النهي للكراهة، أو المنهي عنها شجرة واحدة بالشخص وهذه من نوعها فقط، ثم يعرض رأي ابن عطية في تفسير الآية من أن حواء سقته الخمر فأكل في حال السكر؛ ثم يرد عليه بقوله: حفظ العقول من الكليات الخمس التي اتفقت جميع الملل عليها؛ فالسّكر حرام وإنما يجوز فيها ما لا يُسكر".(1)

ويقول في تفسير قوله تعالى:﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ﴾(سورة البقرة الآية: 248)، من وصف التابوت وكيف جاء، وعن الرياح وصفتها.(2)

وما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ ﴾(سورة البقرة الآية: 250)، من قتل داود لجالوت وكيف قتله بمقلاع.(3)

وقد أورد ابن عرفة ما قاله بعض المفسرين كابن عطية عند تفسيره لقوله جلا وعلا:﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾(سورة البقرة الآية:247).

قال: "ابن عطية: عن وهب بن منبه لما سأل شمويل من الله عَزَّ وَجَلَّ أن يبعث لهم ملكا ونزله عليهم قال الله تعالى: «انظر القرن الذي فيه الدهن في بيتك فإذا دخل عليك رجل فسَرا الدهن الذي فيه فهو ملك لبني إسرائيل.

قال ابن عرفة: سرا أي ارتفع. وهذا الخبر إن صح وإلاّ فما يكون مفسره في قوله:﴿بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ إلا مجرد الوحي".(4)

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 104.
(2). ينظر: المصدر نفسه، الجزء نفسه ، ص: 298.
(3). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 302.
(4) . المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 297.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالرأي

يطلق الرأي على الاعتقاد والاجتهاد والقياس، ومنه قالوا أهل الرأي أي أهل القياس. ويمكن تعريف التفسير بالرأي بأنه عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن،(1) فهو عبارة عن النتاج الفكري الذي ينتج عن الاجتهاد في تفسير كتاب الله عزو جل فإن كان مضبوطاً بأصول التفسير وقواعده فهو الرأي المحمود، وإلا فهو المذموم.(2) أما الأمور التي يجب البعد عنها في التفسير بالرأي فمن أهمها التهجم على تبيين مراد الله من كلامه على جهالة بقوانين اللغة أو الشريعة، ومنها حمل كلام الله على المذاهب الفاسدة، ومنها الخوض فيما استأثر الله بعلمه ومنها القطع بأن مراد الله كذا من غير دليل ومنها السير مع الهوى والاستحسان.(3) ولقد اشترط العلماء القائلون بالتفسير بالرأي أن تتوافر في المفسر القدرة التي تمكنه من التفسير، ولابد أن يكون ملماً بعلوم اللغة وعلوم القرآن والعلوم الإسلامية والعلوم الاجتماعية العامة، هذا بالإضافة إلى اشتراطهم في المفسر أن يكون ورعاً يخاف الله وذا إمكانات عقلية جيدة.(4)

واشترط ابن عرفة في المفسر أن يكون حافظاً للقرآن كله، حيث يقول:" والمفسر من شرطه حفظ القرآن كله؛ لأن المفسر إذا استحضر آية لا يعمل له أن يفسرها لاحتمال أن يكون ثم آية أخرى ناسخة لها، أو مقيّدة أو مخصصة، أو مبيّنة، فلا بد للمفسر من حفظ القرآن كله، هذا ولا حاجة له بطلبه؛ لأن التفسير موجود في الكتب".(5)

(1). ينظر: التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج1، ص: 183؛ مناهج المفسرين، مساعد مسلم آل جعفر، محي هلال السرحان، دار المعرفة، السعودية، ط1: 1980م، ص: 97.

(2). التيسير في أصول و اتجاهات التفسير، مرجع سابق، ص: 107.

(3). مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، ج2، ص:50.

(4). لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، مرجع سابق، ص: 284.

(5). ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 21.

ويفهم من هذا أن ابن عرفة كان حافظاً للقرآن، وأنه التزم بما اشترطه على المفسر، فاعتمد علوماً مختلفة في تفسيره غلب بعضها على اتجاهه في التفسير، كعنايته باللغة والنحو والبلاغة والفقه وأصوله، وما انجرّ عن ذلك من اهتمام بالمنطق، كما أنه اعتمد -كغيره من كبار المفسرين- على المنهج النقلي، حيث ظهرت عنايته بتفسير القرآن بالقرآن وبالحديث وبما روي عن الصحابة، واهتماماته بأسباب النزول، ومناسباته والقراءات القرآنية والناسخ والمنسوخ، وآيات العقيدة...(1)

و هي تعد تفسيراً بالرأي ويمكن توضيحها من خلال ما يلي:

أولاً. الفقه وأصوله:

أ/ الفقه:

إن القارئ لتفسير ابن عرفة يجده صاحب حس فقهي وملكة فقهية، وتَمكُنٍ من علم الفقه بما فيه من مواطن اتفاق واختلاف، لاسيما وأنه ألف كتابا سمّاه " المختصر الفقهي " والذي يقول عنه: "فهذا مختصر في الفقه المالكي قصدت فيه جمع ما يحصل بهدي الله تحصيله، ذكر مسائل المذهب نصّاً وقياساً...." .(2)

وكما ذكرت سابقاً بأن الإمام ابن عرفة مالكي المذهب فإنه يرجح رأي المالكية في كثير من المسائل الفقهية دون تعصب لها، ومن شواهد ذلك قوله في تفسير قوله عزو جل:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾(سورة البقرة الآية: 54):" وهذا يشبه المحدود، فإنه لا تنفع فيه الشفاعة، ولا تسقطه التوبة كما قال الإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْه في المحارب: إذا قتل أحدا فعفا عنه وليّه، فإنّ الحد لا يرتفع لأن الحق لله تعالى، فلذلك قال:"فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ"وهذا بيان للتوبة، والفاء للتسبيب أو للتعقيب".(3)

(1). محمد بن عرفة ومنهجه في التفسير، وسيلة بلعيد بن حمدة، مقال في مجلة علمية محكّمة، تصدر بجامعة الزيتونة، تونس، العدد2، 1993م، ص: 87.

(2). المختصر الفقهي، مصدر سابق، ص: 41.

(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 114.

وفي قوله تعالى:﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ۝١٨٧ ﴾(سورة البقرة الآية: 187) قال:" لو نذر أن يعتكف فإنه يجزيه عند مالك الاعتكاف في أي مسجد أراد، ويخرج به من العهدة وشرط الجامع غير واجب".(1)

وفي قوله سبحانه وتعالى:﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝١٩٦ ﴾(سورة البقرة الآية: 196)، قال: "يؤخذ فيمن له أهل بمكة وأهل بغيرها، فقد قال الإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْه: إنها من مشبّهات الأمور يؤخذ منه أن حكمه حكم الحاضر بدليل قول مالك في المسافر: إذا سافر ومر ببلد له فيها أهل فإنه يتمّ الصلاة كالمقيم".(2)

كما أنه في بعض الأحيان يكتفي ابن عرفة بعرض آراء المذاهب الفقهية دون ترجيح لأحدها، ومن الشواهد على ذلك قوله في الآية الكريمة:﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧ ﴾ (سورة البقرة الآية:7):" فإذا كان ضد الحقير عظيما لزم أن يكون الكبير أعظم من العظيم قطعا، لأنه إذا انتفى عن العذاب اسم الحقارة ثبت له نقيضه وهو العظم، وإن كان في نفسه صغيرا، وإذا انتفى عنه ما فوق الحقارة وهو الصغر ثبت له ما فوق ذلك وهو الكبر، وكان أعظم من العظيم، ويؤيد ذلك اختيارهم في تكبير الصلاة عند الإحرام لفظ: الله أكبر ولم يختاروا الله العظيم فدل على أن الكبير أعظم من العظيم، هذا عند مالك خلافا لأبي حنيفة فإنه أجاز دخول الصّلاة بالله العظيم أو السّميع أو الكبير ونحو ذلك".(3)

وذكر في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾(سورة الحشر الآية: 10) حيث قال: "فيه دليل من آية السبقية، كما قال الفقهاء في الإمامة: أنه يقدم الأقدم سناً في الإسلام، فإن كان الأكبر أحدث إسلاما قدم الأصغر".(4)

---

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 228.

(2). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 237.

(3). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 49.

(4). المصدر نفسه، ج4، ص: 197.

ويقول في موضع آخر: "وكان الفقيه أبو عبد الله محمد بن سعيد بن عثمان بن أيوب الهزميري يحكي عن علماء الشافعية بالمشرق أنهم يقسمون البسملة ثلاثة أقسام: قسم هي فيه آية في أول الفاتحة، وقسم هي فيه بعض آية، وذلك في سورة النمل، وقسم بعضها فيه آية، وهو: {﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾". [1]

وفي بعض المواطن يعمد ابن عرفة إلى رد بعض الآراء الفقهية كما في قوله في تفسير قوله عز وجل:﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ۝٨ ﴾(سورة النساء الآية :8):"... والآية حجة على أبي حنيفة القائل بتوريث ذوي الأرحام كلهم؛ لأنهم لو كان لهم حظ في الإرث لما أمر الله تعالى برزقهم من المال، وهذا هو الجمع بينها وبين التي قبلها؛ وهي قوله تعالى:﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ ۝٧ ﴾" للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون" لأن ذلك يقتضي ميراث الجميع، وهذه تقتضي عدمه فالجمع بينهما بأن تلك فيمن فيه مع القرابة سبب آخر موجب للإرث وهذه فيمن ليس فيه ذلك السبب"[2] فهو يرد قول الإمام أبي حنيفة مؤيدا رأيه بالأدلة المناسبة.

وفي كثير من المواضع نجد ابن عرفة حريصاً على بيان حكمة التشريع الإسلامي ومقاصده، ومن ذلك بيانه الحكمة من القصاص عند تفسيره الآية الكريمة:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴾(سورة البقرة الآية: 178)، إذ بيّن الحكمة منه بقوله:" الجواب أنّا إذا اعتبرنا جهة المجنيّ عليه ووَلِيِّه فالقصاصُ غير واجب؛ لأنه مخيَّر بين القصاص وأَخْذِ الدِّيَة، وإذا راعينا جِهةَ الجاني فالقصاص واجِبٌ، إذ ليس له القصاص إن طلب الوليُّ الدِّيَة، وهذا بخلاف الدَّيْنِ فإنّ رَبَّ الدَّيْن إذا أسقط دَيْنَهُ وامتنع من أخذه، وأبى ذلك المدْيونُ، فإنه يُجبَر ربُّ المال على أخذ دَيْنِه، ولذلك إذا حلف أن لا يأخذه وحلف المدين أنه لا يحبسه فإنه يحنث ربُّ المال، وما ذاك إلا لحفظ النفوس، بخلاف الأموال، فإن المدين يقول له: لا أقبل مزيتك ولا أحبها".[3]

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 26.
(2). المصدر نفسه، ج2، ص: 8- 9.
(3). المصدر نفسه، ج1، ص: 211- 212.

ب/ أصول الفقه:

إن المتتبع لتفسير ابن عرفة يلحظ اهتمامه البالغ بأصول الفقه، فكثيرا ما يتوقف عند الآيات، ويستخرج منها الأدلة، والقواعد الأصولية. وأما أصول الفقه فهي الأدلة التي يبنى عليها الفقه، وما يتوصل بها إلى الأدلة على سبيل الإجمال...[1]، فقد عُلم من سيرة ابن عرفة أنه كان عالما بالفروع، ومتمكنا في الأصول، وكان هذا سببا في قدرته على الاستدلال ومناقشة آراء غيره والترجيح بينها، ومن مسائل أصول الفقه التي وردت في مجالس تفسيره ما يأتي:

***المطلق والمقيّد:**

المطلق: "هو الكلي الذي لم يدخله تقييد، فلذلك لا يكون إلا نكرة لشيوعها، وبعبارة أخرى هو اللفظ الدال على فرد، أو أفراد غير معينة، مثل رجل، ورجال، وكتاب، وامرأة، وطالب".

المقيّد: "هو الذي دخله تعيين ولو من بعض الوجوه، كالشرط والصفة وغير ذلك، وبعبارة أخرى هو اللفظ الخاص الذي تناول فردًا معينًا بالوضع أو بقيد خارجي يخرجه عن الشيوع".[2]

وممّا أورده ابن عرفة في تفسيره حمل المطلق على المقيّد، تفسيره للآية الكريمة:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ ﴾(سورة البقرة الآية: 161): "منهم من قال: إنها مؤكدة لما قبلها لقوله﴿ إلاَّ الذين تَابُوا﴾ ، فبقيت الآية عامة فيمن كفر ولم يتب يكون داخلا تحت الوعيد، وهو مقتضى هذه الآية، ومنهم من قال: إنها مؤسسة. وقرره بوجهين:

-**الأول**: أنّ اللّعنة في الأولى مطلقة تحتمل الدّوام والانقطاع وهنا مقيدة بالخلود والدوام.

(1)- اللمع في أصول الفقه، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط2: 2003 م - 1424 هـ، ج1، ص: 6.

(2). ينظر: تقريب الوصول إلي علم الأصول، أبو القاسم ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1: 1424 هـ - 2003 م، ج1، ص: 161؛ الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، محمد مصطفى الزحيلي، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، ط2: 1427 هـ - 2006 م، ج2، ص: 38، 40.

-الثاني: أن العموم غير المخصوص بشيء أقوى دلالة من عموم خص بشيء، فلذلك أعيدت هذه الآية".(1) وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾(سورة الحديد الآية: 26):"هذا يعم صالحي المؤمنين، وعصاتهم، لأن العاصي مهتد بالإيمان، فيصدق عليه وصف الهداية مقيدة، وإذا صدق مقيدا صدق مطلقا، وهذه تسلية للنبي ﷺ فإن آباءه الأنبياء قد جرى لهم مثل ما جرى له".(2)

***العامّ والخاصّ**:

العام: "لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر".(3)

الخاص: "يقابل العام، فهو الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر، فهو كل لفظ وضع للدلالة على فرد واحد".(4)

وقد استخرج ابن عرفة العام والخاص من آي القرآن الكريم واستثمر قواعده في تفسيره لآيات القرآن الكريم، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾(سورة فاطر الآية:3):"النَّاس عام في بني آدم كلِّهم،، فإن كان الأمر في قوله "اذكروا" للوجوب فيكون عموم الناس قاصراً على المكلَّفين فقط، فيخص عمومه بالصبيّان والمجانين، وإن كان الأمر للندب فيبقى العموم على حاله من غير تخصيص".(5)

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 192.
(2). المصدر نفسه، ج4، ص: 167.
(3). الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص: 506.
(4). ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان، ط1: 1419هـ - 1999م، ج1، ص: 352؛ مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، بيروت . لبنان، ط3: 1421هـ- 2000م، ص:232؛ الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ج2، ص: 59.
(5). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 327.

وفي تفسيره لقوله عز وجل:﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٤٧﴾(سورة سبأ الآية: 47) يقول: "إن أريد بالشهادة مجرد العلم والكشف والاطلاع فهو عام باق على عمومه، ويكون فيه دليل على تَعلُّق عِلْمِه بالجزئيات والكليات، وإن أريد بها الشهادة الملزمة للمجازاة فهو عام مخصوص".(1)

ويقول في الآية الكريمة:﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٤﴾(سورة غافر الآية: 64):"الإنسان هو أحسن الحيوانات خَلْقاً، كما قال الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾(سورة الإسراء الآية: 70)،فإن قلت: إنه غير عام لأن فيه الأعرج والأحدب والأعمى؟

قلنا: إحكام الخلق له اعتباران:

. فإن اعتبر بالنسبة للمفعول ورد السؤال، وجوابه أن الأعمى مثلا من الناس أحسن من كل أعمى من سائر الحيوانات غير الإنسان، وكذلك الأعرج والأحدب.

. وإن اعتبر بالنظر إلى الفاعل فهو عام؛ لأنه فعل كله بحكم متقن دال على اتصاف فاعله بالقدرة والإرادة وصفات الكمال، وتفاوته لَا يقدح في أن إبداعه أحسن إبداع".(2)

ومن القواعد الأصولية التي استثمرها الإمام قاعدة " العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"؛ حيث بيّن ابن عرفة بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فقال في تفسير قوله عز وجل:﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾(سورة فصلت الآية: 53):" إن أريد بالشهادة لازمها وهو العقوبة والانتقام، فلفظ (شَيءٍ) خاص بالحادث، وإن أريد بها العلم والحضور فيعُمُّ القديم".(3)

ويذهب ابن عرفة إلى تخصيص العامّ بالعادة مثل ما هو سائد في المذهب المالكي حيث يخصص العام بعادة وعرف الناس، قال في تفسير قوله عز وجل:﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 323.

(2). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 399- 400.

(3). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 411.

كَامِلَيْنِ ﴿٢٣٣﴾ ﴾(سورة البقرة الآية: 233) : "هذا عام مخصوص بالعادة، فالشريفة التي ليس من عادتها الإرضاع لا يطلب ذلك منها؛ ونص الأصوليون على صحة التخصيص بالعادة".[1]

*** استثماره لأصل الإجماع:**

الإجماع في **اللغة** يحتمل معنيين أحدهما أن تجمع الشيء المتفرق جميعا، فإذا جعلته جميعا بقي جميعا ولم يكد يتفرق كالرأي المعزوم عليه الممضى، والثاني: الإِجْماعُ إِحكامُ النيةِ والعَزيمةِ، أَجْمَعْت الرأْي وأَزْمَعْتُه وعزَمْت عَلَيْهِ بِمَعْنًى.[2]

وأما في **الشرع** فهو:" اتفاق أهل الحل والعَقد من أمة محمد ﷺ على أمر من الأمور".[3]

ومن الشواهد على استدلاله بالإجماع قوله في تفسير الآية الكريمة:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴿١١٠﴾ ﴾(سورة آل عمران الآية:110) :"الخطاب للصحابة أو لجميع النَّاس المؤمنين، والظاهر الأول لأن تفضيل الصحابة لأوصاف فيهم ليست في غيرهم، إلا أن يكون ممن أتى بعدهم فيه تلك الأوصاف فيبلغ هذه المنزلة، واحتج الأصوليون بهذه الآية على أن الإجماع حجة، وهو بناء على قول الحسن ومن تبعه بأنها خطاب لجميع أمة محمد ﷺ".[4]

ويعد الإمام ابن عرفة الإجماع السكوتي حجة إذ يقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾(سورة البقرة الآية: 159):" وفي الآية حجة للعمل بالإجماع السكوتي، لأن المجتهد إذا بلغه مذهب غيره في المسألة النازلة فإمّا أن يظهر له موافقته أو مخالفته فإن وافقه فهو المطلوب، وإن ظهر له مخالفته وسكت بطل العمل بقوله لأنه عاص في كتمه العلم".[5]

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 282.

(2). ينظر: لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت – لبنان، ط3: 1414 هـ، ج8، ص: 57، 58.

(3). نهاية السول شرح منهاج الوصول، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان،ط1: 1420هـ- 1999م، ص: 281.

(4). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 396.

(5). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 191.

*** استثماره لأصل القياس:**

القياس في **اللغة** التقدير والمساواة،[1]**واصطلاحاً** هو:" تسوية فرع بأصل في حكم لعلّة جامعة بينهما".[2]

والإمام ابن عرفة يعد القياس حجّة، إذ يبين ذلك في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾(سورة الرعد الآية: 32):" فيه عندي دليل على صحة العمل بالقياس لأن الآية سيقت مساق التخويف للكفار والتسلية للنبيّ ﷺ، وما وجه التخويف إلا من جهة أن المشاركة في الوصف توجب التسوية في الحكم الناشئ له، والكفار المعاصرون له ﷺ مشاركون لمن سبقهم في الاستهزاء، واقتضت الآية أن من سبقهم عوقب فكذلك هؤلاء، ولا معنى للقياس إلا إثبات حكم الأصل للفرع بعلة جامعة..".[3]

ونجد أنه يثبت في تفسيره الأحكام الشرعية لبعض المسائل الفقهية عن طريق القياس؛ ومن الشواهد على ذلك قوله في تفسير الآية الكريمة:﴿ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (سورة سبأ الآية: 35):" كان بعضهم يستنتج منها نفي القياس لأن هؤلاء قاسوا الآخرة على حال الدنيا في كونهم بلغوا مأمولهم في الدنيا، فكذلك سيبلغون مأمولهم في الآخرة، فأتت الآية ردّاً عليهم في ذلك. وهذا مردود من وجهين:

الأول: أنه من باب القياس على فعل الله، ومذهب مالك رحمه الله صحة القياس على فعل الله، قاله في اللواط، وخالفه الناس، والجمهور على أنه لا يجوز القياس على فعل الله بوجه.

الثاني: أنه قياس في معرض النص".[4]

---

(1). ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، ج6، ص: 187، 188.

(2). ينظر: نهاية السول، مرجع سابق، ص: 303؛ شرح الأصول من علم الأصول، محمد بن صالح العثيمين، دار البصيرة، الإسكندرية مصر، 1422هـ، ص: 509

(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 432.

(4). المصدر نفسه، ج3، ص: 320؛ درر المعرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 192.

***سد الذرائع**:

الذرائع هي الوسائل، جمع ذريعة بمعنى الوسيلة، وقد تذرع فلان بذريعة أي توسل، والجمع الذرائع؛ والذريعة: السبب إلى الشيء، يقال: فلان ذريعتي إليك أي سببي ووصلتي الذي أتسبب به إليك.[1] أما **اصطلاحا**:" فهي منع الوسائل المؤدية إلى كل شر وفساد ومنكر".[2]

ولقد أوضح ابن عرفة هذا الدليل عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾(سورة البقرة الآية:35):" فرق بين سد الذرائع وبين النّهي عن الشيء لأجل غيره، وهو النهي عما هو سبب في غيره، فسد الذرائع هو الامتناع مما لم ينه عنه خشية الوقوع في ما نهي عنه، ...فالذريعة هنا هو أن يقارب قرب الأكل من الشجرة لأنه نهى عن قرب القرب".[3]

وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾(سورة النساء الآية:11) يقول:" هلا قيل : للذكر مثل حظ الأنثى مع ما حصل مركوزا في نفوسهم أنهم لا يورثون مع الذكور، لأوهم أنه يرث جميع المال دونهم أو النصف، وفي الحديث: " إن للبنتين الثلثين" هل هو معارض لبعض عموم الآية ؟ فيكون مخصصا لها أو معارضا لها فيكون ناسخا لها.[4]

فقدرته على الاستثمار والتوظيف واضحة هنا، وقد استعمل بعض المصطلحات الأصولية كالعام والخاص والمفهوم والنسخ...إلخ.

كما يظهر اعتباره لمقاصد الشريعة، والمراد بمقاصد الشريعة الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها. فالمقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة

---

(1). ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، ج8، ص: 96.

(2). سد الذرائع في الشريعة الإسلامية، محمد هشام البرهاني، دار الفكر، دمشق . سوريا، ط1: 1406هـ- 1985م، ص: 53، 54، 69؛ الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، مصدر سابق،ج1 ص: 279.

(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 103.

(4). المصدر نفسه، ج2، ص: 10.

ومن صلاح في العقل وفي العمل واصلاح في الأرض، واستنباط لخيراتها وتدبير لمنافع الجميع.(1)
ومقصد الشريعة هو تحقيق مصالح العباد بالإيجاد لها أولاً ثم بحفظها ثانياً.

ومعرفة مقاصد الشريعة العامة أمر ضروري لفهم النصوص الشرعية على الوجه الصحيح، ولاستنباط الأحكام من أدلتها على وجه مقبول، فلا يكفي أن يعرف المجتهد وجوه دلالات الألفاظ على المعاني، بل لابد من معرفة أسرار التشريع والأغراض العامة التي قصدها الشارع من تشريعه الأحكام المختلفة حتى يستطيع أن يفهم النصوص ويفسرها تفسيراً سليماً، ويستنبط الأحكام في ضوء هذه المقاصد العامة.(2)

ومن الأمثلة على مقاصد الشريعة ما قاله ابن عرفة عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ (سورة الكهف الآية: 80) قال ابن عرفة:" يؤخذ من الآية أنه إذا تعارض احتمال يوهم نقض دين الإسلام مع تحقق حفظ النفس، فقلت: احتمال يوهم نقض الدين؛ لأن الخضر قتل الغلام باحتمال توهم أن يكفر إذا كبر، ويكفر أبواه بسبب كفره".(3)

كما تحدث عن ضرورة حفظ المال في قوله تبارك وتعالى:﴿ فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ ﴾ (سورة البقرة الآية:282): "الأمر بالكَتْبِ مصلحة دنيوية وهي حفظ المال، ومصلحة دينية وهي السلامة من الخصومة بين المتعاملين".(4)

(1) . ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، مؤسسة علال الفاسي، ط5، 1993م، ص: 7، 45 . 46.

(2). الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت . لبنان، ط1: 1425هـ . 2004م، ص: 299.

(3) . تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 98.

(4) . المصدر نفسه، ج1، ص: 329.

ثانياً . اللغة العربية وعلومها:

لما كان القرآن الكريم كلاماً عربياً كانت قواعد العربية طريقاً لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي بالسليقة.

ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي متن اللغة، والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان. ومن وراء ذلك استعمالات العرب في كلامها، ووجوه مخاطباتها؛ فهي وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني، وإظهار وجه الإعجاز.(1)

ويفهم من ذلك أن معرفة اللغة العربية شرط في فهم القرآن؛ لأن من أراد تفسيره، وهو لا يعرف اللغة التي نزل بها القرآن، فإنه لا شك سيقع في الزلل، بل سيحرف الكلم عن مواضعه، كما حصل من بعض المبتدعة الذين حملوا القرآن على مصطلحات أو مدلولات غير عربية.(2)

ونجد ابن عرفة في تفسيره يستدل بالمسائل اللغوية ويحتج بها؛ ومن شواهد ذلك توضيحه لمعاني المفردات التي تحتاج إلى بيان كتفسيره لقوله تعالى:﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٠٦ ﴾ (سورة البقرة الآية: 106):"الخير باعتبار المصالح الشرعية، فقد يكون متعلق الحكم يستلزم مصلحة أرجح من مصلحة أو مثلها، ومعنى نُنسِها أي نؤخرها فتعجيل نسخها أو تأخير نزولها إنما هو لتعجيل الإتيان بما مصلحته أرجح، وفيه تأخير البيان إلى وقت الحاجة".(3)

ويقول في تفسير الآية الكريمة:﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٤﴾(سورة الفاتحة الآية: 4):" تنبيها على حال الآخرة وفرّقوا بين الملك والمالك بأن الملك إنّما يتصرف في مال غيره بالمصلحة، والمالك يتصرف في ماله بالمصلحة وغيرها".(4)

(1). ينظر: قواعد التفسير، مرجع سابق، ص:210، 211.
(2). التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مرجع سابق، ص: 41.
(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 157.
(4). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 35.

ويزيد الشيخ ابن عرفة الأمر وضوحاً ببيان اشتقاق الكلمة، وأصلها الذي ترجع إليه عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾(سورة المائدة الآية: 8):"...وهذه راجعة إلى علمه بالأمر الماضي؛ لأن خبيراً مشتق من الخبر، والخبر في الغالب إنما يكون عن الماضي لَا عن المستقبل...".[1]

ويستشهد ابن عرفة بالشعر في كثير من المواطن لبيان معاني المفردات؛ ومن الشواهد على ذلك قوله في تفسير الآية الكريمة:﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ ﴾(سورة الأعراف الآية: 35): " المراد ببني آدم هذه الأمة، والرسل النبي ﷺ، وجمعه لاختلاف حالاته، كما قال الشاعر:

فَقُلْتُ اِجْعَلِي ضَوءِ الفَرَاقِدِ كُلَّهَا يميناً وَمَهْوَى النَّسْرِ مِنْ عَنِ شَمَالِكَ"[2]

وكذلك في تفسيره لمعنى الخلق في الآية الكريمة:﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٧٠ ﴾(سورة النحل الآية:70):"هو أبلغ من لو قيل: والله أوجدكم فإن الخلق في اللغة هو التقدير كما قال الشاعر:

ولأَنْتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وبَعْ ضُ القومِ يَخْلُقُ ثم لاَ يَفْرِي"[3]

ومن منهج الشيخ ابن عرفة أنه يستشهد بالقرآن على بيان المعنى اللغوي للألفاظ، ومن ذلك قوله في تفسير الآية الكريمة:﴿ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾ (سورة الكهف الآية:30):" ..فمجرد الإخبار به كاف في أنه حق، فلا حاجة إلى ذكر ما يحققه، وإن كان المراد بالوعد الإلهام بمعنى أُلهموا ذلك، أو خطر ببالهم، فأطلع الله تعالى على ما تحقق لهم ما حصل في اعتقادهم، وقد وقع الوعد في

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 95.

(2). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 223.البيت من بحر الطويل، وهو في ديوان ذي الرّمة، أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي، تح: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، جدة السعودية، ط1: 1402هـ، ج3، ص: 1723.

(3). المصدر نفسه، ج3، ص: 33، وقد أشار إلى نفس المعنى لكلمة الخلق عند تفسيره لآية أخرى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ " (سورة الأعراف الآية:189):"الخطاب لقريش، وقيل: المراد بالنفس آدم أو قصي بن كلاب، وعبَّر في الأول بـ "خلق"، وفي الثاني بـ"جعل" لأن الخلق في اللغة هو التقدير، قال الشاعر: ولأَنْتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وبَعْ ... ضُ القومِ يَخْلُقُ ثم لاَ يَفْرِي، المصدر نفسه، ج2، ص: 271، 272. والبيت من بحر الكامل، لزهير بن أبي سلمى، ديوان زهير، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط1: 1408هـ، ص: 56.

القرآن بمعنى الإلهام، قال تعالى:﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴿١٣﴾ ﴾(سورة القصص الآية:13) بعد أن قال:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾".[1]

وكذلك قوله في تفسير الآية الكريمة:"﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾(سورة آل عمران الآية:147): "الذنوب والإسراف بمعنى واحد، وعن ابن عباس الذنوب عام، والإسراف راجع للكبائر، وعندي أن الذنوب راجعة لعدم امتثال الأوامر والإسراف لعدم اجتناب النواهي، لأن الإسراف في اللغة هو الزيادة على الشيء".[2]

وأحياناً يذكر ابن عرفة مع المعنى اللغوي للألفاظ معناها في الاصطلاح الإسلامي كما في تفسيره للآية الكريمة:﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ (سورة آل عمران الآية:101):"العصمة في اللغة مطلق الامتناع، وفي الاصطلاح عند الأصوليين امتناع خاص، فكان الشيوخ مختلفين في جواز الدعاء بالعصمة، فمن حملها على المعنى اللغوي أجاز الدعاء بها، ومن نظر للاصطلاح منع ذلك وخصصها بالأنبياء".[3]

وحرص ابن عرفة على بيان دلالة التنكير على التقليل، أو التعظيم، أو التهويل في كثير من المواضع من تفسيره ومن شواهد ذلك قوله في تفسير الآية الكريمة:﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ ﴾ (سورة النساء الآية: 160):" التنكير

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 84.
(2). المصدر نفسه، ج1، ص:427
(3). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 390.

إما للتقليل إن كانت الآية تخويفا وإنذارا، أو للتعظيم إن أريد التشنيع على أهل الكتاب والتقبيح لفعلهم". [1]

ويقول في تفسير قوله عز وجل:﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ ﴾ (سورة الطور الآية:1):" بأن التعظيم يقتضي الخصوص؛ لأن ما به التعظيم خاص بالمعظم، وكذا التنكير لإرادة التعظيم، ثم وصف ما سوى الطور؛ لأن الطور علم لَا اشتراك فيه". [2]

أ/ اعتماده النحو في تفسيره:

يتعرض الإمام ابن عرفة للمسائل النحوية، حيث يعرض أقوال المفسرين والنحويين عند عرضه لمباحث لغوية في النص القرآني ومن شواهد ذلك قوله في تفسير قوله عز وجل:﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ۝١٩٢ ﴾(سورة آل عمران الآية: 192):" في هذا الدعاء تلطف من وجهين: من تكرار النداء خمس مرات، ويكونه بلفظ الرب المشعر بالحنان، والشفقة، فإن قلت: الملازمة بين الشرط وجوابه حجة واضحة فما فائدة تأكيده "بإن"، فأجاب بعض الطلبة: باحتمال كونها تعليلا، لقوله تعالى:﴿ سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١ ﴾واستبعده ابن عرفة للفصل، وذكر أبو حيان في إعرابها ثلاثة أوجه، زاد ابن عرفة رابعها: وهو أنه مبتدأ وتدخل وحدها خبرها على الوجه الضعيف للذي ذكروه، ثم استدل على كلامه بالشعر في قوله:

قَدْ أصبحَتْ أمُّ الخِيارِ تَدَّعي عليَّ ذَنْباً كلُّه لم أَصْنعِ[3]

وأما عن عزو أبيات الشعر لأصحابها، فإن ابن عرفة لا يلتزم بذلك دائما.

ويبين إعراب ألفاظ القرآن عند النحويين، ويختار منها ما يتفق وسياق الآية، وهذا عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم ﴾(سورة البقرة الآية: 54)، قال: قُدم المجرور هنا على المفعول، والأصل تأخيره عنه، ولا يقدم إلا لنكتة أثبتوها، والحكمة في ذلك أن النداء إقبال على المنادى، وتخصيص له فلو قيل: وإذ قال موسى: يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم

(1). المصدر نفسه، ج2، ص: 71.
(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص:76.
(3). المصدر نفسه، ج1، ص: 456.

لقومه. لما كان لقومه فائدة؛ بخلاف قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ ﴾(سورة الكهف الآية: 60) فإن تقديم المجرور هناك بمعنى آخر وهو الاعتناء بالمقول له وتشريفه، والاهتمام به وتخصيصه بتلك المقالة دون غيره، وبين قوله: "ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُم" أن الله تعالى منزه عن أن يناله شيء من ظلمهم، وإنما ضرر ذلك راجع إليهم.[1] ومثاله أيضا عند تعرضه لتفسير قوله سبحانه:﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ ﴾(سورة البقرة الآية: 90).قال: "نص النحويون على أنّ اسم الممدوح في «نعم»، المذموم في «بئس» لا يكون إلا أخص من فاعلها، أو مساويا ولا يكون أعمّ منه، والشراء والكفر بينهما عموم وخصوص من وجه دون وجه، فالشّراء يطلق على المعارضة من غير الكفر وعلى المعارضة في الكفر، والكفر أيضا أعم من وجه، لأن من كفر بعد أن آمن اشترى الكفر بعد الإيمان، ومن كان كافرا بالأصالة لم يشتر شيئا بشيء".[2]

ويقول في تفسير الآية الكريمة:﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٥٥ ﴾(سورة الأنعام الآية: 155):" لما تضمن الكلام السابق تفضيل بني إسرائيل بإرسال موسى إليهم، وتفضيل موسى بالكتاب المنزل عليه؛ عقبه ببيان تفضيل هذه الأمة بإرسال محمد ﷺإليهم وأنزل القرآن عليه، وظاهر كلام المفسرين أن الإشارة إلى جميع القرآن وليست كقول الموثقين: هذا ما أصدق فلان".[3]

ونجد ابن عرفة، يهتم كثيراً بالنظم القرآني منه تعلق الكلام بعضه ببعض، ومن ذلك بيان على أي جزء من أجزاء الكلام المتقدم يكون عود الضمير؟ ومن شواهد ذلك قوله في تفسير الآية الكريمة:﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ١٠ ﴾(سورة البقرة الآية: 10):" الضّمير في "زادهم" عائد على ذواتهم لا على قلوبهم، إذ لو كان عائداً على القلوب لقال فزادها الله مرضاً، وهو أولى فإن نزل المرض بجميع ذواتهم فمحلّ الثاني أوسع

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص:114.
(2). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 145.
(3). المصدر نفسه، ج2، ص: 202.

من محلّ المثل الأوّل فصحّت الزّيادة، ولا يلزم منه اجتماع المثلين إلاّ أن يقال: إنّه على حذف مضاف تقديره فزاد الله قلوبهم مرضا".[1]

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٤١ ﴾ (سورة هود الآية:41):"الضمير عائد على نوح أو على الله وما قبله يدل على أنه لله تعالى، لقوله (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا)...".[2]

ومن شواهد ذلك قوله في تفسير الآية الكريمة:﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ (سورة ص الآية: 30):"إن قلت هلا قيل: ووهبنا سليمان لداود؟ فالجواب: أنه قصد الاعتناء بداود والتشريف له؛ وأيضا إنما أخر سليمان ليعود الضمير عليه، في قوله (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)، والضمير إنما يعود على أقرب مذكور".[3]

واهتم ابن عرفة اهتماماً بالغاً ببيان معاني الحروف؛ ومن ذلك قوله في تفسير الآية الكريمة: ﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤ ﴾ (سورة العاديات الآية:4): "الفاء إما ظرفية والمعنى بذلك الوقت أو بالعدو أو بالمكان، وإما سببية، والمعنى فأثرن بالعدو والضبح، نقعا: أي غبارا".[4]

ومن الشواهد على ذلك أيضاً قوله في الآية الكريمة:﴿ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ۝٢٤ ﴾(سورة الجن الآية: 24):"الفاء جواب إذا، والسين للتحقيق لَا للاستقبال؛ لأنهم إذ رأوا العذاب يحصل لهم العلم الحالي لَا الاستقبالي؛ إذ تقول هي للاستقبال. لأن الشرط مقدر الوقوع لا واقع".[5]

وكثيراً ما يبين ابن عرفة معاني الأدوات، ومن شواهد ذلك قوله في الآية الكريمة:﴿ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 52.

(2). المصدر نفسه، ج2، ص: 356.

(3). المصدر نفسه، ج3، ص: 372.

(4). المصدر نفسه، ج4، ص: 338.

(5). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 309.

عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾(سورة البقرة الآية: 215):"(مَا) إما شرطية أو موصولة، الظاهر أنها شرطية، لأن فعل الشرط مستقبل ولو كانت موصولة لما حسن ترتيب الجواب عليها، لأنهم لم يكن إنفاقهم الماضي قاصرا على الوالدين والأقربين ومن بعدهم، بل عاما فيهم وفي غيرهم، فإنَّما أمروا بذلك في المستقبل".(1)

ويقول في تفسير قوله عز وجل:﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (سورة الصافات الآية: 58 . 59):"ظاهر الآية يقتضي ما قال المفسرون، لأن الاستفهام بمعنى التقرير يصير المنفي مثبتا، والمثبت منفيا، مثل:﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ ﴾ (سورة الفجر الآية:6) فيقتضي إثبات الموت والعذاب؛ أي نحن ميتون غير الموت الأول ومعذبون، وليس المراد ذلك، فلا بد من إضمار، بل المعنى: نحن مبعوثون غير ميتين غير الموت الأول ومعذبون، فلم تدخل أداة الإنكار على المنفي، بل على مثبته، ونفي العذاب يستلزم نفي الإعادة".(2)

ويعتني ابن عرفة بتوضيح ما في الآية من القراءات، وحرص على بيان ما تحتمله كل قراءة من وجوه الإعراب؛ ومثال ذلك قوله في الآية الكريمة:﴿ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ (سورة التوبة الآية:37):" على قراءة (يَضلُّ به الذين كفروا) بفتح الياء وضمها لَا يصح أن يكون الفاعل الذين لأنه معنى يضل، والذين مفعول، وإما على قراءة يضل بضم الياء وكسر الضاد، وله ثلاثة أوجه: إما يضل الله به الذين كفروا، أو يضل الشيطان به الذين كفروا، أو يضل به الذين كفروا فأنعتهم وهو أقواها؛ لأنه لم يجز ذكر الله ولا ذكر الشيطان".(3)

ب/ اعتماده الصرف في تفسيره:

لقد تعرض ابن عرفة إلى مسائل الصرف في تفسيره لبيان معاني الآيات القرآنية من خلال ذكر الميزان الصرفي لكثير من الألفاظ التي رأى أنها تحتاج إلى ذلك، ومثاله قوله عند تفسير معنى كلمة من قوله تعالى:﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾(سورة النجم الآية:12) :" لما تضمن الكلام السابق

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 259.
(2). المصدر نفسه، ج3، ص: 363.
(3). المصدر نفسه، ج2، ص: 304.

تحقيق وقوع الرؤية، أي هذا إنكار لإنكار قريش ذلك، فإن قلت: تمارونه من المماراة، والمفاعلة ما تكون إلا من الجانبين، فكيف تسلط الإنكار على الجانبين مع أنه عليه السلام محق؟ فالجواب: من وجهين:

الأول: أن الماضي منه مارى على وزن فاعل، وهذا الوزن البادئ فيه بالفعل هو الفاعل فتسلط الإنكار على ضمير الفاعل البادئ بالمماراة.

الثاني: الإنكار تسلط على مماراتهم فقط لأنها في الباطل".(1)

ومما تقدم من الأمثلة يتضح لنا اهتمام ابن عرفة بمسائل اللغة والنحو والصرف، وغرضه من ذلك توجيه المعاني وتيسير إدراكها.

ج/ اعتماده البلاغة في تفسيره:

علم البلاغة بقوله: " علم يبحث فيه عن مفردات الألفاظ الموضوعة من حيث دلالتها على معانيها بالمطابقة".(2)

يتعرض ابن عرفة إلى مسائل البلاغة في تفسيره ومنها علم البيان، وأمثلة ذلك ما جاء في تفسيره لآية من سورة البقرة لقوله تعالى:﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾(سورة البقرة الآية:17)، نجده كثيراً ما يفتتح تفسيره بأسلوب السؤال والجدل، فقد بدأ كلامه: "كيف شبه الجمع بالواحد؟ فأجيب بأنّه كلية روعي فيها آحادها، أو المراد بالموصول الجمع أو هو واحد بالنوع لا بالشخص، والتشبيه يستدعي مشبها ومشبها به، ووجه التشبيه نتيجة، كما أن القياس التمثيلي يقتضي فرعا وأصلا وعلة جامعة ونتيجة وهي الحكم، فالمشبه المنافقون والمشبه به مستوقد النار.(3)

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 93.

(2). البلغة إلى أصول اللغة، أبو الطيب الحسيني البخاري القنوجي، تحقيق: سهاد حمدان أحمد السامرائي، جامعة تكريت، ص:31.

(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 59.

ومن صور البديع القرآني: اللف والنشر، والذي يعرف بـ :"أن يُذكر شيئان أو أشياء، إما تفصيلاً بالنص على كل واحد، أو إجمالاً بأن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدد، ثم يذكر أشياء على عدد ذلك، ككل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم، ويفوّض إلى عقل السامع ردّ كل واحد إلى ما يليق به". (1)

فقد استخرج الإمام ابن عرفة للّفّ والنشر نماذج وأمثلة كثيرة من القرآن العظيم، من بينها ما قاله في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝٧٦ ﴾(سورة آل عمران: 75. 76):" ويحتمل أن يكون من اللف والنشر المخالف، فقوله: (بَلَى) راجع لـ (وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ)، و(مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ) راجع لقولهم (لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ)".(2)

ويقول في تفسير قوله عز وجل: ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ۝٤٠﴾ (سورة الرعد الآية:40):" في هذا عندي اللف والنشر فقوله: (عَلَيْكَ الْبَلَاغُ) يرجع لقوله: (نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ) لأنه إذا نزل العذاب بهم في حياته قد يظن هو أن عليه في ذلك عتباً وملاماً لعدم إيمانهم فقيل له "إن رأيتهم نزل بهم عذاب فلا يتوهم أن عليك في ذلك شيئا لأنك إنما عليك البلاغ وقد بلغت، وقوله: (وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) يرجع لقوله: (أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) لأنهم إذا عذبوا بعد وفاته أنفى التوهم المتقدم، وقيل له: علينا حسابهم". (3)

قَالَ تَعَالَى:﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ (سورة المائدة الآية: 15)، حيث قال: "وفي الآية على ما فسرته أنا اللف والنشر، فالنور راجع لقوله﴿ يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا

(1). الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص: 665، 666.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 374.

(3). المصدر نفسه، ج2، ص: 435.

﴿مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (سورة المائدة: الآية 15)، وقوله (وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ) راجع لقوله تعالى:﴿ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝ ﴾؛ لأن النور كاشف لما وراءه فكشفَ باعتبار معناه، وباعتبار محله، وكونه في كتبهم وأخفوه، وكونه كتاباً مبيناً إشارة إلى استبانة معناه فقط".[1]

وقد أشار الإمام ابن عرفة في كثير من الآيات إلى مبحث الالتفات استخراجاً لمواقعه وتنبيهاً على فوائده، والذي يعرف بأنَّه:" نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، أي: من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها، بعد التعبير بالأول، ومن فوائده تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضَّجر والملل، لما جُبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد".[2]وهذه بعض النماذج من جهوده في ذلك:

تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (سورة الأنعام الآية: 99):"هذا التفات، فإن قلت: ما فائدة الالتفات هنا في الانتقال من الغيبة إلى التكلم؟ قلنا: فائدته أن هذا الباب أعجب وأغرب من الأول، ففيه ردٌّ على الطبائعية؛ إذ لو كانت هذه الأشياء تفعل بالطبيعة لكان الشجر المسقي بالماء الحلو حلوا أكله، والمسقي بالماء المالح مالحا أكله، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۝ ﴾(سورة الرعد الآية:4)، فأسند تعالى جعلها إليه إشارة إلى أنه خالق كل شيء".[3]

ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۝ ﴾(سورة الكهف الآية:83. 84):" إن كان أمر بتبليغ هذا اللفظ فيكون حكاية لكلام الله تعالى، أي قللهم:" إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ"، وإن كان من كلام الله فيكون شبه التفات، وإلا كان يقال: إن الله مكن له في الأرض".[4]

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 102.

(2). ينظر: الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص: 648، 649.

(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 176.

(4). المصدر نفسه، ج3، ص: 99.

ومن الشواهد على ذلك أيضاً قوله في الآية الكريمة:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾(سورة الشورى الآية:13):"...فقال تعالى (مَا وَصَّىٰ) بلفظ الغيبة، ثم قال: (وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ) بلفظ التكلم لأنه خطاب للحاضر، فغلب فيه خطاب الحاضر على الغائب فأدخل بعده فيه، فقال تعالى: (وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ)".[1]

ومن صور البديع القرآني حسن الائتلاف، والذي عرفه السيوطي في كتابه " الإتقان": ائتلاف اللفظ مع اللفظ أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضاً، بأن يقرب الغريب بمثله والمتداول بمثله، رعاية لحسن الجوار والمناسبة؛ وائتلاف اللفظ مع المعنى أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد، فإن كان فخماً كانت ألفاظه فخمة، أو جزلة فجزلة، أو غريباً فغريبة، أو متداولا فمتداولة، أو متوسطا بين الغرابة والاستعمال فكذلك".[2]

وقد أشار ابن عرفة إلى مواطن حسن الائتلاف في القرآن العظيم، وفيما يلي بعض الأمثلة في ذلك:

تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾(سورة غافر الآية:66):"وعادة الشيوخ يذكرون سؤالا موردا في حسن الائتلاف وهو: لم أسند لفظ العبادة له ولفظ الدعاء لآلهتهم؟

فهلا قال: "نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ "تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ "، أو " نُهِيتُ أَنْ " أدعو "الذين"تَدْعُونَ "مِن دُونِ ٱللَّهِ "؟ فما السر في ذلك؟

قال: فأجابوا بأن المراد بالعبادة الخضوع، أي:" نهيت أن أخضع للذين تدعونهم آلهة، والخضوع لا يستلزم أن يدعوهم آلهة بل هو أعم، فناسب إسناد النهي للأعم المطلق لكونه يستلزم النهي عما فوقه من باب أحرى، فاستعمل الأخص في الثبوت والأعم في النهي".[3]

(1)، تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 3.

(2)، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص: 655.

(3)، تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 400.

ويقول في تفسير قوله عز وجل: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾(سورة الجاثية الآية: 33):"في الآية حسن الائتلاف، باقتران " وبدا" ب"سَيِّئَاتُ" ، واقتران حاق ب "يَسْتَهْزِءُونَ" لأن البُدُوَّ عبارة عن أول ما يظهر من الشيء، و(سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا۟) يقتضي مطلق الذنوب الناشئة عن مطلق ما اتصفوا به من العمل، والاستهزاء عبارة عن شدة ما اتصفوا به من القبيح، والحوق: الإحاطة، قلت: ومنه قولهم: الطائفة محوقة بهذا الرسم، فقرن الأشد بالأشد، والأخف بالأخف". (1)

المطلب الثالث: مصادره في التفسير.

يتضح من خلال تفسير ابن عرفة كثرة المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في شتى العلوم، واعتمد في التفسير على ابن عطية والزمخشري، إلى جانب بقية المفسرين وعلماء اللغة والأصول والمنطق، وهذه النقول لم تطغ عليه، وبدت آراؤه واضحة معبرة عن شخصيته.(2)وكان- رحمه الله- في الغالب لا يصرح بالمصادر التي اعتمد عليها في تفسيره . اسم المصدر ومؤلفه . وأحيانًا يصرح بها. فيكتفي بذكر المصدر فقط أو مؤلفه .، ومن هذه المصادر ما هو مطبوع متداول، ومنها ما يزال مخطوطًا لم يطبع بعد.

ونظرا لكثره المصادر والمراجع التي تحدث عنها وأخذ منها؛ إما ناقلا مستفيدا أو محاورا مناقشا فإنني اكتفيت بأكثرها تكراراً واعتماداً، ونذكر منها ما يلي:

أولاً. مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن:

يجد القارئ لتفسير ابن عرفة أنه قد اعتمد في جمع مادته العلمية على عدة تفاسير ممن سبقه من المفسرين, وأهم هذه التفاسير: تفسير ابن عطية، ومعالم التنزيل للبغوي، والكشاف للزمخشري، ومفاتيح الغيب للرازي, وأنوار التنزيل للبيضاوي، تفسير القرطبي، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، وغيرها. وكثيرًا ما يناقش آراء أصحاب هذه المؤلفات فيؤيدها أو ينتقدها ويرجح بعضها أحيانًا.

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 16.

(2). تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، ج3، ص: 367 . 368.

وهذا بيان لأهم المصادر التي أكثر الإمام ابن عرفة من اعتمادها، وهي:

1- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:

لمؤلفه أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، المتوفى سنة (538هـ)، المفسّر النحوي اللغوي المعتزلي، وقيمة هذا التفسير ـ بصرف النظر عما فيه من الاعتزال أنه ـ تفسير لم يُسبق مؤلفه إليه، لما أبان فيه عن وجوه الإعجاز في غير ما آية من القرآن، ولما أظهر فيه من جمال النظم القرآني وبلاغته.(1)

فالقارئ لتفسير الإمام ابن عرفة يجد أنه قد أكثر في النقل عنه، وكلما مر على آية فيها استدلال للزمخشري على مذهبه الاعتزالي، نبّه عليها رادًا لقوله، مبينًا وجه الحق فيها منتصرًا لمذهبه مذهب أهل السنة والجماعة، إلا في مواضع قليلة. ومن أمثلة ذلك:

ما ورد عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾(سورة الفاتحة الآية: 5):"إن قلت: لِمَ قُدِّمَت العبادة على الاستعانة مع أنّ الاستعانة سبب فيها؟

فأجاب الزمخشري: بأن العبادة وسيلة، والاستعانة مقصَد، فقُدِّمت الوسيلة قبل الحاجة.(2)

قال ابن عرفة:" بل الصواب العكس، فالعبادة هي المقصَد.

قال: وكان يمشي لنا الجواب عن ذلك بأن هذا أقرب لكمال الافتقار وخلوص النية؛ فإنّ المكلف إذا أَقَرّ أوّلاً بأن لاَ قُدْرة له على الفعل إلا بالله، ثم فعل العبادة، فإنّه قد تَحُولُ نيتُه بعد ذلك وتزهو نفسه ويتوهَّم أن الفعل الواقع منه بقدرته استقلالاً، فإذا أقرّ بعد الفعل بأن لا استعانة له عليه إلا بالله، كان أنفى للتهمة وأقرب لمقام التذلّل والخضوع".(3)

---

(1) ينظر: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ط1: 1408 هـ - 1988 م، ج12، ص: 272؛ طبقات المفسرين للداوودي، مرجع سابق، ج2، ص: 314. 315؛ التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج1، ص: 306.

(2) ونص كلام الزمخشري: فإن قلت: فلم قدّمت العبادة على الاستعانة؟ قلت: لأنّ تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة إليها، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم الزمخشري جار الله ، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان ، ط3 : 1407هـ ، ج1، ص: 14. 15.

(3) تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 36. 37.

ونجد أن ابن عرفة في كثير من المواضع يخالف الزمخشري ولا يأخذ برأيه، ومن الشواهد على ذلك قوله في تفسيره للآية الكريمة: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ ﴾(سورة البقرة الآية: 8):" قال **الزمخشري**: "فإن قلت: لِمَ قال عنهم ﴿ءَامَنَّا﴾ بلفظ الفعل، وفي الردّ عليهم قال:﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾فعبر بلفظ الاسم؟ وأجاب بأنّ مقصودهم الإخبار بالاتصاف بالإيمان، فردّ عليهم بأنّهم ليسوا من نوع المؤمنين، ولا من جنسهم بوجْهٍ".(1)

قال ابن عرفة:" وهذا الجواب ضعيف، وممّا يؤكّدُ السؤال أنّ الفعل أعمّ، والاسم أخصّ، ونفي الأعمّ أخصّ من نفي الأخصّ، فهلا كان الأمر بالعكس، وهو أولى؟

قال ابن عرفة:" والجواب أنّ المنافقين لَمَّا كان مقصدهم التَّوْرِيَة لَمْ يُعبِّرُوا بلفظٍ صريح في الإيمان، بل عبّروا بما يدل على الاتصاف بمطلق الإيمان، لا بأخصّه، وأتوا بالفعل الماضي ليدلّ على وقوعه وانقطاعه وعدم الدّوام عليه، ولَمَّا كان المقصود الرَّد عليهم وأنّهم لم يتّصفوا بالإيمان النافع، بل بإيمان لا ينفع، لم ينف عنهم مطلق الإيمان؛ لأنهم قد آمنوا ظاهراً، فنَفَى عنهم الإيمانَ الشرعيَّ لأنّ الإيمان الموجب لعصمة دمائهم وأموالهم قد اتّصفوا به ظاهراً، فأخبر الله تعالى أنّ ذلك الإيمان النّافع لهم في الدنيا بالعصمة من القتل والسَّبْي لا ينفعهم في الآخرة، فلذلك نفاه عنهم بلفظ الاسم".(2)

ويورد ابن عرفة أيضاً رأي الزمخشري في بيان بعض مسائل النحو عند تفسيره لقوله سبحانه وتعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٦٢ ﴾(سورة البقرة الآية: 262)قال:"...فإن قلت: لِمَ قال هنا:﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، وقال بعده:﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٧٤ ﴾(سورة البقرة الآية: 274) فعطفه بالفاء؟

(1). ينظر: الكشاف، مرجع سابق، ج1، ص: 55.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 50.

وأجاب **الزمخشري** بأنّ الموصول لم يُضمَّن هنا معنى الشرط، وضُمِّنَهُ هناك لأنّ "الفاء" تدل على أنّ الإنفاق به استُحِقَّ الأجر".(1)

قال ابن عرفة: "هذا الكلام لا يستقل بنفسه، ولا يزال السؤال وارداً، فيقال: لأي شيء أُورِدَ الشرط هناك ولم يَرِد هنا"؟

قال ابن عرفة: "لكن عادتهم يجيبون بأنه لَمَّا قصد هناك الإخبار بأنّ مطلق الإنفاق في سبيل الله ملزوم الأجر قلّ أو كَثُرَ، أدخلت "الفاء" تحقيقاً للارتباط، ولَمَّا كان المراد هنا إنفاقاً خاصاً على وجهٍ شبيهٍ بحَسنةٍ موصوفةٍ بهذه الصفة، وأُكِّدَت خصوصيتُه بسلامته من المنِّ والأذى، كان ترتُّبُ الأجر عليه كالمعلوم بالبديهة وكالمستفاد من اللفظ، فلم يحتج إلى ما يحقِّقُ الارتباط".(2)

2. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:

تأليف الإمام أبي محمد، عبد الحق بن أبي بكر بن غالب بن عطية الغرناطي، المتوفى سنة (546هـ . 1144م)، وتأليفه في التفسير جليل الفائدة، وهو تفسير له قيمته العلمية بين كتب التفسير وعند جميع المفسرين، وذلك راجع إلى أن مؤلفه أضفى عليه من روحه العلمية الفياضة ما أكسبه دقة ورواجاً وقبولاً، فهو يذكر الآية ثم يفسرها بعبارة عذبة سهلة، ويورد من التفسير المأثور ويختار منه في غير إكثار، وهو كثير الاستشهاد بالشعر العربي، كما أنه يحتكم إلى اللغة العربية عندما يوجه بعض المعاني، ويتعرض للقراءات وينزل عليها المعاني المختلفة.(3)

ويعد تفسير ابن عطيّة من المصادر المهمة التي اعتمدها ابن عرفة في تفسيره، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ (سورة الفاتحة الآية: 2)

---

(1). ينظر: الكشاف، مرجع سابق، ج1، ص: 312.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 320.

(3). ينظر: معجم مصنفات القرآن الكريم، علي شواخ إسحاق، دار الرفاعي، الرياض . السعودية، ج3، ص: 143؛ التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج1، ص: 171، 172؛ مناهج المفسرين، منيع عبد الحليم محمود، دار الكتاب المصري، القاهرة . مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت . لبنان، 1421هـ . 2000م، ص: 125.

قال **ابن عطيّة**:" ويروى أنها تعدل ثلثي القرآن، والعدل إما في المعاني باشتمالها على التوحيد وغيره، وَ{قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ} على التوحيد فقط، وإما أن يكون فضلا من الله لا يعلل[1]".[2]

كما اقتبس ابن عرفة منه تفسيره لكثير من الآيات ومن ذلك قوله في الآية الكريمة:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾(سورة البقرة الآية: 23)

قال ابن عرفة:" (قال **ابن عطية**): قال الأكثرون: مثل نظمه ووصفه وفصاحة معانيه ولا يعجزهم إلا التأليف الذي خص الله به القرآن، وبه وقع الإعجاز عند الحذاق[3]".[4]

ومن ذلك أيضاً تفسيره لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾(سورة البقرة الآية: 65)

قال ابن عطية: "والسبت أي في يوم السّبت أو في حكم السّبت... السّبت إمّا من السّبوت وهو الراحة والدعة، وإما بمعنى القطع[5]".[6]

ونجد ابن عرفة في بعض المواضع يخالف ابن عطيّة ولا يأخذ برأيه، ومن شواهد ذلك قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (سورة البقرة الآية: 100):"قال **ابن عطيّة**: "الضمير في «أَكْثَرُهُمْ» إما عائد على بني إسرائيل أو على الفريق النابذين".[7] وضعفه ابن عرفة لأنه يلزم عليه أن يكون بعض الذين نبذوا العهد مؤمنا؟ وأجيب باحتمال كون المنبذ راجعا لعدم الإيمان بالنبي ﷺ فبعضهم (آمن بكتابه) ولم يؤمن بالنبيﷺ فقد نبذ العهد (مع أنه مؤمن بكتابه)".[8]

---

(1). ونص كلام ابن عطية: يروى أنها تعدل ثلثي القرآن، وهذا العدل إما أن يكون في المعاني، وإما أن يكون تفضيلا من الله تعالى لا يعلل، وكذلك يجيء عدل قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (سورة الإخلاص الآية: 1) وعدل زُلْزِلَتِ [سورة الزلزلة الآية: 1]. تفسير ابن عطية، مرجع سابق، ج1، ص: 66.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 35.

(3). ينظر: تفسير القرطبي، مرجع سابق، ج1، ص: 232.

(4). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 71.

(5). تفسير ابن عطية، مرجع سابق، ج1، ص: 159.

(6). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 125.

(7). ينظر: تفسير ابن عطية، مرجع سابق، ج1، ص: 185.

(8). المرجع نفسه، ج1، ص: 152.

3. مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير:

مؤلف هذا التفسير هو أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، التميمي، البكري، الطبرستاني، الرازي، الملقب بفخر الدين والمعروف بابن الخطيب الشافعي، المولود سنة 544هـ، كان رحمه الله فريد عصره، ومتكلم زمانه، جمع كثيراً من العلوم ونبغ فيها، فكان إماماً في التفسير والكلام، والعلوم العقلية، وعلوم اللغة، ولقد أكسبه نبوغه العلمي شهرة عظيمة فكان العلماء يقصدونه من البلاد، ويشدون إليه الرحال من مختلف الأقطار.

له عدة مصنفات أهمها: تفسيره الكبير المسمى بمفاتيح الغيب، وهو يحظى بشهرة واسعة بين العلماء، وذلك لأنه يمتاز عن غيره من كتب التفسير، بالأبحاث الفياضة الواسعة، في نواح شتى من العلم.(1)

ويعد تفسيره أحد المصادر التي اعتمدها ابن عرفة في تفسيره، إذ نقل عنه تفسيره للآيات القرآنية، ومن شواهد ذلك قوله في الآية الكريمة: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ (سورة المائدة الآية: 118).

قال ابن عرفة: إن كنت أردت تعذيبهم فهم عبادك، وإن أردت المغفرة لهم، ولذا جاء بقول العزة؛ لأنها سبب المغفرة، فتقف عند قوله (وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

قال الفخر الرازي:" إن في مصحف عبد اللَّه (وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) سمعت شيخي ووالدي رحمه اللَّه يقول العزيزُ الحكيمُ هاهنا أولى من الغفور الرَّحيمِ، لأن كونه غفورًا رحيمًا يشبهُ الحالة الموجبة للمغفرة وَالرَّحمةِ لكل محتاجٍ، وأمَّا العزّة والحكمةُ فهما لَا يُوجِبَانِ المغفرَةَ، فإنَّ كونه عزيزًا يقتضي أنَّه يفعل ما يشاءُ ويَحكم ما يريد، وأنَّه لا اعْتِرَاضَ عليه لأحد فإذا كانَ عَزِيزًا متعَالِيًا عَنْ جَمِيعِ جِهَاتِ الِاسْتِحْقَاقِ، ثُمَّ حكم بالمغفرة كان الكرم هَاهُنَا أَتَمَّ مِمَّا إذَا كانَ كونُهُ غَفُورًا رَحِيمًا يُوجِبُ الْمغفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ، فَكَانَتْ عِبَارَتُهُ رَحِمَهُ اللَّه أن يقول: عَزَّ عَنِ الكلِّ. ثمَّ حَكَمَ بِالرَّحْمَةِ فكان هذا أَكملَ. وقال قوم آخرون: إِنَّهُ لو قال: فإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، أَشْعَرَ ذلك بِكَوْنِهِ شَفِيعًا لَهُمْ، فَلَمَّا قال:

(1). ينظر: معجم مصنفات القرآن، مرجع سابق، ج1، ص: 155؛ التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج1، ص: 206، 208.

فَإِنَّكَ أَنْتَ العزيز الحكيم دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ غرضه تفويض الأمر بِالْكُلِّيَّةِ إِلَى اللَّه تَعَالَى، وَتَرْكُ التَّعَرُّضِ لهذا الباب من جميع الوجوه[1]". [2]

ونجد ابن عرفة في بعض المواضع يورد رأي الرازي ثم يعلق عليه، ومن شواهد ذلك ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾(سورة البقرة الآية: 73):"أفرد الخطاب والمخاطبون جماعة: إما لقلة من يتأثر بهذه الآية منهم، ثم جمعهم في قوله ﴿وَيُرِيكُمْ﴾ اعتبارا بظاهر الأمر، وإما لأن المخاطب واحد بالنوع. واستقرى **الفخر الرازي** من الآية فوائد كثيرة: منها أن الزيادة في الخطاب نسخ له. ومنها أن النسخ قبل الفعل جائز، وإن لم يجز قبل وقت الفعل وإمكانه لأدائه إلى البدء. وردّ ابن عرفة الأول بأنها زيادة على النص[3]". [4]

ويورد ابن عرفة رأي الرازي في بيان بعض مسائل العقيدة، ومن الشواهد على ذلك قوله في تفسير قول الله عز وجل :﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾(سورة البقرة الآية: 58) :"قال الفخر الرّازي: "يحتج بها على المعتزلة في قولهم: إن قبول التوبة واجب عقلا لأجل ما اشتملت عليه من أوصاف الامتنان بتعداد النعم، فغفران الخطايا نعمة وتفضل لا أنّه واجب لأجل التوبة". [5]

---

(1). مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط3: 1420هـ ، ج12، ص: 468.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 138.

(3). ونص كلام الرازي: "وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَسْهَلَ قَدْ يُنْسَخُ بِالْأَشَقِّ وَيَدُلُّ عَلَى جَوَازِ النَّسْخِ قَبْلَ الْفِعْلِ وَلَكِنَّهُ لَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ النَّسْخِ قَبْلَ وَقْتِ الْفِعْلِ، وَيَدُلُّ عَلَى وُقُوعِ النَّسْخِ فِي شَرْعِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَهُ أَيْضًا تَعَلُّقٌ بِمَسْأَلَةِ أَنَّ الزِّيَادَةَ عَلَى النَّسْخِ هَلْ هُوَ نَسْخٌ أَمْ لَا، وَيَدُلُّ عَلَى حُسْنِ وُقُوعِ التَّكْلِيفِ ثَانِيًا لِمَنْ عَصَى وَلَمْ يَفْعَلْ مَا كُلِّفَ أَوَّلًا". مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج3، ص:546.

(4). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 131.

(5). لم أقف عليه في التفسير الكبير عند التعرض لتفسير هذه الآية.

ورده ابن عرفة: بأنهم يقولون: إن الامتنان بهذه النعمة سبب لطريق التوبة، والخطايا مرتفعة بالتوبة".[1]

4 . تفسير جامع أحكام القرآن.

ومؤلفه أَبُو عبدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحمدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي المتوفى سنة 671هـ، وصف كتابه بأنه تعليق وجيز يتضمن نُكتاً من التفسير والإعراب والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعاً بين معانيها ومبيناً ما أشكل منها بأقاويل السلف ومن تبعهم من الخلف.[2]

وقد اعتمد ابن عرفة على القرطبي في بيانه لمعاني بعض الآيات، ومن شواهد ذلك قوله في الآية الكريمة: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾(سورة البقرة الآية: 23)

قال **القرطبي**: "إنما قال ذلك لأن العبودية تقتضي التذلل والخضوع، ولا شك أن التذلل للبارئ جل وعلا هو أشرف الأشياء [3]."[4]

وأيضاً ما جاء في تفسيره لقوله سبحانه وتعالى:﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾(سورة البقرة الآية: 24)قال **القرطبي**: "معناه فإنْ لَّمْ تَفْعَلُواْ في الماضي وَلَن تَفْعَلُواْ في المستقبل [5]".[6]

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 116.

(2). ينظر: طبقات المفسرين للداوودي، مرجع سابق، ج2، ص: 69؛ معجم المفسرين، من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط3: 1409 هـ - 1988م، ج2، ص: 479؛ القول المختصر في مناهج المفسرين، أبي عبد الله محمد الحمود النجدي، مكتبة دار الإمام الذهبي. الكويت، ط1: 1412هـ، ص:25.

(3). ينظر: تفسير القرطبي، مرجع سابق، ج1، ص: 232.

(4). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 71.

(5). ونص كلام القرطبي: قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا) يَعْنِي فِيمَا مَضَى (وَلَنْ تَفْعَلُوا) أَيْ تُطِيقُوا ذَلِكَ فِيمَا يَأْتِي، تفسير القرطبي، مرجع سابق، ج1، ص: 233.

(6). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 73.

ويورد ابن عرفة رأي القرطبي في بيان بعض المسائل الفقهية، ومن شواهد ذلك قوله في تفسير قوله عز وجل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ ﴾ (سورة البقرة الآية: 178): " قال الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي: قال الْكُوفِيُّونَ وَالثَّوْرِيُّ: يقتل الحر بالعبد والمسلم بالكافر الذِّمّيّ. واحتجّوا بهذه الآية. قالوا: الذّمي مع الحر متساويان في حرمة الدم على التأبيد بدليل أن المسلم يقطع بسرقة مال الذمي كمال المسلم فيتساويان في الذّم إذ المال إنما يحترم بحرمة مالكه[1]".[2]

كما نقل ـ رحمه الله ـ عن جملة من التفاسير الأخرى، نؤثر ذكرها دون تفصيل:

ـ البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ).[3]

ـ أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ).[4]

أما التفسير بالمأثور نقل عن :.

ـ جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ).[5]

---

(1). ونص كلام القرطبي: قَالَ الْكُوفِيُّونَ وَالثَّوْرِيُّ: يُقْتَلُ الْحُرُّ بِالْعَبْدِ، وَالْمُسْلِمُ بِالذِّمِّيِّ، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلى " فَعَمَّ، وَقَوْلُهُ:" وَكَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ" [المائدة: 45]، قالوا: والذِّمِّيُّ مَعَ الْمُسْلِمِ متَساوِيَانِ فِي الْحُرمةِ الَّتِي تكْفِي فِي الْقصاصِ وَهِي حرمة الدَّمِ الثَّابِتَةُ عَلَى التَّأْبِيدِ، فَإِنَّ الذِّمِّيَّ مَحْقُونُ الدَّمِ عَلَى التَّأْبِيدِ، وَالْمُسْلِمُ كَذَلِكَ، وَكِلَاهُمَا قَدْ صَارَ مِنْ أَهْلِ دار الْإِسلامِ، والَّذِي يحَقِّقُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمَ يُقْطَعُ بسرِقَةِ مَالِ الذِّمِّيِّ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَالَ الذِّمِّيِّ قَدْ سَاوَى مَالَ الْمسلِمِ، فدلّ عَلَى مُسَاوَاتِهِ لِدَمِهِ إذ الْمَالُ إِنَّمَا يَحْرُمُ بِحُرْمَةِ مَالِكِهِ. تفسير القرطبي، مرجع سابق، ج2، ص: 246.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 212.

(3). المصدر نفسه، ج1، ص: 32، 50، 81، 91، 123، 163، 185، 217، 240، 253، 260، 363؛ ج2، ص: 34، 42، 65، 110، 145، 150، 179؛ ج3، ص: 231؛ ج4، ص: 56.

(4). المصدر نفسه، ج1، ص: 212، 218، 273، 309؛ ج2، ص: 5، 6، 14، 23، 42، 78؛ ج2، ص: 5، 6، 14، 23، 42، 78؛ ج3، ص: 112، 148، 205، 309.؛ج4، ص: 34، 81، 183، 205، 313.

(5). المصدر نفسه، ج1، 50، 67، 110، 203، 213، 376؛ ج2، ص: 184؛ج3، ص: 108، 403؛ج4، 190، 190، 214.

ـ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى سنة: 437هـ).[1]

. التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، المشهور بـ: " التحصيل"، أحمد بن عمار بن أبي العباس التميمي المهدوي أبو العباس (المتوفى: 440هـ).

أما **مصادره من كتب علوم القرآن** فهي كالآتي:

ـ الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي النحوي (المتوفى: 377هـ).[2]

ـ حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع " متن الشاطبية"، القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي (المتوفى: 590هـ).[3]

ثانياً. مصادره من كتب الحديث وعلومه:

لقد اعتمد ابن عرفة بمجالس تفسيره على مصادر كثيرة في الحديث وعلومه، ولكثرة مصادره وتنوعها وتجنباً للإطالة فسأكتفي بحول الله تعالى بذكرها مشيرة إلى بعض مظانّها في تفسيره، وسيكون حديثي أولا عن مصادره في الحديث، ثم أتحدث بعد ذلك عن مصادره في علوم الحديث.

أ- **مصادره في الحديث:**

وأكثر ما اعتمد عليه في تفسيره من كتب الحديث كتب الصحاح:

-(صحيح البخاري)، للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت 256هـ).[4]

-(صحيح مسلم)، للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت 261هـ).[5]

---

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 425؛ ج3، ص: 94، 151، 353؛ ج4، ص: 77، 244.

(2). المصدر نفسه، ج1، ص: 75، 365؛ ج2، ص: 110، 295، 377؛ ج3، ص: 188، 342.

(3)المصدر نفسه، ج1، ص: 376؛ ج2، ص: 161، 207، 241، 275، 292؛ ج3، ص: 93، 171، 172، 326.....

(4). المصدر نفسه، ج1، ص: 458، ج2، ص: 49، 72، 371، ج3، ص: 94، 103، 174، 285، ج4، ص: 75، 89، 206، 242....

(5). المصدر نفسه، ج1، ص: 35، 125، 126، 136، 153، 267، 337؛ ج3، ص: 124، 185، 277، 297، 297، 402، 411؛ج4، ص: 31، 59، 62، 86، 249، 257، 262.

-(سنن أبي داود)، للإمام سليمان بن الأشعث بن الأشعث بن إسحاق الأسدي السجستاني (ت 273هـ).

-(سنن الترمذي)، للإمام أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي (ت 279هـ).[1]

-(سنن ابن ماجه)، لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (273 هـ).[2]

-(سنن الدارمي)، لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت 255هـ).[3]

-(الموطأ)، للإمام مالك بن أنس بن مالك (ت 179هـ).[4]

- (مسند الشافعي)، للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت 204هـ).[5]

-(مسند الإمام أحمد)، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت 241هـ).[6]

- (المعجم الكبير)، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت360هـ).[7]

- (سنن الدار قطني)، للإمام علي بن حجر القطني (ت 385هـ).[8]

-(التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد)، لابن عبد البر القرطبي (ت 463هـ).[9]

أما مصادره في شروح كتب الحديث فقد ذكر:

- شرح صحيح مسلم، للنووي (ت 676هـ).[10]

ثالثاً . مصادره من كتب اللغة والنحو:

1/ كتب النحو:

أما في النحو فقد رجع الإمام ابن عرفة إلى أهم كتب النحو واللغة، منها:

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 265، ج2، ص: 267؛ ج3، ص: 123، 262، 283؛ ج4، ص: 5، 63، 210.

(2). المصدر نفسه، ج3، ص: 123؛ ج4، ص: 242.

(3). المصدر نفسه، ج3، ص: 283.

(4). المصدر نفسه، ج1، ص: 363؛ ج2، ص: 50؛ ج4، ص: 75، 176.

(5). المصدر نفسه، ج1، ص: 25، 75؛ ج3، ص: 241؛ ج4، ص: 68، 177.

(6). المصدر نفسه، ج3، ص: 174، 283؛ ج4، ص: 210، 242.

(7). المصدر نفسه، ج3، ص: 5، 134.

(8). المصدر نفسه، ج1، ص: 309.

(9). المصدر نفسه، ج1، ص: 323، 406؛ ج2، ص: 50؛ ج4، ص: 279.

(10). المصدر نفسه، ج1، ص: 159؛ ج2، ص: 305؛ ج3، ص: 353.

ـ كتاب المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: 285هـ).(1)

ـ كتاب المقرب في النحو، علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (المتوفى:669هـ).(2)

ـ التعريفات، لعلي بن محمد ين علي الجرجاني (ت816هـ).(3)

ـ الصحاح، للجوهري: وهو أبو نصر إسماعيل بن حماد(ت 393هـ).(4)

ـ لسان العرب، لابن منظور: وهو أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ).(5)

2/ كتب إعراب القرآن الكريم:

ـ كتاب ألفه أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (المتوفى:616هـ)، وعنوانه: إملاء ما منّ به الرحمن، من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن.(6)

ـ كتاب المجيد في إعراب لقرآن المجيد، برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السفاقسي (المتوفى: 742هـ).(7)

وقد أفاد ابن عرفة في تفسيره من أعلام اللغة والنحو دون أن يشير إلى المصادر التي نقل عنها ومن أهم هؤلاء ما يأتي:

1-الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ).(8)

2-(سيبويه)، وهو أبو بشر عمرو بن قنبر (ت 180هـ).(9)

3- علي بن حمزة الكسائي الكوفي (ت 189هـ).(10)

4- (المبرّد): هو أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ).(11)

---

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 79، 208؛ ج4، ص: 55.

(2). المصدر نفسه، ج1، ص: 221، 323.

(3).المصدر نفسه، ج1، ص: 345.

(4). المصدر نفسه، ج1، ص: 189؛ ج2، ص: 403؛ ج3، ص: 176، 239؛ ج4، ص: 164.

(5)المصدر نفسه، ج3، ص: 328.

(6). المصدر نفسه، ج1، ص: 24، 62، 85، 288؛ ج2، ص: 129، 153، 295، 307.

(7). المصدر نفسه، ج2، ص: 88، 89، 134، 136، 138، 175، 323، 423؛ ج4، ص: 89، 101.

(8). المصدر نفسه، ج4، ص: 38، 207.

(9). المصدر نفسه، ج3، ص: 240؛ ج4، ص: 38، 257.

(10). المصدر نفسه، ج1، ص: 196؛ ج2، ص: 83، 134؛ج4، ص: 38.

(11). المصدر نفسه، ج4، ص: 207.

5ـ (الأزهري) : وهو أبو منصور، محمد بن احمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر الأزهري الهروي (ت370هـ).[1]

8-(النقّاش): وهو أبو إمامة بن النقاش محمد بن علي المصري (ت 763هـ).[2]

رابعاً. مصادره من كتب الفقه وأصوله:

أ/ الفقه:

أما في مجال الفقه، فقد اعتمد في تفسيره على كتب الفقه المالكية وهي:

- المدونة، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ).[3]
- العتبية، وتسمى أيضا المستخرجة، محمد العتبي بن أحمد بن عبد العزيز الأموي (المتوفى: 245هـ).[4]
- التهذيب في اختصار المدونة، خلف بن أبي القاسم محمد، الأزدي القيرواني، أبو سعيد ابن البراذعي المالكي (المتوفى: 372هـ).[5]
- شرح المعالم الفقهية، شرف الدين أبو محمد الفهري ابن التلمساني (المتوفى : 644هـ).[6]

ب/ أصول الفقه:

لقد اعتمد في تفسيره على عدة كتب أصولية أبرزها:

- البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: 478هـ)[7].

---

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 209.

(2). المصدر نفسه، ج1، ص: 428؛ ج4، ص: 126، 190.

(3). المصدر نفسه، ج1، ص: 76، 102، 111، 161، 208، 219، 272، 275، 282، 285، 290، 335، 384، 392؛ ج2، ص: 5، 12، 21، 34، 71، 82، 132، 248، 272، 285؛ ج3، ص: 57، 106؛ ج4، ص: 45، 51، 176، 245، 273، 277....

(4). المصدر نفسه، ج1، ص: 121؛ ج3، ص: 338.

(5). المصدر نفسه، ج1، ص: 316؛ ج2، ص: 15، 418؛ ج3، ص: 244؛ ج4، ص: 49.

(6). المصدر نفسه، ج1، ص: 67، 239، 333، 454؛ ج2، ص: 217، 245؛ ج3، ص: 14، 67، 127، 279، 279، 286؛ ج4، ص: 175، 250، 289، 359.

(7). المصدر نفسه، ج1، ص: 366؛ ج3، 266، 366؛ ج4، ص: 279، 132، 273.

وشرحه أبو الخير سلامة بن عبد الباقي بن سلامة الأنباري (المتوفى : 590هـ).(1)

- المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ).(2)

-إيضاح المحصول من برهان الأصول، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري (536 هـ).(3)

-المحصول، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: 606هـ).(4)

خامساً. مصادره من كتب أصول الدين:

اعتمد الإمام ابن عرفة في العقيدة على ما يلي:

- **المصادر السنية الأشعرية :**
- قد أكثر الإمام من الأخذ عن الكتب التالية: تستأثر كتب: الأربعين في أصول الدين(5)، والمعالم الدينية(6)، ونهاية العقول(7)والمحصّل(8) لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الرازي (المتوفى: 606هـ).

ـ إيضاح البرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان لأبي الحسن الأشعري (المتوفى: 324هـ).(9)

ـ أبكار الأفكار لسيف الدين الآمدي(10)(المتوفى:631هـ).

---

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 45، 155، 157؛ ج4، ص: 132، 279.

(2). المصدر نفسه، ج4، ص: 273.

(3). المصدر نفسه، ج3، ص: 58، 61، 74؛ ج4، ص: 31.

(4)المصدر نفسه، ج1، ص: 41، 77، 125، 238، 290، 311، 366؛ ج2، ص: 26، 254، 290، 310، 443؛ج4، ص: 59، 94، 106، 127، 158، 293، 257.

(5). المصدر نفسه، ج1، ص: 69، 92، 335، 204، 234، 252، 454؛ ج3، ص: 74، 361.

(6). المصدر نفسه، ج1، ص: 100؛ ج2، ص: 57، 145؛ ج3، ص: 43، 207، 361، 366؛ ج4، ص: 78، 127، 142.

(7). المصدر نفسه، ج1، ص: 29.

(8). المصدر نفسه، ج3، ص: 32، 60.

(9). المصدر نفسه، ج1، ص: 38؛ ج4، ص: 110.

(10)المصدر نفسه، ج1، ص: 29، 64، 335؛ ج4، ص: 206، 221.

ـ شرح كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة للجويني الذي وضعه عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد، القرشي، التميمي، التونسي، المالكي، المعروف بابن بزيزة (المتوفى: 662هـ)، واسم كتابه:" الإسعاد في شرح الإرشاد"[1].

ـ كتاب التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسيره للكتاب العزيز لأبي علي عمر بن محمد بن خليل السكوني المغربي المالكي (المتوفى: 717هـ).[2]

إن أمالي ابن عرفة التفسيرية ما هي إلا حاشية وشرح على أمهات التفسير التي سبقته خاصة المهتمة منها باللغة والعقيدة ، وتجلى ذلك واضحا في مصادره المستخدمة وفي منهجيته التي تعتمد على إيراد النص القرآني، ثم يبدأ باستحضار كلام من سبقه من علماء ومفسرين، ثم يوجه ويعلل ويرجّح بناء على أسئلة وانشغالات طلبته حول تفاسير هؤلاء العلماء الذين يستحضرهم ابن عرفة في درسه، ولو عقد ابن عرفة مجلسا آخر في نفس السورة التي فسرها سابقا لقال كلاما آخر غير الذي قاله من قبل، فهو يحاول أن يجس نبض تلامذته في كل مرة حتى يتناسب شرحه وتفسيره مع واقع جديد ، فهو مفسر وإن كان يتبع نفس المدارس التفسيرية التي سبقته، إلا أنه أيضا مفسر واقعي مجدد يتبع هاجس طلبته وهاجس مجتمعه بما يناسب عظمة وثراء النص القرآني الصالح في كل زمان ومكان، لذلك فهو ينطلق من اللغة والبلاغة وعليهما يؤسس في كل مرة آراءه التفسيرية دون إهمال حق تلامذته في السؤال والتعقيب، وذلك نظرا لثراء وتعدد مرجعياته ومصادره العلمية مع تبحّره في علوم الشريعة وعلوم الآلة، بذلك كله استطاع أن يُوفّق إلى استنباطات سديدة منطلقها اللغة، ووجهتها الفقه تارة أو العقيدة تارة أخرى وبشكل خاص.

يتضح مما سبق أن الإمام ابن عرفة بمجالس تفسيره قد اهتم بتفسير القرآن بالقرآن دون ذكر أسماء بعض السور، أو أرقام الآيات، حيث ترك ذلك للمستمع ولطالب العلم.

---

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 33، 72، 366؛ ج2، ص: 178، 428؛ ج3، ص: 183؛ ج4، ص: 85.

(2). المصدر نفسه، ج2، ص: 184.

. كذلك فسر القرآن بالسنة النبوية، دون ذكر سند الحديث، أو الراوي الأعلى، كذلك شأنه في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

. وبالنسبة لأقوال العلماء والفقهاء كان يورد ويستدل على كلامه بأقوال وآراء بعض الأعلام، ولا ينسبها لقائليها، ، ومرات يكتفي بذكر عناوين كتبهم دون الإشارة إلى أسمائهم في عدة مواضع في تفسيره.

ومن مزايا تفسير ابن عرفة أنه يحفظ لنا أقوال وتفاسير علماء سابقين أو معاصرين له من أئمة التراث التفسيري والعلمي عموما، مع نكت وتنبيهات إضافية، لكن أبرز ما يميزه عن غيره هو أنه تفسير بيداغوجي حواري يناسب الطلبة المتوسطين في علوم القرآن، تخدمه الروح العلمية الاستكشافية لابن عرفة، بما يناسب أيضا المتخصصين في اللغة والبلاغة وخاصة العقيدة وعلم الكلام ، تحتاج من يستخرج تلك النكت والتنبيهات كما فعل بعض تلامذته، وكما نفعل نحن أيضا من خلال هذه الرسالة، دون أن يمنع هذا من أن ابن عرفة عليه بعض المآخذ التي لا تُنقص من قيمة عمله البتة، وهي ليست نقائص بالضرورة، وإنما طبيعة المجلس التفسيري، ونوعية الحاضرين أملت تلك النقائص، ولو أعاد ابن عرفة مجالسه التفسيرية في وقتنا الحالي لكان له كلام آخر بالطبع.

المبحث الثالث: منهج الإمام ابن عرفة في بحث العقيدة

برزت في الفكر الإسلامي مدارس عقدية بعضها أفرط في التركيز على العقل في تعاطيه مع نصوص الشريعة مثل المعتزلة، وبعضها اعتمد على النص فقط معطيا ظهره إلى كل ما يمتّ بصلة إلى العقل وطبيعة الأشياء مثل مدرسة الأثر وأهل الحديث، وبعضها حاول أن يجمع بين مقتضيات العقل وما جاء به النص الديني ساعياً من وراء ذلك إلى الجمع بين النص (النقل) والعقل، مثل المدرسة الأشعرية التي ينتمي إليها الامام ابن عرفة الذي أشار إلى أهمية العقل في فهم نصوص الوحي، ولكي يتضح منهجه وحقيقة انتمائه للمدرسة الأشعرية لابد من تحديد موقفه من العقل والعلوم العقلية، وهو ما سيتم التعرض له هذا المبحث المتكون من مطلبين: **الأول**: موقف الإمام ابن عرفة من العقل، **والثاني**: موقفه من العلوم العقلية.

المطلب الأول: موقفه من العقل

خلق الله تعالى الإنسان وميّزه عن سائر مخلوقاته بعقل مريد، واستعمره كوناً فسيحاً منتظماً وفق نظام دقيق، ومكن الإنسان بما أودعه من قدرات عقلية من استقراء القواعد الكلية التي تحكم نظام الطبيعة. وخاطبه بخطاب بليغ ذي دلالات عميقة، وأعانه على فهمه بما زوده من قدرات ذهنية. فالعقل الإنساني مدار التكليف وسبيل فهم معاني الخطاب، ومن خلال تفاعل العقل الإنساني مع دلالات الوحي وتجليات الواقع نشأت العلوم وتطورت، وتوارثتها الأجيال. فتكاثرت النظريات وتعددت التفسيرات وتضاربت الآراء، ولا سبيل لتمييز الحق من الباطل وتبين الخطأ من الصواب إلا بإعمال الفكر والنظر المنهجي المطرد.(1)

ولاشك أن القرآن الكريم قد دعا إلى التدبر وإعمال العقل كثيراً، وأفضل ما تعمل العقول في تدبره كتاب الله تعالى الذي قال في الحكمة من إنزاله: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (سورة النحل الآية: 44).

(1) . ينظر: إعمال العقل، لؤي صافي، دار الفكر، دمشق . سوريا، ط1: 1419هـ . 1998م، ص: 107 . 108.

فحين نتتبع آيات القرآن الكريم نلاحظ أنه قد سلك مسلكا عقليا في خطاب البشر ودعوتهم إلى الإيمان، وهذا المسلك اتخذ اتجاهين: اتجاه نظري، واتجاه عملي. النظري يتمثل في دعوته المتكررة إلى النظر إذ يقول سبحانه: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (سورة الذاريات الآية: 21) ويقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (سورة محمد الآية: 24).

أما المسلك العملي فيتمثل في الإتيان بالأدلة المقنعة على الأمور الاعتقادية، يقول تبارك وتعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًاۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (سورة الأنبياء الآية : 30-33).

ويقول عز وجل: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ (سورة يس الآية : 78-79).

لهذا توجهت عقول أهل الحرص على فهم كتاب الله تعالى نحوه، ومنهم الإمام ابن عرفة الذي أشار إلى أهمية استخدام العقل لفهم كلام الله تعالى، فيقول عزو جل: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (سورة البقرة الآية : 164).

ومن خلال تفسير ابن عرفة لهذه الآية يتضح موقفه من العقل المتقبل لأحكامه ونتائجه، إذ يستخدمه في الاستدلال على وجود الصانع ووحدانيته فيقول: "وقد دل الدليل العقلي على منع اجتماع مؤثرين على أثر واحد فصح بالآية وجود الصانع ووحدانيته".(1)

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 200.

وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ (سورة البقرة الآية : 170).

يذكر ابن عرفة أن هذه الآية دليل على إبطال التقليد[1]، وينقل قول ابن عطيّة الذي يرى أن الآية دالة على إبطال التقليد، وإجماع الأمة على إبطاله في العقائد".[2]

ويظهر رأي ابن عرفة في التقليد جليًّا من خلال تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾(سورة النجم الآية:28) :"أي لَا يكفي الظن في الأمور الاعتقادية العلمية، واعلم أن إيمان المقلِّد كافٍ. والعوام عرفوا بالدليل والبرهان، لكن عجزوا عن تقرير ذلك الدليل".[3]

فهو يرى أنه لا يجوز التقليد في العقيدة: " التقليد لا يكون إلا بنظر؛ لأن الإنسان لَا يحل له أن يقلد إلا من تحقق معرفته وذلك لَا يحصل إلا بالنظر".[4]

والعوام عرفوا بالدليل والبرهان، لكن عجزوا عن تقرير ذلك الدليل.

ومادام أن التقليد في العقائد أمر مذموم، فالعقيدة الإسلامية تؤسس على الدليل والحجة، والدليل عند المتكلمين يقوم على العقل؛ وفي تعريف الدليل يقول الباقلاني: "هو ما أمكن أن يتوصل بصحيح النظر فيه إلى معرفة ما لا يعلم باضطراره".[5]

ومن المسائل التي تبرز موقف ابن عرفة من العقل مسألة التأويل، فالتأويل فن من فنون الموافقة بين العقل والنقل، وقد اختلف العلماء في محال إعمال هذا الفن، فما هو تعريفه؟ وما موقف ابن عرفة من استعماله؟

(1) . التقليد هو الأخذ بقول الغير من غير أن يعرف دليله، والمراد بالأخذ الاعتقاد، أي اعتقاد مضمون قول الغير، والمراد بالقول: ما يشمل الفعل والتقرير أيضاً، حاشية البيجوري، مرجع سابق، ص: 76.

(2). ينظر: المحرر الوجيز، مرجع سابق، ص: 238.

(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 97.

(4). المصدر نفسه، ج2، ص: 41.

(5). الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، أبي بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ط2: 1421هـ. 2000م، ص: 15.

1/ **تعريف التأويل:**

أ/المعنى اللغوي للتأويل: أول الهمزة والواو واللام أصلان: ابتداء الأمر وانتهاؤه. أما الأول فالأول، وهو مبتدأ الشيء، والمؤنثة الأولى، مثل أفعل وفعلى، وجمع الأولى أوليات مثل الأخرى. وآل يؤول، أي: رجع. تأويل الكلام، وهو عاقبته وما يؤول إليه، ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم.(1)
التَأْويل: تفسير ما يَؤُولُ إليه الشيء. وقد أولته وتأولته تأولا. وآل، أي رجع.(2)

ويقول الراغب الأصفهاني:" التأويل من الأَوْل، أي: الرجوع إلى الأصل، ومنه المؤئِل للموضع الذي يُرجع إليه، وذلك هو ردُّ الشيء إلى الغاية المرادة منه".(3)

ومن هذه التعاريف اللغوية نستخلص أن للتأويل عدة معان أبرزها: الرجوع، والتفسير، وانتهاء الشيء أي عاقبته.

ب/ المعنى الاصطلاحي: يعرف المتكلمون التأويل بأنه" صرف اللفظ عن ظاهره، وهذا هو الشائع في عرف المتأخرين من أهل الأصول والفقه".(4)

والتأويل في كلام كثير من المفسرين كابن جرير ونحوه يريدون به تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالف، وهذا اصطلاح معروف، وهذا التأويل كالتفسير، يُحمد حقه، ويرد باطله.(5)

2. معنى التأويل عند ابن عرفة:

تطرق ابن عرفة لمعنى التأويل في تفسيره حيث يرى أن المراد بالتأويل: التفسير؛ وهي عبارة المتقدمين، وأما المتأخرين فيريدون بالتأويل حمل اللفظ على غير ظاهره. ويستشهد بكلام

---

(1). مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج1، ص: 158. 162.

(2). ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت . لبنان، ط4: 1407 هـ - 1987 م، ج4، ص: 1627، 1628.

(3). مفردات ألفاظ القرآن، مرجع سابق، ص: 99.

(4). شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت . لبنان، ط2: 1411هـ . 1990م، ج1، ص: 251؛ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن القيم الجوزية، تحقيق: الحسن بن عبد الرحمن العلوي، مكتبة أضواء السلف، الرياض . السعودية، ط1: 1425هـ . 2004م، ج1، ص: 20، 22.

(5). شرح العقيدة الطحاوية، مرجع سابق، ص: 253، 254.

الطيبي[1] الذي يرى أن : التأويل من الأول؛ وهو الرجوع إلى الأصل، ومنه الموصل للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علما كان أو فعلا؛ ففي العلم، قوله تعالى:﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(سورة آل عمران الآية:7). وفي الفعل قول الشاعر:

وللقوي قبل يوم البين تأويل، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ ﴾ (سورة الأعراف الآية:53) أي بيانه الذي هو غايته المقصودة منه.[2]

وهذا التعريف يخصصه لنوع من الكلام وهو المتشابه، أما المحكم فلا تأويل فيه، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧ ﴾ (سورة آل عمران الآية:7)

وقد قسم القرآن إلى ثلاثة أقسام:

. "منها ما نص في معناه ولا يصح صرفه عنه بوجه.

. ومنها الظاهر .

. والمحتمل.

فالمحْكَم: هو النص الذي لَا احتمال فيه، والمتشابه: هي الألفاظ المحتملة التي يحتاج في ردها إلى الصواب لدليل عقلي وسمعي، ويبقى ما هو ظاهر في معناه".[3]

(1)- هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي الإمام المشهور، من أهل توريز، من عراق العجم، كان مقبلا على نشر العلم آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، كان يشتغل بالتفسير والحديث، من مؤلفاته= =الخلاصة في معرفة الحديث، التبيان في المعاني والبيان. قضى نحبه متوجها إلى القبلة وذلك يوم الثلاثاء ثالث عشر من شعبان سنة 743هـ. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد . الهند، ط2: 1392هـ . 1972م، ج2، ص: 185. 186، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ج1، ص: 229 .230.

(2) . تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 375.

(3)المصدر نفسه، ج1، ص:348.

وعند قوله تعالى:﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾ يرى ابن عرفة أن: أهل السنة يتبعون المتشابه، لكن المتشابه له لفظ ظاهر ومدلول، فأهل السنة يتبعونه قصداً لصرفه إلى معناه من الصواب، والمبتدعة يتبعون ظاهر لفظه، قلت: أحكام القرآن على قسمين:

. تارة يراد بها نفس اللفظ.

. وتارة يراد مدلوله.

فمراده: ابتغاؤه سبب الفتنة أو مدلول الفتنة، فهم إنما اتبعوه ابتغاء أمر كان سببا للفتنة، لا أنهم قصدوا الفتنة".[1]

وقد أشار إلى الحكمة من ورود المحكم والمتشابه في القرآن الكريم وهي فتح المجال للعقل البشري لتدبر القرآن الكريم ومداومة البحث من أجل المعرفة الصحيحة يقول: "ورود المحكم فيه والمتشابه رحمة من الله بنا لننظر في الأدلة، ونتدبر بعقولنا، فنخرجه من ظاهره الحقيقي إلى مجازه؛ دفعا للحكم الباطل، فيحصل لنا الأجر والمثوبة بذلك عند الله عزّ وجل".[2]

المطلب الثاني: موقفه من العلوم العقلية

أولا. علم الكلام:

لما كانت العقيدة هي الأصل وما عداها هو الفرع، فإنَّ العلماء قد صنفوا وبحثوا وقاموا بدراسات قيّمة في إثبات العقائد إما لبيان الأدلة عليها، أو لرد الشبهات التي تثار حولها، وقد سمّي العلم الذي يبحث في العقائد بأسماء مختلفة منها: أصول الدين، وعلم التوحيد، وعلم النظر والاستدلال، وعلم العقائد. وقد سمّاه الإمام أبو حنيفة بعلم الفقه الأكبر؛ ومن أول تسميات هذا العلم علم الكلام.

وعلم الكلام علم له أسسه ومنطلقاته ومناهجه، يقول التفتازاني في كتابه شرح العقائد النسفية:" اعلم أن الأحكام الشرعية، منها ما يتعلق بكيفية العمل وتسمى فرعية وعملية. ومنها ما

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 348- 349.
(2). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 349.

يتعلق بالاعتقاد، وتسمى أصلية واعتقادية. العلم المتعلق بالأول يسمى علم الشرائع والأحكام، لما أنها لا تستفاد إلا من جهة الشرع، ولا يسبق الفهم عند إطلاق الأحكام إلا إليها، وبالثانية علم التوحيد والصفات، لما أن ذلك أشهر مباحثه وأشرف مقاصده".(1)

إن موضوع علم الكلام هو العقائد الدينية الإيمانية من حيث يستدل عليها بالبراهين العقلية، وأهمها التوحيد وما يتصل به من البحث في قدم الصانع وحدوث العالم، والصفات الإلهية، والفعل الإلهي وما يتصل به من عدالة إلهية، ثم ما يتعلق بهذه المسألة من مشكلات الجبر والاختيار .....إلخ.(2)

وقد عرفه الإيجي بأنه: " علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه".(3)

ويقول الآمدي:" وأشرف العلوم إنما هو العلم الملقب بعلم الكلام الباحث عن ذات وَاجِب الوجود وصفاته وأفعاله ومتعلقاته؛ إِذْ شرف كل علم إِنَّمَا هُوَ تَابع لشرف مَوْضُوعه".(4)

وكان الدارسون لهذا العلم في عصر بني مرين يعتمدون على كتاب الإمام فخر الدين الرازي الذي وضعه في علم الكلام وسمَّاه " محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين"، ويذكر لسان الدين بن الخطيب أن ابن خلدون قد لخص (محصل) الإمام فخر الدين الرازي في كتاب سمّاه (لباب المحصل في أصول الدين)، وهذا الكتاب يدل دلالة واضحة على مبلغ تمكن ابن خلدون من مسائل هذا العلم واحاطته بمختلف فروعه، إلا أن ذلك لا يكفي للدلالة على مكانة هذا العلم في عصر بني مرين.(5)

---

(1) . شرح العقائد النسفية، مرجع سابق، ص: 10.

(2) . ينظر: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علي أبو ريان، دار النهضة العربية، بيروت . لبنان، ص: 142. 143.

(3) . المواقف، مرجع سابق، ص: 7.

(4). غاية المرام في علم الكلام، أبو الحسن سيد الدين بن سالم الثعلبي الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة . مصر، ص: 4.

(5) . التربية الإسلامية في المغرب، مرجع سابق، ص: 96.95.

وابن عرفة من العلماء التونسيين الذين اهتموا بعلم الكلام اهتماماً بالغاً وقد عرفه بما يلي: "العلم بأحكام الألوهية، وإرسال الرسل وصدقها في كل أخبارها، وما يتوقف شيء من ذلك عليه خاصًّا به، وتقرير أدلتها بقوة هي مظنة لرد الشبهات وحلّ الشكوك".[1]

وقد حظي هذا التعريف بالاهتمام من خلال تداول علماء المغرب له في مؤلفاتهم وشروحهم، لاسيما الإمام السنوسي في شرحه على عقيدته الكبرى، وما كُتب عليها من شروح وحواش.[2]

فالمراد بقول ابن عرفة " فهو العلم بأحكام الألوهية": العلم بالأحكام التي تضمنتها واقتضتها الألوهية، وذلك مثل ثبوت القدرة إلى آخره، وليس مراده العلم بالأحكام المتعلقة بالألوهية.

وقوله:" وإرسال الرسل": إن جُعل عطفاً على الألوهية كان المعنى: والعلم بأحكام إرسال الرسل، وفيه أن إرسال الرسل إنما له حكم واحد وهو الجواز...".[3]

وأهمية هذا العلم في الإسلام لا تخفى، فقد وضع فيه الإمام ابن عرفة " المختصر الكلامي" وهو في طبقة طوالع الأنوار للبيضاوي ومواقف الإيجي ومقاصد السعد التفتازاني، بل أدق وأوسع، وكان كثير العناية به والتنويه بشأنه، كثير الاستخراج لأحكامه ودقائقه من آيات القرآن العظيم، ولهذا نجد المسائل الاعتقادية والدقائق الكلامية منتشرة في أغلب تفسيره، لاسيما وأن العقائد الإسلامية عند أهل السنة كما أشرنا لا يُعتد بها إذا لم تكن موافقة للقرآن العظيم، فمن إشاراته لأهمية هذا العلم ما يلي:[4]

ما جاء عند تفسيره للآية الكريمة قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣ ﴾ (سورة التوبة الآية: 83) قال ابن عرفة:" بالسيف بالحجّة، في الجهادين جميعاً ولا تحابهم، وكل من وقف منه على فساد في العقيدة، فهذا حكم ثابت

(1). المختصر الكلامي، مصدر سابق، ص: 11.
(2) . تعريف علم الكلام، جلال الدين الدّوّاني، دار الإمام ابن عرفة، تونس، ص: 16.
(3). المرجع نفسه، ص: 18. 19.
(4). ينظر: درر المعرفة، مرجع سابق، ج1، ص: 65. 66.

فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها، فيؤخذ من الآية طلب قراءة علم الكلام، فضلاً عن جوازه". (1)

و أبو حامد الغزالي من هؤلاء الذين أطالوا البحث والتنقيب والتنقل من فرقة إلى فرقة، وقد انتهى في آخر عمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية، وألف كتابه "إلجام العوام عن علم الكلام"؛ وقد أعرض في آخر عمره عن الاشتغال بعلم الكلام والطرق الكلامية وأقبل على أحاديث الرسول ﷺ، فمات وصحيح البخاري على صدره.

ولقد نشأ فريق بعد ذلك سار على المنهج السليم، إلا أنه استوعب علوم هؤلاء، وعرف مقابلتهم، فكان يردُّ عليهم بالمنهج القرآني، ويحاربهم بسلاحهم أيضاً مبيناً ما فيه من عوار وضعف، وقائد هذا الفريق وحامل لوائه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.(2)

تناول كثير من المفكرين المسلمين المعاصرين منهج البحث لدى المتكلمين، وصنف في ذلك الكثير، فكان موقفهم من ناحيتين:

الأول: استعراض ما كتبه المتقدمون حول المسألة دون أخذ ولا رد.

الثانية: نقد هذا المنهج وبيان فساده وعدم ضرورة وجوده بين الدراسات الإسلامية؛ لما فيه من قدرة على التشكيك في العقيدة، من بينهم سيد قطب في كتابه خصائص التصور الإسلامي ومقوماته،(3) مبينا خطأ منهج المتكلمين، حيث يرى أن الناس اشتغلت بالفلسفة الإغريقية وبالمباحث اللاهوتية التي تجمعت حول المسيحية، والتي ترجمت إلى اللغة العربية، ونشأ عن هذا الاشتغال الذي لا يخلو من طابع الترف العقلي، انحرافات واتجاهات غريبة على التصور الإسلامي الأصيل، حتى وجد بين المفكرين المسلمين من فتن بالفلسفة الإغريقية، فحاولوا إنشاء علم الكلام على نسق المباحث اللاهوتية مبنية على منطق أرسطو؛ ولما كانت هناك جفوة أصلية بين منهج الفلسفة ومنهج العقيدة،

---

(1). درر المعرفة، مرجع سابق، ج1، ص: 68.

(2). ينظر: العقيدة في الله، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر التوزيع، عمان . الأردن، ط10: 1415هـ . 1995م، ص: 48 . 49.

(3) . العقيدة وعلم الكلام في مناهج البحث والتفكير الإسلامي، مرجع سابق، ص: 11. 13.

فقد نشأ من هذه المحاولات تخليط كثير، شاب صفاء التصور الإسلامي، وصغر مساحته وأصابه بالسطحية. ذلك مع التعقيد والجفاف والتخليط، مما جعل مباحث علم الكلام غريبة غربة الإسلام.(1)

مشروعيته:

قد اتفقت كلمة المحققين من العلماء على وجوبه كفائياً، كما نص على ذلك الإمام ابن عرفة في مختصره الكلامي، حيث قال:" هو فرض كفاية على أهل كل قطر يشق الوصول منه لغيره".(2)

وهذا الحكم الشرعي لدراسة علم الكلام مستخرج من المصدر الأساسي من مصادر التشريع وهو القرآن العظيم، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ (سورة التوبة الآية:12)

قال الإمام ابن عرفة: " يؤخذ من الآية طلب قراءة علم الكلام، فضلاً عن جواز قراءته، خلافاً لمن منع ذلك، وبيانه أن قوله تعالى: ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ ﴾ مرّتب على أمرين: النكث والطعن في الدين، والقتال أعم من أن يكون بالسيف أو باللسان، والقتال باللسان إنما يتقرر بإقامة الحجج ودفع الشكوك، وإنما يُعلم ذلك بقراءة علم الكلام".(3)

واستدل أيضاً بقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣ ﴾ (سورة التوبة الآية: 73)، حيث يقول فيها:" ﴿ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾ بالسيف﴿ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾ بالحُجَّة،﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ في الجهادين جميعاً ولا تحابهم، وكل من وقف منه

(1). ينظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، دار الشروق، مصر، ص: 11. 13.
(2) . المختصر الكلامي، مرجع سابق، ص: 79
(3) . درر المعرفة، مرجع سابق، ج1، ص: 68؛ تعريف علم الكلام، مرجع سابق، ص: 12. 13.

على فساد في العقيدة، فهذا حكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها، فيؤخذ من الآية طلب قراءة علم الكلام، فضلاً عن جوازه". (1)

وأيضاً فإن علم الكلام مطلوب شرعاً من حيث اشتماله على تفصيل الأدلة والبراهين العقلية، التي أمرنا الله تعالى بتدبرها للدعوة إليه على بصيرة وإقامة الحجج على الجاحدين.

ولما تقرر حكم علم الكلام وظهرت أهميته، غاص العلماء في تفاصيله ودقائقه، من مبادئه وأوائله إلى منتهى غاياته ومقاصده، ويظهر اهتمام ابن عرفة جليًّا بهذا العلم من خلال اعتماده على مصادر عديدة، من بينها: كتب الرازي وبخاصة كتاب الأربعين في أصول الدين، والمعالم الدينية، والإرشاد للجويني، وابكار الأفكار للآمدي، وهذه الكتب هي من أهم وأبرز ما ألف في علم الكلام.

وممّا يؤكد شغف ابن عرفة بعلم الكلام أنه اعتمد في تفسيره للآيات العقدية منهج المتكلمين وألف في هذا العلم كتابه: "المختصر الكلامي" الذي جمع فيه أقوال وآراء كبار المتكلمين.

ثانياً. علم المنطق:

أ/ **تعريفه**: هو"آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر، فهو علم آلي". (2)

علم المنطق هو:" العلم الباحث عن المعلومات من حيث يُتوصَّل بها إلى مجهول التصورات والتصديقات". (3)

ومن المؤيدين لمنطق أرسطو الإمام أبي حامد الغزالي الذي كان من أشد المؤيدين له ، وقد ألف كتاباً سمّاه "معيار العلوم"، أي ميزان الإدراكات الذي يعرف به صحيحها من فاسدها.

كذلك نراه في كتابه" القسطاس المستقيم" يدافع عن المنطق باعتباره المنهج الوحيد الذي ينبغي أن تحتكم إليه جميع الطوائف؛ ويستخرج الغزالي في هذا الكتاب أشكال القياس المختلفة من

(1) . درر المعرفة، مرجع سابق، ج1، ص: 68؛ تعريف علم الكلام، مرجع سابق، ص: 13.

(2) . التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1: 1403هـ . 1983م، ص: 232.

(3) . درر المعرفة، مرجع سابق، ج1، ص: 308.

القرآن الكريم ويطلق عليها اسم الموازين ويسمي القياس الحملي بميزان التعادل، والشرطي المتصل بميزان التلازم، والشرطي المنفصل بميزان التعاند، وذلك ليثبت أن القرآن الكريم استخدم أنماط التفكير المنطقي في قضاياه المختلفة.

هذا عن بعض المؤيدين لمنطق أرسطو في المشرق، أما التأييد للمنطق في المغرب فابن حزم يصف كتب المنطق بأنها كلها كتب سالمة مفيدة دالة على توحيد الله عز وجل، وقدرته وعظيمة المنفعة في انتقاء جميع العلوم.(1)

أما ابن عرفة فقد ألف فيه مختصراً سمّاه " المختصر في المنطق"، واعتمده كذلك في تفسيره لبيان معاني القرآن الكريم وتوضيحها للقارئ، قال في بداية كتابه: "وبعد لما مزج أكثر متأخري علماء الأصلين بكلامهم كثيرا من القواعد المنطقية وفصولا من أحكامه التصورية والتصديقية حتى إن بعض من أدركناه من أشياخ الزمان كان يلُمّح ببعض ألفاظ مبادئ الفن في المسائل الفقهية فيما يدعيه ويفسره، فيسكت بذلك عن مراجعته غير المشارك فيه سكوت الأخرس عما يتيقنه ويستبصره، فأوجب ذلك المشاركة فيه علما وتعليما واتباع الحق فيه ردا وتسليما".(2)

وقد كان الإمام ابن عرفة يشير في ثنايا تفسيره لبعض الآيات القرآنية إلى فوائد متعلقة بعلم المنطق، وهذا يدل أيضا على أنه ذو ملكة راسخة في هذا العلم استطاع بها استحضار الكثير من جزئياته وتوظيفها في فهم واستخراج مدلولات جملة من الآيات.(3)

ومن الأمثلة المنطقية التي استدل بها ابن عرفة في ذلك ما يلي:

1. القياس :

القياس: قول مؤلَّف من قضايا إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر، كقولنا: العالم متغير، وكل متغير حادث؛ فإنه قول مركب من قضيتين إذا سلمتا لزم عنهما لذاتهما: العالم حادث؛ هذا عند المنطقيين، وعند أهل الأصول: القياس: إبانة مثل حكم المذكورين بمثل علته في الآخر، واختيار لفظ

(1) . ينظر: المنطق عند ابن تيمية، عفاف الغمري، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة . مصر، 2001م، ص: 27، 28، 36.
(2) . المختصر في علم المنطق، مرجع سابق، ص: 1.
(3). درر المعرفة، مرجع سابق، ج1، ص: 309.

الإبانة دون الإثبات؛ لأن القياس مظهر للحكم لا مثبت، وذكر مثل الحكم، ومثل العلة، احتراز عن لزوم القول بانتقال الأوصاف، واختيار لفظ المذكورين ليشمل القياس بين الموجودين وبين المعدومين. وهو إما جلي، وهو ما تسبق إليه الأفهام، وإما خفي، وهو ما يكون بخلافه، ويسمى: الاستحسان؛ لكنه أعم من القياس الخفي؛ فإن كل قياس خفي استحسان، وليس كل استحسان قياسًا خفيًا؛ لأن الاستحسان قد يطلق على ما ثبت بالنص وبالإجماع والضرورة، لكن في الأغلب إذا ذكر الاستحسان يراد به القياس الخفي.(1)

القياس قسمان إما قياس اقتراني، وأما قياس استثنائي.

1. **القياس الاستثنائي**: إن كل قياس استثنائي يكون من مقدمة شرطيّة، ومن مقدمة استثنائية هي نفس أحد جزئيها أو مقابلة بالنقيض فينتج إما الآخر، أو مقابله، فإما أن تكون الشرطية متصلة أو منفصلة(2).

فالقياس الشرطي المتصل يتركب من مقدمتين: إحداهما مركبة من قضيتين قرن بهما صيغة شرط، والأخرى حملية واحدة هي المذكورة في المقدمة الأولى بعينها أو نقيضها، ويقرن بها كلمة الاستثناء، مثاله: إن كان العالم حادثا فله صانع. مركب من قضيتين حمليتين قرن بهما حرف الشرط وهو قولنا أن، وقولنا: لكن العالم حادث، قضية واحدة حملية قرن بها حرف الاستثناء، وقولنا: فله صانع، نتيجة وهذا مما يكثر نفعه في العقليات والفقهيات، فإنا نقول ن كان الوتر يؤدى على الراحلة فهو نفل، لكنه يؤدي على الراحلة فهو إذن نفل.(3)

مثاله: بمسألة حدوث البعث عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (سورة غافر الآية:77): " هذه شرطية منفصلة مانعة الخلو من

(1) . ينظر: التعريفات، مرجع سابق، ص: 181.

(2) . ينظر: مصطلحات علم المنطق عند العرب، فريد جبر، سميح دغيم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت . لبنان، ط6: 1996م، ص:568، 683.

(3) . ينظر: معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، 1961م، ص: 151 . 152.

عين مقدمها ونقيض تاليها، أي: ﴿ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ قبل وفاتك ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل ذلك فإلينا يرجعون فتنتقم لك منهم على كل حال لهم".[1]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ (سورة الكهف الآية:98)

قال ابن عرفة:" فإن قلت: ما الفائدة في قوله: فالجواب أنه دليل على صحة ما يقولون من أن ذا القرنين كان عالماً بقواعد المنطق، لأن هذا قياس شرطي استثني فيه عن المقدَّم، فينتج عين التالي، فيقال: كلما جاء وعد ربي جعله دكا، والمقدَّم حق، فالتالي حق، أي وعد ربي حق فجعله دكا".[2]

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ (سورة يوسف الآية:32):" لما أخبرت هي أن الأمر لَا يخلو من أحد شيئين إما أن يفعل ما تأمره به أو ليسجنن، اختار هو السجن، وتقريره على قاعدة المنطق أن هذه قضية شرطية متصلة يلزمها منفصلة مركبة من عين تاليها ونقيض مقدمها، وهي: إما أن يفعل ما آمره ، وإما أن يسجن...".[3]

ومن أمثلة هذا النوع من القياس أيضاً ما ورد في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾(سورة البقرة الآية:94) :"هذا إما أمر خاص بالنبي ﷺ لأن يقوله لهم، أو أمر لكل واحد من المسلمين أن يقوله لهم، لكنه لسيدنا رسول الله ﷺ بالذات ولعموم المؤمنين بالتّبع، وهذا قياس "شرطي استثنائي "وفي قوله: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾(سورة الأنفال الآية:23) قياس شرطي اقتراني، وفي القرآن أيضا القياس الحملي".[4]

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 403.

(2)المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 104.

(3). المصدر نفسه ، ج2، ص: 388.

(4) . المصدر نفسه، ج1، ص: 148.

2. القياس الحملي(القياس الاقتراني):

تعريفه: نقيض الاستثنائي(1)، وهو ما لا يكون عين النتيجة ولا نقيضها مذكوراً فيه بالفعل، كقولنا الجسم مؤلف، وكل مؤلف محدث، ينتج الجسم محدث، فليس هو ولا نقيضه مذكوراً في القياس بالفعل.(2)

ومثاله: ما جاء في قوله تعالى:﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (سورة المائدة الآية: 56):"كان بعضهم يقول: في هذا مقدمة مضمرة، ويجعله من القياس الشرطي الاقتراني، مثل قوله تعالى: (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) والتقدير: من يتول الله ورسوله فهو من حزب الله، وكل من هو من حزب الله غالب، ومن يتول الله ورسوله غالب وإن لم تقرره هكذا يكون مشكلا؛ لأن المرتب على هذه القضية الشرطية ثابت في نفس الأمر، وكل ما هو ثابت في نفس الأمر لَا يصح ترتيبه على القضية الشرطية، فلا تقول: إن قام زيد تطلع الشمس؛ لأنها تطلع سواء قام أو لم يقم، وكذلك (حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) سواء تولى الله أحد ورسوله أو لم يتول؛ لأن حزب الله هم الغالبون مطلقا إلا في هذه الحالة".(3)

المطلب الثالث: الخصائص العامة لمنهجه

من خلال ما سبق يمكن تلخيص منهج ابن عرفة في عرض العقيدة الإسلامية، ونذكرها فيما يلي:

1. تفسير الآيات القرآنية بمثيلاتها من القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة.
2. الاستشهاد بأقوال الصحابة والتابعين.
3. عرض مختلف آراء الفرق الإسلامية ثم إيراد وجهة نظره في الغالب، والتي توافق منهج أهل السنة عموماً.

____

(1). هو ما يكون عين النتيجة أو نقيضها مذكورًا فيه بالفعل، كقولنا إن كان هذا جسمًا فهو متحيز، لكنه جسم، ينتج أنه متحيز، وهو بعينه مذكور من القياس، أو لكنه ليس بمتحيز، ينتج أنه ليس بجسم، ونقيضه قولنا: إنه جسم مذكور في القياس. التعريفات، مرجع سابق، ص: 181.

(2). ينظر: التعريفات، مرجع سابق، ص: 182.

(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 114. 115.

4. ذكر وتوجيه طلبته بمجلسه لعلماء المذاهب على اختلاف مشاربهم وتنوع عقائدهم، فلا يهمه إن كان مخالفاً له في الاعتقاد، فينقل كلامه لتأييد فكرته أو رد رأي أو شرح وتبيين قوله.

ومنهج ابن عرفة منهج تعليمي إذ كان يلقي هذه الدروس في مجالسه الخاصة بتفسير القرآن الكريم لطلبته بتونس، وكان كلما ينهي ختمة يعيد ختمة أخرى وهكذا، وقد أشار إلى ذلك بتفسيره حيث يقول:" تقدم فيها في الختمة الأولى قوله تعالى: أَحَدٌ هو ضمير الأمر والشأن، وقال أهل علم اللسان: إن ضمير الأمر والشأن يؤتى به مقدماً للاهتمام والتعظيم".(1)

فلم يكن هدفه تأليف كتاب لتفسير القرآن(2) وإنما كان يلقي دروسه لإفادة طلبته معتمداً أساساً على عنصر التشويق وإثارة المشكلة للبحث لها عن أجوبة مفيدة، وكان حريصاً على ضرورة الابتعاد عن أسلوب التلقين في التدريس لأنه أسلوب ممل وعقيم، ويرى وجوب طرح الأسئلة والبحث لها عن إجابات وحلول حتى تعم الفائدة والمنفعة مجالسه، ولم يكن يدعو إلى هذا المنهج نظرياً فقط بل كان يطبقه في حلقات دروسه، فكانت أبرز مميزات منهجه ما يلي:

أ. الجمع والعرض:

إن ابن عرفة في كل مسألة من المسائل العقدية التي يتناولها يبدأ أولا بعملية جمع عدد كبير من الآراء والأقوال فيها؛ فيذكر آراء أهل السنة معزوة إلى أصحابها من أعلام الأشاعرة خاصة، ويذكر آراء بقية الفرق الإسلامية كالمعتزلة، ومن الأمثلة على ذلك نقده لرأي الزمخشري لمعنى الكبيرة والفرق بينها وبين الصغيرة بقوله تبارك وتعالى: ﴿ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ (سورة آل عمران الآية: 193):"الزمخشري: الذنوب الكبائر، والسيئات الصغائر".

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 360.

(2). تفسيره طبع قديمًا من قبل دار النشر مركز البحوث بالكلية الزيتونية في تونس عام 1986م، تحقيق حسن المناعي، ولكن هذه الطبعة لم تكتمل حيث لم يحتوي الكتاب سوى سورة الفاتحة وسورة البقرة، ثم طبع طبعةً حديثة من قبل دار الكتب العلمية في بيروت لبنان، تحقيق جلال السيوطي عام 2008م، طُبع الكتاب طبعة كاملة شملت كل سور القران الكريم، في أربع مجلدات بلغت صفحاته 1736 صفحة؛ (وقد أشرت إلى ذلك في المبحث الثاني).

وينقد ابن عرفة رأي الزمخشري هذا، فيقول: "الصواب العكس لَا حل الترتيب لئلا يكون تكرارا لغير فائدة؛ لأن مغفرة الكبائر يستلزم مغفرة الصغائر من باب أحرى ألا ترى أن الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر، ولا يرد هذا بعد قوله هذا: ﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (سورة آل عمران الآية: 195) فالمراد بالسيئات الكبائر والمغفرة الستر".[1]

فابن عرفة يجيب الزمخشري بأن المقصود من السيئات الكبائر، أما الذنوب فهي الصغائر، ويرجى من الله تعالى مغفرة الكبائر.

ومن الأمثلة كذلك، مخالفة ابن عرفة للزمخشري الذي ينفي الشفاعة وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ ﴾ (سورة آل عمران الآية: 192) :"واحتج الزمخشري بالآية على نفي الشفاعة؛ لأن الخزي يقتضي عدم خروجهم منها .[2]

ورده ابن عرفة: لصحة صدق الخزي على كل من دخلها ولا تعكر علينا: (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) لاحتمال الوقف عند قوله (النَّبِيَّ).

قال ابن عرفة: فالجواب بأن المراد بالظالمين الكفار، وإمَّا بأنا نقول ما لهم أنصار ابتداء قبل دخولهم النار، وبعد ذلك تقع الشفاعة أو يقال: إنما لهم ناصر واحد، وهو النبي وحده لَا أنصار، أو ليس لهم أنصار مشغولون بالنصرة، بل إنما لهم شفعاء لله عز وجل ينقلون شفاعتهم إلى القبول".[3]

ورد عليهم أيضاً عند تفسيره لآية أخرى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (سورة المدثر الآية: 48): "مفهومه أن المؤمنين تنفعهم، فإن قلت: هلا قيل: فلا شافع لهم فهو أبلغ وأعم؟ قلت: هو تنبيه على حرمانهم من قبول الشفاعة فيهم مع قبولها في المؤمنين. فإن قلت: هذا فعل في سياق النفي فهو عام، وقد أخبر النبي ﷺ أن شفاعته نفعت أبا طالب؟ قلت: إنما الشفاعة في زوال ما وقع، وقد حصل تخفيف عذاب أبي طالب قبل الشفاعة، وهذه حجة على المعتزلة النافين للشفاعة، وحمله

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 457.
(2). ينظر: الكشاف، مرجع سابق، ج1، ص: 455.
(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 456.

الزمخشري على رفع الدرجات جريا على مذهبه، وهو باطل. لأن الكفار لم يثبت لهم دخول الجنّة؛ فضلًا عن أن ننفي عنهم رفع الدرجات فيها".(1)

ويقول الإمام أيضاً: "فالشفاعة عند المعتزلي في تعجيل الحساب وعلو الدرجات في الجنّة به، وعندنا يجيء فيهما وفي خروج طائفة من النار".(2)

من خلال النماذج السابقة نستنتج أن منهج ابن عرفة لا يقوم على جمع الآراء والتعليق عليها والترجيح فيما بينها فحسب، بل إنه يعرض آراءه الخاصة ووجهة نظره ويدافع عنها ويرجحها على الآراء الأخرى التي يسوقها في مسألة ما من المسائل العقدية.

ب/ المقابلة والموضوعية في عرض الآراء:

بعد عملية جمع الآراء والأقوال يقوم بعرضها وطريقة عرضه أنه عندما يناقش مسألة من مسائل العقيدة في دروسه التفسيرية، كان لا يلقيها بأسلوب جامد عرضاً تاريخياً فقط، وإنما يعرضها بأسلوب مشوق يجعل طلبته بمواضع حيرة وتساؤل للبحث عن اجابات، فيكون هو المحرك للحوار والنقاش ولا يسلّم بما يقولون حتى ينتقد أقوالهم، وذلك للوصول إلى أسباب اتجاههم إليها.

بتتبع آراء ابن عرفة نلمس أمانته في النقل وعدم تعصبه لأشعريته، وعرض كل الآراء وتوضيح الرأي الصواب والصحيح حتى ولو كان على غير مذهبه.

ومن الأمثلة التي يظهر فيها منهج ابن عرفة بوضوح في عرض الآراء بكل موضوعية ومصداقية قوله في تفسير الآية الكريمة:﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ (سورة الإسراء الآية:49): "هذا انكار منهم للبعث، وهو عندنا جائز عقلاً واجب وقوعه شرعاً، وعند المعتزلة يجب وقوعه عقلاً بناء على قاعدة التحسين والتقبيح العقليين عندهم، وهل الإعادة للأجسام إيجاد عن عدم؟ أو جمع بعد تفريق؟ فيهما قولان وأما الأرواح فمذهب أهل السنة أنها تفنى وإعادتها بمعنى خلقها في أجسامها، قال ابن عرفة: وكان بعضهم يستشكل فهم الآية لأن الاستفهام الدليل على الجملتين إما أن يكون بمعنى الثبوث أو بمعنى النفي فإن كان بمعنى الثبوت لزم إقرارهم بالبعث

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 321-322.

(2). المصدر نفسه، ج4، ص: 97.

والغرض عدمه، وإن كان بمعنى النفي لزم عليه أن يكونوا أنكروا الملازمة، وهو ملزومية الفناء للإعادة ولا يصح هذا ".(1)

ففي هذا المثال نلاحظ أن ابن عرفة ذكر أهم الأقوال والآراء الواردة بمسألة البعث، بين منكر ونافٍ لها، ومثبت لها، ولقد أشار ابن عرفة إلى أن منكري البعث قدموا استحالة بعثهم وإعادة أجسامهم، وهذا عند تفسيره للآية الكريمة: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (سورة مريم الآية:38) :"وظاهر الآية دليل في المسألة التي كفر القرآن فيها الفلاسفة حيث أنكروا إعادة الأجسام بعينها، بقوله ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ فظاهر إتيانهم بأسماعهم وأبصارهم على ما كانت عليهم".(2)

ومن الأمثلة على ذلك، ما اختلف فيه المتكلمون بشأن مسألة الجنّة والنار هل هما مخلوقتان؟ وهذا في معرض تفسيره للآية الكريمة 133 من سورة آل عمران قوله تعالى:﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ :"قال ابن عطية: مذهب المنذر ابن سعيد وغيره، أن الجنّة والنّار ليستا الآن مخلوقتين، وهو قول ضعيف، ومذهب جمهور العلماء أنهما قد خلقتا، وهو ظاهر قوله تعالى:﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ويوضح ابن عرفة رأيه بهذه المسألة بقوله: "ولا يلزم عليه كفر ولا إيمان، كما أنه لا يلزم أيضا على الاختلاف في السماء هل هي بسيطة، أو كورية كفر ولا إيمان".(3)

ونخلص إلى أن ابن عرفة لا يقوم بعرض مسائل العقيدة عرضاً تلقائياً بل يعرضها وفق منهج خاص يبين فيه أقوال وآراء الفرق الأخرى، وينسب كل قول إلى صاحبه، حتى ولو كانت مخالفة لمذهبه، وهذا دليل على تحرره من التعصب المذهبي والانغلاق الفكري، والذي يشير إلى الموضوعية في عرض المباحث الاعتقادية بمجالس تفسيره.

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 69.
(2). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 118.
(3). المصدر نفسه، ج1، ص: 412.

ج/ التعليق والتعليل:

فشخصية ابن عرفة لا تظهر في تفسيره في أسلوب عرضه للآراء وإجراء الحوار بينها فحسب، بل تظهر بصفة أوضح في تدخله المباشر في معرض الآراء والأقوال في تعقيبات متتالية تكاد لا تخلو منا مسألة بل جزئية من مسألة سواء كانت فلسفية أو منطقية أو كلامية.(1)

وحين يذكر ابن عرفة مختلف الآراء فإنه يعلل سبب ذهاب أصحابها إليها فيربطها بأصول مذاهبهم؛ فهو لا يكتفي بعرض الآراء والأقوال دون تعقبها ومناقشتها، وإن كان لا يقوم بهذا العمل في كل التفسيرات التي يسوقها، إلا أن هذا المنهج موجود بوضوح عنده، ومن الأمثلة على شروح ابن عرفة قوله عند تفسيره للآية 29، 28 من سورة ق :﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَاْ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ حيث يقول:" ظاهر الآية وجوب إبقاء الوعيد، كما يقوله المعتزلة؛ لأنها عامة في الكفار والعصاة، والسبب خاص، والعام إذا أورد على سبب فالمشهور بقاؤه على عمومه ولا يقصر على سببه، فإما أن نقول: عمومه مخصوص، بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)، وإما أن نقول هذه الآية في الكفار وليست في العصاة".(2)

ومن الأمثلة التي تبين بوضوح تعليق ابن عرفة على الآراء التي يوردها في تفسيره، قوله عند تفسير الآية الكريمة:﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴿٢٨﴾﴾ (سورة نوح الآية: 28) :"ابن عطيّة:...وهنا سؤال وهو أن دعاء نوح عليه السلام للمؤمنين بالمغفرة إما أن يراد به عدم مؤاخذة العصاة بذنوبهم أو لَا، وعلى كل تقدير فيشكل باعتبار الفهم بأن يقال: فلا يبقى لشفاعة نبينا ﷺ الواردة في الحديث الصحيح؛ لأنه أريد بالمغفرة عدم المؤاخذة بالذنب أن تكون أمة نبينا محمدﷺ لَا يدخلون النار فلا يحتاجون إلى الشفاعة؛ لأن الظن بهذه الدعوة أنها مستجابة، وإن أريد بالمغفرة الصفح عنهم بعد

(1). فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، ط1: 1992م، ص: 53.
(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 60. 61.

دخولهم النار؛ لزم أن يكون خروجهم منها بدعوة نوح عليه السلام لَا بشفاعة نبيِّناﷺ[1]؟ والجواب: إما أنَّ نوحا عليه السلام أراد مؤمني أهل زمانه، وإما بأن تأوَّل المغفرة على تخفيف العذاب؛ لَا على عدم المؤاخذة بالذنب فهم يخفف عنهم العذاب بدعوة نوح – عليه السلام –، ويخرجون من النار بشفاعة النبي ﷺ".[2]

فقد قام بعرض قول ابن عطيّة ثم بيّن رأيه بالمسألة، فقد وافق ابن عرفة أهل السنة في ثبوت الشفاعة للعصاة من أهل الملة، وهو بذلك يوافق أهل السنة.

ولابن عرفة طرق شتى في التعليق على الآراء والأدلة ويمكن أن نتبين من تلك الطرق:

- الإضافة والتكميل.
- التأييد والتقوية.
- النقد والتصحيح.
- التنبيه التوقف وإعادة النظر.
- اسناد الآراء إلى أصحابها[3].
- استخدامه للغة العربية وعلومها.

وكما سبق وأن أشرنا أن ابن عرفة قد أولى أهمية كبيرة للغة العربية وعلومها من نحو وصرف وبلاغة؛ وقد استخدمها كذلك في دراسة الآراء الاعتقادية، ومن الأمثلة على ذلك عند تفسير الآية الكريمة:﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥ ﴾(سورة الرعد الآية:5):" (إذا) لَا تدخل إلا على المحقق الوقوع، و (إنْ) تدخل على المشكوك فيه، والتعجب من هؤلاء محقق وقوعه؛ لأنهم أنكروا البعث وخالفوا مع علمهم أن الله خلقهم وأوجدهم، ومن أوجد المخلوقات من عدم فهو قادر على إعادتها، قال: وعادتهم يجيبون بأن التعجب إنما يكون مما خفي

(1). ينظر: المحرر الوجيز، مرجع سابق، ج5، ص: 377.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 302

(3). فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، مرجع سابق، ص: 53، 54.

سببه كلا فلا يتعجب إلا مَن خفي عليه السبب، والنبي ﷺ عالم بأن ذلك الواقع منهم إرادة الله وقدرته عليهم، فهو في خاصيته لَا يعجب منهم، فضلا عن أن يكون تعجبه منهم محققا بدليل قوله تعالى: (أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ)، وقوله تعالى: (فَعَجَبٌ)".[1]

ومن الأمثلة كذلك ما جاء في قوله تعالى:﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ (سورة نوح الآية: 25)

يقول ابن عرفة عند تفسيره لهذه الآية ما يلي:" عطفه بالفاء إما لأن المراد عذاب القبر؛ لأن نارًا منكرة ولو أريد جهنم لعرفت، وقال الزمخشري: لاقترابه وتحقق وقوعه حتى كأنه قد كان، فإن قلت: هذا على مذهبه في أنها الآن غير مخلوقة، قلت: بل وعلى مذهبنا؛ لأن المراد إدخال الأجسام لَا الأرواح".[2]

ومن الأمثلة التي يستخدم فيها اللغة قوله عند تفسيره الآية 15 من سورة الحديد قوله تعالى: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ (سورة الحديد الآية: 15):"إن قلت: هذا التركيب يقتضي الخلود، لأن مأواكم مبتدأ والنار خبره، والقاعدة: أن المبتدأ إما مساو للخبر، أو أخص منه فإن كان مساويا، فالمأوى هو النار، وإن كان أخص فإن وجد المأوى، وجدت النار، لأنه مهما وجد الأخص وجد الأعم، قلت: الخلود يقضي بانعدامهم، لجواز أن يعذبهم الله تعالى فينعدم المأوى".[3]

لقد كان الإمام ابن عرفة يتوجه بفكره العقدي كما يبدو في تفسيره وجهة تعليمية تستهدف شحذ الأذهان وتربيتها بجمع الآراء والمقارنة بينها والتعليق عليها، وهو بذلك يحقق فائدة في هذا المجال بما يهيئ للدارسين من مادة جامعة لآراء الإسلاميين في القضايا العقدية، ولكن الإمام لم يكن في فكره العقدي متصدياً للتحديات الواردة على العقيدة في سبيل الذب عنها بإيراد الحجج وردّ الشبه، وذلك ما يجعله في موقع الخادم للتراث المنظم له دون موقع الإثراء للفكر العقدي الاسلامي بما

---

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 416.

(2) . المصدر نفسه، ج4، ص: 300.

(3) . المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 162.

يزوّد هذا الفكر بوسائل الدفاع عن العقيدة في مسيرتها عبر التاريخ التي لا يخلو فيها زمن من المناوئين لها العاملين على نقضها وانحسارها.[1]

(1). فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، مرجع سابق، ص: 61.

من خلال ما سبق يمكن تلخيص خصائص منهج ابن عرفة في عرض العقيدة الإسلامية، بما يلي:

. تفسير الآيات القرآنية بمثيلاتها من القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة.

. عرض مختلف آراء الفرق الإسلامية ثم إيراد وجهة نظره في الغالب، والتي توافق منهج أهل السنة عموماً.

. ذكر وتوجيه طلبته بمجلسه لعلماء المذاهب على اختلاف مشاربهم وتنوع عقائدهم، فلا يهمه إن كان مخالفاً له في الاعتقاد، فينقل كلامه لتأييد فكرته أو رد رأي أو شرح وتبيين قوله متوخيًا الموضوعية والأمانة في النقل.

لقد وضع الإمام ابن عرفة مكانة عالية للدرس العقدي بمجالسه الخاصة بتفسير القرآن الكريم، ويظهر جليًّا من خلال تعرضه لأهم المسائل العقدية واختلاف المتكلمين حولها، كما أن منهجه يقوم على الجمع بين العقل والنقل؛ وطالما أنَّه كان ضليعاً في الدراسات المنطقية وإماماً من أئمة الأشاعرة في المغرب الإسلامي، فلا شكّ أنَّ منهجه تصبغه صبغة عقلية شاخصة وعميقة.

وعلى العموم فإن تفسير ابن عرفة يعتبر إنجازاً علمياً ومعرفياً معتبرا، مع عمل أجيالٍ من طلبته وتلامذته المقربين، وبالتالي فحلقاته متسلسلة ومترابطة ومتراكمة في جهدٍ متواصل لإحياء الدرس التفسيري بالغرب الإسلامي ، وهو عبارة عن تفسير شفهي وتقاييد وأمالي، بشكل تعليمي هادف يتوخى أحياناً الأسئلة والأجوبة بين الشيخ المفسر وتلامذته.

الفصل الثالث:

درس الإلهيات في تفسير ابن عرفة

المبحث الأول: عرض الإمام ابن عرفة للوجود الإلهي وأدلته

المبحث الثاني: وحدانية الله تعالى

المبحث الثالث: عرض الإمام ابن عرفة للصفات الإلهية

المبحث الرابع: عرض الإمام ابن عرفة لأسماء الله الحسنى

تمهيد:

إن معرفة الله تعالى هي التي تحقق السعادة الدنيوية والأخروية، ولقد اهتم القرآن الكريم بذلك فترددت فيه العبارات وتنوعت الدِلالات والإشارات، فآيات الله تضمنت الحجج والبراهين والطرق الموصلة إلى معرفة الله عز وجل.

فالإيمان بوجود الله تعالى من أهم المسائل في العقيدة الإسلامية، حيث شغل بها علماء الإسلام ومفكروه على مر التاريخ، لأن الإيمان بوجود الله عز وجل أصل العقيدة الإسلامية وعليه تقوم باقي أركانها من الإيمان بالملائكة والنبيين والرسل والكتب واليوم الآخر.

لذا اهتم علماء الإسلام بعرض وسرد الأدلة المختلفة والمتعددة للتنبيه والبرهنة على وجود الله تعالى؛ وقد تعرض ابن عرفة بتفسيره إلى وجود الله تعالى وبيان أدلته، ومن الأدلة التي طرحها على وجود الله تعالى دليل الحدوث، ودليل الإمكان وكان ذلك بالمبحث الأول.

أما المبحث الثاني فكان عن رأي ابن عرفة في إثبات وحدانية الله تعالى، والمبحث الثالث كان عن الصفات الإلهية وموقف الإمام منها.

والإيمان بالله تعالى لا يكتمل إلا من خلال الإيمان بصفاته العلى وأسمائه الحسنى التي سمَّى الله ـ سبحانه وتعالى ـ بها نفسه في القرآن الكريم أو ذكرها نبيّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ في أحاديثه الصحيحة، وكان ذلك بالمبحثين الثالث والرابع.

المبحث الأول: عرض الإمام ابن عرفة للوجود الإلهي وأدلته

ولما كان موضوعنا عن الإمام ابن عرفة وعرضه لمسائل الإلهيات من خلال تفسيره، فكيف كان يتعامل الإمام مع الآيات التي تتحدث عن وجود الله تعالى؟

ذلك ما سنتطرق له في هذا المبحث الذي قسمناه إلى مطلبين: الأول عن آراء ابن عرفة في ماهية وحقيقة الوجود، والمطلب الثاني استدلال الشيخ بدليل الحدوث وبدليل الوجود.

المطلب الأول: حقيقة الوجود الإلهي

إن المتتبع لآيات الكتاب العزيز يدرك أن من آكد الأوامر فيه وأكثرها تكراراً بصنوف متنوعة وضروب متعددة من البيان هو الأمر بإعمال الفكر في الآفاق وفي الأنفس، واستخراج النتائج العقدية الصحيحة منها، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية: 164).

وفيه مدح لأصحاب العقول الكاملة والأنظار المستقيمة، والأفكار السليمة الخالصة عن الأوهام، المهتدين بما نُقشَ في عالم الابتداع، المتفكرين في بدائع صنائع الملك، المتدبرين في روائع الحِكم المودَعة في الأنفس والآفاق، الناظرين إلى العالَم، فإن كل ما برز في الوجود من المكوَّنات من الأجرام وأعراضها مُفصحٌ بوجود صانعه، وقاض بنفي ممانعه، قاطعٌ لِعرْقِ الشِّركة بقاطع البرهان، ومانع من إسناد التأثير لغيره بساطع التبيان.

ولأجل هذه التنبيهات درج مفسرو أهل السنة خصوصاً على توضيح حقيقة التوحيد بجميع براهينها وأدلتها من آيات الذكر الحكيم، بل قد نصّ متكلِّمُوهم على أن العقائد لا يُعتَدُّ بها إذا لم تكن محصَّلةً من القرآن العظيم. والمتصفح لكتب الأئمة الأعلام –خصوصاً أهل التفسير– يجدهم قد نبهوا على تَضَمُّن القرآن العظيم لجميع العقائد الإسلامية وأصول دلائلها العقلية. (1)

(1). ينظر: درر المعرفة، مرجع سابق، ج1، ص: 59 . 66.

وانطلاقاً من النصوص القرآنية كان أئمة أهل السنة يستخرجون العقائد بوجوه منضبطة في قواعد الفهم، فوظفوا مستفادهم من جميع العلوم لاستخراج البراهين والدلائل العقلية والنقلية، وهي صحيحة لفظا ومعنًى على صحة العقائد الإسلامية، ومن هؤلاء نذكر الإمام العلامة ابن عرفة حيث نجد المسائل الاعتقادية والدقائق الكلامية منتشرة في أغلب تفسيره. (1)

الإيمان بوجود الله تعالى هو أساس العقيدة كلها، فكل مسائلها إنما هي فروع من هذا الإيمان بما في ذلك الإيمان بصفاته تعالى، ولذلك فإنه بقدر ما يكون الإيمان بوجوده تعالى مبنياً على أساس متين من اليقين بقدر ما يكون الإيمان بالعقيدة الإسلامية عامة قائماً في النفس موقع الثبات والرسوخ.

وعلى هذا الاعتبار فإن المطلوب في الإيمان بوجود الله تعالى هو الإيمان الجازم الذي لا يساوره بحال من الأحوال تردّد أو ظنّ؛ وهذا الضرب من الإيمان في صفته الجزميّة القاطعة حصولاً ابتدائياً، واستمراراً في منقلبات الظروف والأحوال لا يكون متأتياً إلا بالتدبر الواعي، والتفكر العميق ممّا يفضي إلا الاقتناع الذاتي المكسوب بالمجاهدة في البحث.(2)

والله . سبحانه وتعالى . هو واجب الوجود، والوجود كما عرفه المتكلمون:" الوجود هي الحال الواجبة للذات مادامت الذات، وهذه الحال لا تعلل بعلة، ومعنى كونها حالا أنها لم ترتق إلى درجة الموجود حتى تشاهد ولم تنحط إلى درجة المعدوم حتى تكون عدماً محضاً، بل هي واسطة بين الموجود والمعدوم؛ وقد خالفت الملاحدة في وجود الصانع لكن لا بمعنى أنه لا صانع للعالم، بل بمعنى أنَّه متنزه عن أن يتصف بالوجود لأنه من المتقابلات، وهو متعال عن أن يتصف بشيء منها مبالغة في التنزيه ولا خلاف في أنه هذيان بيّن البطلان".(3)

---

(1). ينظر: درر المعرفة، مرجع سابق، ج1، ص: 59 . 66.

(2) . ينظر: الإيمان بالله وأثره في الحياة، عبد المجيد عمر النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان ط1: 1997م، ص: 69، 70.

(3). حاشية الباجوري، إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1: 2007م، ص:60.

فالوجود يقسمه المتكلمون إلى واجب الوجود وممكن الوجود، وأما ممكن الوجود فلابد له من مؤثر، لأن الممكن لا يكون بذاته وذلك المؤثر إما واجب الوجود وهو المطلوب، وإما ممكن الوجود فلابد له من مؤثر أيضاً فيعود الكلام بعينه فيلزم الدور أو التسلسل، وهما باطلان فلزم الانتهاء إلى الواجب لذاته وهو المطلوب.

أو يقال العالم ممكن وكل ممكن فله علة مؤثرة، وتلك العلة إما واجب الوجود لذاته وهو المطلوب، وإما ممكن الوجود فلابد له من مؤثر فيعود الكلام بعينه، وهكذا إن وجد جريان السلسلة إلى غير النهاية يلزم التسلسل أو يعود إلى بعض المؤثر فيلزم الدور، وهما باطلان فثبت الانتهاء إلى واجب الوجود لذاته وهو المطلوب. أو يقال إن العالم بعض أجزائه مختص ببعض دون الآخر فمثلا: النباتات مختصة بالأرض، والمطر بالسماء، ويمكن أن يكون الأمر بالعكس، مع أن المشاهد هذا الاختصاص دائم فلا يرى عكسه مع إمكانه، وذلك الاختصاص يدل على وجود مخصص مختار، وذلك المخصص إما واجب الوجود وهو المطلوب، وإما ممكن الوجود وهكذا فيلزم الدور أو التسلسل وهما باطلان فثبت أن ذلك المخصص واجب الوجود لذاته وهو المطلوب.[1]

وقبل أن يثبت وجوده سبحانه وتعالى أشار إلى معنى الإله والرب كونهما يطلقان على الذات العلية، وفي ذلك يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة النحل الآية:22) يقول:" فإن قلت: بما حدّ الإله؟ قلنا: هو المعبود المنقاد إليه، وإن شئت هو المستغني بذاته عن العبادة. وإن شئت هو المستحق للعبادة، وهذا هو الصحيح، ويبطل الأول بأن الله تعالى سمي إلها في الأزل وبعده وليس بمعبود في الأزل، لكنه مستحق للعبادة، والأصنام عند هؤلاء آلهة لاستحقاقها عندهم العبادة".[2]

وفي تقرير مذهب المتقدمين من الأصوليين في معنى الإله يقول ابن عرفة في تفسيره لقوله تعالى: "الإله في اصطلاح المتقدمين من الأصوليين هو الغني بذاته المفتقر غيره إليه، وعند

(1). ينظر: العقائد الخيرية، محمد وهبي بن حسين أفندي الخادمي، دار إحياء الكتب العربية، ص:9.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 14.

الأصوليين المتأخرين واللغويين هو المعبود تقربا، وبه يفهم قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ﴾ (سورة القصص:38) قول إبراهيم لأبيه آزر ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً﴾ وقول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ءألهتنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ "[1]، وكذلك عند تفسيره لقوله عز وجل:﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة الفاتحة الآية: 1) :"لفظ الرّب لا يطلق هكذا إلا على الله تعالى فهو في غيره مقيّد بالإضافة تقول: ربّ الدّابة وربّ الدّار. فإن قلت: قد قال الأصوليون كل ما صدق مقيّدا صدق مطلقا؟ فالجواب: أن ذلك باعتبار المعقولية وهذا باعتبار الإطلاق اللفظي".[2]

والمقصود من كلام ابن عرفة أنه يجوز إطلاقه على غير الله كرب الدابة والبيت؛ لأن مقام الحمد مقام تمدح، والتمدح يقتضي اختصاص الممدوح بما حمد عليه، والمقصود بالمعقولية هنا أن تعقل لفظ الرب مع الإضافة للعالمين لا يختلف عن تعلقه دون الإضافة لكن الكلام هنا في إطلاق اللفظ لا في معناه الذي يُتعقل به.[3]

وقد تعرض الإمام ابن عرفة إلى بيان حقيقة الوجود الإلهي في تفسيره، وسلك في ذلك طريق المتكلمين وقد تعرض لمعنى الوجود في تفسيره عند كل آية من الآيات التي تتحدث عن ماهية الوجود، فيقول عن الوجود مقسماً إيَّاه إلى أربعة أقسام:" أن الوجود على أربعة أقسام، فمنها وجود في الأعيان ووجود في الأذهان، فإن أراد الوجود في الأعيان فما قاله صحيح لأن أهل السّنة يمنعونه والمعتزلة يجيزونه، فيقولون: إن للمعدوم تقررا في العدم، وإن أراد الوجود في الأذهان فممنوع لأن اجتماع النقيضين باعتبار التصور الذهني فيه خلاف، ...المعتزلة إنما قالوا: إنّ المعدوم ثابت في العدم ولم يقولوا أصلا: إنه موجود في العدم. فالموجود لا يثبت إلا في الوجود".[4]

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 194.

(2). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 35.

(3). الآراء الكلامية لابن عرفة التونسي من خلال تفسيره . جمعاً ودراسة . هشام داود، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر1، 2017م، ص: 60.

(4). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 195.

وفي تفسيره لقوله تعالى:﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ (سورة الرحمن الآية: 14) :"سيقت الآية لبيان والاستدلال على وجود الصانع وقدرته، وأن الإنسان يستحضر أول مرة كونه وانتقاله من عدم إلى وجود، ومن وجود إلى وجود".[1] ويتضح هذا المعنى أكثر عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (سورة الواقعة الآية: 59) حيث يورد إشكالاً فيقول: "وقع الإنكار هذا مرددا بين خلقهم، وخلق الله تعالى، وفي سورة الطور الآية 35 قوله تعالى: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)، بالترديد بين خلقهم من غير شيء، وخلق أنفسهم، والجواب: أن هذه مانعة جمع، فإن قلت: لم عبر في الأول بالفعل، وفي الثاني بالاسم؟ قلت: كان المقصود بالأول نفي الخلق عنهم فناسب الفعل، لأنه يصدق بكل فإذا انتفى عم، لأن نفي الأعم يستلزم نفي الأخص، والمقصود من الثاني ثبوت الخلق لله تعالى، فناسب الاسم للثبوت والدوام".[2]

ونلاحظ من كلام ابن عرفة أنه يستخدم مصطلحات منطقية للاستدلال على وجود الله تعالى بحدوث خلقه، فالإنسان مخلوق ولو كان خلق نفسه لسبقها وهذا محال فتعين خلقه من العدم، لأن القضية الشرطية المنفصلة إذا ثبت العناد بين طرفيها فانتفاء أحدهما يفيد ثبوت الآخر قطعا.[3]

المطلب الثاني: أدلة وجود الله تعالى

من أعظم حِكم الله إنزال القرآن العظيم، ولأجل هذا اهتم علماء الإسلام عامة وأعلام المدرسة السنية الأشعرية خاصة باستخراج حقائق التوحيد وبراهينها وأدلتها من آيات الذكر الحكيم، ومن بينهم الإمام ابن عرفة فلم يمنعه تبحُّره في الفقه والأصول والتفسير، ولا قيامه بأعباء الإفتاء والخطابة والتدريس في مجالس علمية يومية دامت حوالي خمسين عاماً، لم يمنعه ذلك من التخصص

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 123.
(2). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 145.
(3). الآراء الكلامية لابن عرفة التونسي، مرجع سابق، ص: 62.

والتبحر في علم الكلام والذي يعتبره أصل الدين وسبب الثبات واليقين، والذي يعرفه بأنه:" العلم بأحكام الألوهية وإرسال الرسل وصدقها في كل أخبارها، وما يتوقف شيء من ذلك خاصا به، وتقرير أدلتها بقوة هي مظنة لرد الشبهات وحل الشكوك".[1]

لقد تنوعت الأدلة عند متكلمي الأشعرية على وجود الله تعالى بحيث تدرجت وتنوعت فبدأت بطريقة القرآن الكريم في التأمل في النفس والعالم ثم طريقة المتكلمين في إثبات حدوث العالم وأن له محدثا، ثم الجمع بين طريقة المتكلمين والفلاسفة.

يعتمد الإمام ابن عرفة في إثباته وجود الله تعالى على فكرة الممكن والجائز، وابن عرفة هنا متأثر بأدلة الفلاسفة في إثبات وجود الله تعالى، والتي تقوم على فكرة الواجب والممكن وحاجة الممكن.

فقد جمع الإمام ابن عرفة في الأدلة التي ساقها بين طريقة المتكلمين التي تقوم على الاستدلال على وجود الله تعالى بحدوث العالم وما فيه من جواهر وأعراض، وبين طريقة الفلاسفة الذين يذهبون إلى أن علة الحاجة إلى وجود واجب الوجود هي الإمكان لا الحدوث.

إن الإيمان بالله فطرة خُلق الإنسان عليها، وهي طبيعة فيه مثل سائر الطبائع التي لا تزايله في أصل وجوده، وإن انحرفت تعبيراته عنها بالقول أو بالسلوك، فحين تتعطل هذه الفطرة، يوجه القرآن الكريم العقول إلى النّظر في آفاق الكون بعناصره المختلفة أرضاً وبحراً وسماء، وذلك للانتقال منها إلى ما وراءها من علة وجودها، وقد كثرت الآيات الداعية إلى هذا النّظر، وتنوعت بحيث تمثل مبدأ قرآنياً ثابتاً في المعرفة عموما، وفي معرفة الله خصوصاً، وهو الأمر الذي لا نجد له نظيراً في أي كتب من كتب الأديان الأخرى.

إن الاستدلال على وجود الله تعالى تكاثرت صوره وتنوعت أنماطه عند علماء العقيدة.[2]

---

(1). المختصر الكلامي، أبي عبد الله محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق: نزار حمادي، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت، ص: 9، 10، 11.

(2). ينظر: الإيمان بالله وأثره في الحياة، مرجع سابق، ص: 34، 72، 73.

أما ابن عرفة فمن خلال تفسيره نجده يميز بين نوعين من الأدلة على إثبات وجود الله تعالى؛ وهما:

أولاً. دليل الحدوث:

بداية قمت بتقسيم الأدلة حسب ما ورد في تفسير الإمام ابن عرفة، وذلك من خلال تتبعي لشرح الآيات التي تدور حول الوجود الإلهي وآياته وبراهينه.

وما ذكره من أن القرآن العظيم قد استوعب القول في حدوث العالم فهو حقٌّ، ذلك أنّ حدوث العالَم أصلٌ عظيم من المسائل العقدية التي جاء بها الإسلام، بل هو في الحقيقة أصل لها كلها لأنه يُتوصَّل به إلى إثبات العلم بوجوب وجود الله تعالى ووجوب صفاته الأزلية، وإثبات النبوات وبقية العقائد. ولشرف وأهمية هذا الأصل دل عليه القرآن العظيم بأنواع متعددة من الدلالات والإشارات، واعتنى به العلماء حتى أفردوه بالتأليف، بل قد نص النبي ﷺ على هذا الأصل العظيم بكلام محكمٍ [1] وهو قولهﷺ : «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ».[2]

لقد ذهب المتكلمون إلى أن العلم بالصانع متوقف على العلم بحدوث العالم، والعلم بحدوث العالم متوقف على العلم بحدوث الأجسام، وجعلوا الطريق إلى ذلك الاستدلال بحدوث الأعراض، وبنوا ذلك على أربع مقدمات:

ثبوت الأعراض، ثم حدوثها، ثم لزومها للأجسام، وإذا لم تنفك الأجسام عنها ثبت حدوث الأجسام؛ فإن ما لا يسبق الحوادث فهو مُحدث.[3]

---

(1). درر المعرفة، مرجع سابق، ج1، ص: 64.

(2) . أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [سورة الروم: 27]، رقم (3191)،105/4.

(3). ينظر: الإشارة في علم الكلام، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تحقيق: هاني محمد حامد محمد، المكتبة الأزهرية للتراث، الجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة . مصر، 2007م، ص: 52 .60؛ مسألة حدوث العالم، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: يوسف بن محمد مروان بن سليمان الأوزبكي، شركة دار البشائر الإسلامية، بيروت . لبنان، ط1: 1432هـ . 2012م، ص: 50.

إن دليل حدوث العالم من أصول الشرائع وقواعد الدين، إذ إثبات الصانع والآخرة وبعثة الأنبياء يتوقف على حدوث العالم، إذ لو لم يكن حادثاً بل قديما لا يحتاج إلى وجود الصانع، وإذا لم يوجد الصانع لم يرسل الأنبياء، ولم تكن الآخرة، لأن الآخرة متفرعة على خراب العالم، فلو كان العالم قديماً كان باقياً على حاله فلا وجود للآخرة، وذلك كله باطل فقدم العالم باطل، فثبت حدوثه ولأن القديم لا يكون محلا للحوادث مع أن العالم محل للحوادث بالبداهة، فالعالم بجميع أجزائه حادث لأن العالم إما أعيان وإما أعراض، وكل منهما حادث ولأنه متغير وكل متغير حادث، فالعالم حادث ولأنه أثر المختار، وأثر المختار حادث وكل حادث فله محدث فالعالم له محدث، ولذا أجمع السلف والخلف -من المتكلمين والمحدثين والمفسرين- على أن العالم حادث وجد بعد أن لم يكن موجوداً بقدرة الله تعالى. ومن بين هؤلاء المفسرين نجد الإمام ابن عرفة يؤكد على أن المشهور من أدلة العلم بالصانع هو دليل الحدوث؛ ويرى بأن طريق الاستدلال بحدوث الأجسام هو طريق الخليل عليه السلام في قوله تعالى:﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ (سورة الأنعام الآية: 76).

وهو يوافق الفخر الرازي فيما جاء في كتابه **المُحَصَّل** أن العالم مُحْدَثٌ لما مرَّ، وكل مُحْدَثٍ له مُحْدِثٌ؛ لأن المحدث ممكن؛ وهو الذي كان معدوما ثم صار موجودا، وما هذا شأنه ماهيته قابلة للوجود والعدم، وكل ممكن له مؤثر .(1)

يقول الإمام ابن عرفة عند تفسير قوله تعالى:﴿ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴾ (سورة الرعد الآية: 16)" فيه دليل على صحة العمل بالقياس لاقتضاء أن معبوداتهم لو كانت خالقة لكانت عبادتهم لها وجه من النظر، وهو أنهم يقولون: هذا خالق فانتفى أن تصح عبادتها قياسا على عبادة الله، ولهذا يستدل المتكلمون على وجود الله ووحدانيته بحدوث العالم".(2)

(1) . ينظر: المختصر الكلامي، مرجع سابق، ص: 205، 706.

(2) . تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 426.

ونقل الشيخ الأبّي عن الإمام ابن عرفة في تفسير قوله تعالى:﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (سورة إبراهيم الآية: 10):"استدل أهل أصول الدين على وجود الإله بوجهين:

- **أحدهما**: إمكان العالم، وأنه جائز الوقوع، وكل جائز لا بد له من مرجح يقتضي وقوعه على أحد الجائزين.
- **الثاني**: حدوث العالم، إذ لابد له من موجد أوجده.

قيل لابن عرفة: فالحكماء قائلون بقدم العالم، فهل مذهبهم يتم الدليل على وجود الله بأن العالم ممكن؟ فقال: نعم، ويقولون : هو ممكن لذاته، واجب لغيره".[(1)]

وأشار الإمام ابن عرفة في تفسير قوله تعالى:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾(سورة الشورى الآية: 29) إلى أن العلماء اختلفوا في الدليل الدال على وجود الصانع عز وجل هل هو الحدوث أو الإمكان، ثم اختار أن هذه الآية يؤخذ منها أنهما يدلان معا لأن "مِنْ" في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ للتبعيض فدل على أن حدوث هذه المخلوقات بعض الدلائل لَا كلها.[(2)]

وفي قوله تعالى: ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (سورة النحل الآية: 12)،

قيل لابن عرفة: عادة المتكلّمين في كتبهم يذكرون باب حدوث العالم و يستدلّ ونفيه على وجود الصانع ويفردون بابا آخر للاستدلال على وحدانية الصانع، فيجعلونهما بابين والآية اقتضت الاستدلال بحدوث العالم على وحدانية الصانع، فأجاب ابن عرفة بوجهين:

- الأول: قال: إن الآية خطاب لقريش وهم مقرون بأن المؤثر واحد والشركاء غير مؤثرين، فلا استدلال بالآية مع ضميمة اعتقاد أن المؤثر واحد استدل به على أنه موجود.

---

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 443، 444.

(2). المصدر نفسه، ج4، ص: 6.

- الجواب الثاني: أنها دليل على أن هذه الأشياء لها فاعل ومؤثر، وقد دل الدليل العقلي على منع اجتماع مؤثرين على أثر واحد فصح بالآية وجود الصانع ووحدانيته.(1)

ثانياً. دليل الإمكان:

لقد عرف الرازي من الأشاعرة الإمكان قائلاً: "إن مرادنا من لفظ الإمكان هو كون الشيء، بحيث يجوز أن يستمر على ما كان عليه قبل ذلك، ويجوز أن لا يبقى على ما كان عليه قبل ذلك".(2)

لقد استدل الإمام ابن عرفة بدليل آخر على وجود الله تعالى وهذا في معرض تفسيره لقوله تعالى:﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(سورة المؤمنون الآية: 86): "الآية حجة القول بإمكان معرفة حقيقة ذات الله عز وجل، أي يؤخذ من الآية إمكان معرفة حقيقة ذات الله تعالى وهما: الإمكان والوقوع، أما الإمكان فقالت الفلاسفة والحكماء: إنه محال، ومذهب الجمهور جواز، ووجه الأخذ من الآية أن السؤال بـ" مَنْ " إنما يكون عن الحقيقة".(3)

وقد ساق الإمام ابن عرفة مثالا آخر عند تفسيره قوله تعالى:﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ (سورة الرحمن الآية: 14):" سميّت الآية لبيان النطق والاستدلال على وجود الصانع وقدرته، وأن الإنسان يستحضر أول أمره وتكونه وانتقاله من عدم إلى وجود، ومن وجود إلى عدم".(4)

وهو يوافق الفخر الرازي في كتابه معالم أصول الدين وهذا طريق الاستدلال بإمكان الذوات، قائلا: لا شك في وجود موجود، فذلك الموجود إما أن يكون واجبا لذاته أو لم يكن، فإن كان الأول فقد ثبت وجود واجب الوجود، وإن كان ممكنا لذاته فلابد من افتقاره إلى مؤثر، فنقول:

---

(1) . ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 199. 200.

(2). المطالب العالية من العلم الإلهي، فخر الدين الرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان، ط1: 1407هـ. 1987م، ص: 205.

(3) . تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 214.

(4) . المصدر نفسه، ج4، ص: 123.

ذلك المؤثر لا يخلو إما أن يكون هو الذي كان أثراً له، أو أمراً آخر غيره، فإن كان الأول لزم احتياج كل واحد منهما إلى الآخر، وذلك يوجب الدور، وهو محال لأن المحتاج إليه متقدم على المحتاج، فلو افتقر كل واحد منهما إلى الآخر لكان كل واحد منهما متقدما في الوجود على الآخر، فيكون كل واحد منهما متقدما على المتقدم على نفسه، والمتقدم على المتقدم متقدم، فالشيء يكون متقدما على نفسه، وإن كان الثاني وهو أن يفتقر ذلك المؤثر إلى أمر آخر غير ما هو أثر له، فنقول: يلزم منه أحد الأمرين، إما التسلسل إلى غير النهاية، أو الانتهاء إلى موجود لا يكون ممكنا، بل يكون واجبا، لكن التسلسل محال، فتعين الانتهاء إلى واجب الوجود.[1]

نستخلص أن الإمام ابن عرفة اعتمد في إثباته وجود الله على فكرة الممكن والجائز، والإمام ابن عرفة هنا متأثر بأدلة الفلاسفة في إثبات وجود الله تعالى والتي تقوم على فكرة الواجب والممكن، وحاجة الممكن إلى الواجب.

(1). ينظر: المختصر الكلامي، مرجع سابق، ص: 706؛ شرح معالم أصول الدين للإمام الرازي، شرف الدين ابن التلمساني، تحقيق: نزار حمادي، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان. الأردن، ط1: 1431هـ. 2010م، ص: 193، 194.

المبحث الثاني: وحدانية الله تعالى

إن أساس العقيدة الإسلامية وقاعدته قائمة على الوحدانية، ونفي التعددية وأن ليس غير الله . سبحانه وتعالى . المنفرد بالألوهية والمختص بالعبادة وهو المفهوم الذي تقوم عليه العقيدة الإسلامية.

وقد تعرض ابن عرفة لتوضيح حقيقة التوحيد، وهو ما سيتم التطرق إليه في هذا المبحث مفرعا إلى مطلبين: الأول سيكون عن معنى الواحد في اللغة وفي الاصطلاح، والثاني عن بيان رأيه في هذه المسألة.

المطلب الأول: تعريف الوحدانية

أ/ معنى الوحدانية في اللغة:

الواحد: أول عدد الحساب، جمع واحدون، ووحده توحيدا: جعله واحدا ووحد ووحيد ومتوحد: منفرد، وهي وحدة. والتوحيد: الإيمان بالله وحده. والله الأوحد والمتوحد: ذو الوحدانية.[1]

قال ابن فارس:" الوحدانية مشتقة من وحد الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد من ذلك الوحدة، وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله، قال: يا واحد العرب الذي... ما في الأنام له نظير".[2]

ب/ أما معنى الوحدانية في الاصطلاح:

وفي الاصطلاح: "هو إفراد الله بالعبادة، أي تعبد الله وحده لا تشرك به شيئا لا تشرك به نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا رئيسا ولا ملكا ولا أحدا من الخلق بل تفرده وحده بالعبادة محبة وتعظيما ورغبة ورهبة".[3]

(1). ينظر: القاموس المحيط، مرجع سابق، ج1، ص: 324.

(2). مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج6، ص: 90.

(3). معجم ألفاظ العقيدة، عامر عبد الله فالح، مكتبة العبيكان، الرياض . السعودية، ط1: 1417هـ . 1997م، ص: 103.

يعرفه الراغب الأصفهاني: "وإذا وصف الله تعالى بالواحد فمعناه: هو الذي لا يصحّ عليه التّجزّي ولا التكثّر". (1)

ويعرفه ابن حجر في كتاب التوحيد: وقيل معنى وحدته علمته واحدا وقيل سلبت عنه الكيفية والكمية فهو واحد في ذاته لا انقسام له وفي صفاته لا شبيه له في إلهيته وملكه وتدبيره لا شريك له ولا رب سواه ولا خالق غيره". (2)

ويعرفه الجرجاني:" التوحيد: ثلاثة أشياء معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة". (3)

التوحيد في اصطلاح المتكلمين:

أما في اصطلاح المتكلمين، فقد اختلفوا في بيان حقيقة التوحيد، وذلك لاختلاف الفرق التي ينتسبون إليها.

التوحيد عند المعتزلة: يعرفه القاضي عبد الجبار بقوله: فأما في اصطلاح المتكلمين، فهو العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفيا وإثباتاً على الحد الذي يستحقه والإقرار به". (4)

التوحيد عند الأشاعرة:

ورد في كتاب اللمع للأشعري ما يلي: "فإن قال قائل لم قلتم أن صانع الأشياء واحد؟ قيل له لأن الاثنين لا يجري تدبيرهما على نظام ولا يتسق على إحكام ولابد أن يلحقهما العجز أو واحداً منهما؛ لأن أحدهما إذا أراد أن يحيي إنسانا وأراد الآخر أن يميته لم يخل أن يتم مرادهما جميعا أو لا

(1) . المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص:857.

(2) . فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، 1379م، ج13، ص: 345.

(3) . التعريفات، مرجع سابق، ص: 69.

(4) . شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار بن أحمد، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة ـ مصر، ط3: 1416هـ ـ 1996م ، ص: 128.

يتم مرادهما أو يتم مراد أحدهما دون الآخر، ويستحيل أن يتم مرادهما جميعا لأنه يستحيل أن يكون الجسم حياً وميتاً في حال واحدة، وأن لم يتم مرادهما جميعا وجب عجزهما، والعاجز لا يكون إلهاً ولا قديماً، وإن تم ما أراد أحدهما دون الآخر وجب العجز لمن لم يتم مراده منهما والعاجز لا يكون إلها ولا قديماً فدل على ما قلناه أن الصانع واحد".[1]

ومنه فالوحدانية عند الأشاعرة هي إفراد الله بالربوبية والخلق، واستدلوا على ذلك بدليل التمانع الذي ذكره الأشعري في كتابه اللمع، وتبعه في ذلك متأخرو الأشاعرة مثل الرازي والذي يقول:"هو عبارة عن الحكم بأن الشيء واحد، وعن العلم بأن الشيء واحد، يقال: وحدته إذا وصفته بالوحدانية".[2]

ويعرفه الجويني كما يلي: "الباري سبحانه وتعالى واحد، والواحد في اصطلاح الأصوليين الشيء الذي لا ينقسم ولو قيل الواحد هو الشيء لوقع الاكتفاء بذلك.

والرب سبحانه وتعالى موجود فرد، متقدس عن قبول التبعيض والانقسام، قد يراد بتسميته واحداً أنه لا مثل له ولا نظير. ويترتب على اعتقاد حقيقة الوحدانية إيضاح الدليل على أن الإله ليس بمؤلف إذ لو كان كذلك -تعالى الله عنه وتقدس- لكان كل بعض قائماً بنفسه عالما حيا قادرا، وذلك تصريح بإثبات إلهين".[3]

المطلب الثاني: وحدانية الله عند الإمام ابن عرفة

إن الله تعالى هو المتصف بصفات الكمال الذي لَا يفتقر إلى غيره، ويفتقر غيره إليه، ومن ذلك استقلاله بالخلق والقدرة، وغير ذلك.

ويعبر عن الوحدانية قوله تعالى (قُل هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)، فإنه إذا ثبت أنه واحد في ذاته ثبت أنه لا كفء له، فالمراد بالكفاءة نفي المشابه؛ والمماثل المشابه للشيء لَا يكون كفؤا له فلا يلزم من

(1) . اللمع، في الرد على أهل الزيغ والبدع، أبي الحسن الأشعري، مطبعة مصر، 1955م ، ص: 20.
(2) . المطالب العالية، مرجع سابق، ج3، ص: 262.
(3). الإرشاد، إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، إمام الحرمين الجويني، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق على وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة – مصر، ط1: 1430هـ - 2009م ، ص: 55.

إثبات الوحدانية نفي الكفء المماثل، كما سبق تقديره في (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ولم يقل: ليس مثله شيء، إذا قلنا إن الكاف زائدة، ولذلك جعلوا افتتاح الصلاة بـ "الله أكبر" ليعتقد المصلي أن جميع ما يخطر بباله فالله أكبر منه وأعلى، فيجمع جميع صفات التنزيه، ومنها تنزيهه عن الند والنظير له.(1)

لقد ذكر ابن عرفة الخلاف الوارد في دليل الوحدانية، حيث يورد إشكالاً فيقول: هل هو مستفاد من السمع أو من العقل؟ وهذا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ (سورة المزمل الآية:9): "اختلفوا في دليل الوحدانية هل هو مستفاد من السمع، وهو اختيار جماعة من المتأخرين، أو من العقل، وهو مذهب الأقدمين، أو منهما معاً، وهو مذهب المحققين من المتأخرين، وسبب الخلاف: هل الإيمان بالرسول متوقف على وجود الصانع فقط، أو على وجود وحدانيته".(2)

وقد حقق هذه المسألة وأشار إليها بعدة آيات نذكر منها ما ورد عند الآية الكريمة: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴿١٥١﴾﴾"(سورة الأنعام الآية:151) قال: "ويؤخذ من الآية أن دليل الوحدانية يصح إثباته بالسمع؛ لأن الآية نهي عن الشرك بالله".(3)

وكذلك ما ورد عند قوله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ (سورة إبراهيم الآية:52):"يؤخذ منها أن الوحدانية ثبتت بالسمع وهو أحد القولين عند الأصوليين".(4)

ويوضح موقفه من هذه المسألة من خلال تفسيره للآية الكريمة: ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ (سورة البقرة الآية:

(1) . ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 360.
(2) . المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص:312.
(3). المصدر نفسه، ج2، ص: 199.
(4). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 451.

41) حيث يقول: "الظّاهر أن المراد بها التصديق بالرسل والإيمان بهم والمراد بقوله «وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ» الإيمان بالله وتوحيده، قيل له: الإيمان بالرسل يستلزم التوحيد؟ فقال: الصحيح أن التوحيد واجب بالعقل لا بالسمع".[1]

وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ﴾(سورة يس الآية:22)

واقتضت الآية الاستدلال بالوحدانية والمعاد؛ أما الوحدانية فأمر عقلي، ...، والوحدانية تقرر أن دلالة المعجزة لَا تتوقف".[2]

فهو لم يبتعد عن منهجه الأشعري عند تقريره لوحدانية الله فأثبتها عن طريق دليل التمانع، ونقصد بدليل التمانع: وهو أنه لو كان للعالم صانعان، فعند اختلافهما، مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم وآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته، فإما أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما، أو لا يحصل مراد واحد منهما، والأول ممتنع، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع، لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، وهو ممتنع، ويستلزم أيضاً عجز كل منهما، والعاجز لا يكون إلهاً، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر: كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجزاً لا يصلح للإلهية. وكثيراً من أهل النظر يرون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ﴾ (سورة الأنبياء الآية: 22).[3]

إن البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز البين، فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقا فاعلا يوصل إلى عابده النفع، ويدفع عنه الضر فلو كان معه سبحانه إله لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى بشركة الإله الآخر معه، بل إن قدر على قهره وتفرده بالإلهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه، وذهب به كما ينفرد ملوك الدنيا عن بعضهم بعضا بممالكهم.

(1) . تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 106.

(2) . المصدر نفسه، ج3، ص: 340.

(3) . أصول العقيدة الإسلامية، أبو جعفر أحمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، ط1: 1419هـ . 1999م ص: 15.

إذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر والعلو عليه فلا بد من أحد أمور ثلاثة:

-إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

-وإما أن يعلو بعضهم على بعض.

-وإما أن يكون كلهم تحت قهر إله واحد وملك واحد يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه، ويمتنع من حكمهم عليه ولا يمتنعون من حكمه عليهم؛ فيكون وحده هو الإله الحق وهم العبيد المربوبون المقهورون".[1]

وفي تقريره لدليل التمانع يقول ابن عرفة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾(سورة الأنبياء الآية: 22) :"أي لو وجد فيهما آلهة غير الله، وليس المراد به الكون في السماء والأرض لئلا يلزم عليه كون الله في السماء، وإنما المراد الوجود كما قال الزمخشري في حديث سودة حين قال لها النبيّ ﷺ : أين الله تعالى؟ فقالت: في السماء، فقال لربها: أعتقها فإنها مؤمنة.

قال: مرادها نفي الإلهية الأرضية التي هي الأصنام لَا إثبات السماء مكانا لله عز وجل".[2]

ويرى المتكلمون دليل التمانع مصحوب بالقدرة كما يعبر عن ذلك الغزالي بقوله:" العلم بأن الله عز وجل واحد لا شريك له فرد لا ند له، انفرد بالخلق والإبداع واستبد بالإيجاد والاختراع، لا مثل له يساهمه ويساويه، ولا ضد له فينازعه ويناوئه، وبرهانه قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ وبيانه أنه لو كان اثنين وأراد أحدهما أمرا فالثاني إن كان مضطرا إلى مساعدته

---

(1). الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1: 1408هـ، ج2، ص:464.463.

(2) . تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 163.

كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن إلها قادرا، وإن كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثاني قويا قاهرا والأول ضعيفا قاصرا ولم يكن إلها قادرا". (1)

ويبين ابن عرفة دليل التمانع بأسوب المتكلمين معتمدا على كلام ابن عطية منتقدا له ومفصلاً لمعنى دليل التمانع إذ يقول: "قال ابن عطية: في دلالة التمانع أنهما إما أن يتفقا أو يختلفا، فإن اتفقا فيجوز اختلافهما.

ويجيبه ابن عرفة: وأيضا فيقولون إنما إذا اجتمعا على إيجاد جوهر فهو حالة الإيجاد وإما مقدم لأحدهما فيلزم عجز الآخر له أو مقدر لها فيلزم عليه وجود مقدورين وقادرين، واجتماع اثنين على مؤثر واحد وهو محال ".(2)

وهذا الدليل استعمله ابن عرفة من خلال تفسيره للآية الكريمة:﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَىۡءٍ عِلۡمًا ٩٨ ﴾(سورة طه الآية:98) :"المناسب لدلالة التمانع وصف القدرة والإرادة. فلو عقبه بالعلم، وقال: عادتهم يجيبون: بأن الآية دلت على أن كل شيء معلوم لله تعالى، فلو كان هناك خالق غيره لكان غير معلوم بالاختيار، ولأن الأول لَا يعلم ما يفعل؛ لأن العلم يتعلق علمه بما يفعله هو في نفسه خاصة".(3)

ومعنى كلام ابن عرفة أنه لو وجد إله آخر لأخفى ما في نفسه، فلا يعلمه الإله الآخر ولا يعرف بوقوعه، وهذا دليل على عجزهما، وهذا باطل لا يصلح ولا يجوز. فهو الإله الواحد الأحد الذي لا نظير ولا مثيل له، المتفرد في صفاته وأسمائه الحسنى، وهو ما سيتم التطرق إليه في المبحث الموالي.

(1) . قواعد العقائد، أبو حامد الغزالي، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب – لبنان، ط2: 1405هـ - 1985م، ص: 172.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 67.

(3). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 153.

المبحث الثالث: عرض الإمام ابن عرفة للصفات الإلهية

الإيمان بصفات الله تعالى ركن من أركان العقيدة الإسلامية، فالإيمان بالله لا يكون إيماناً صحيحاً إلا إذا استجمع الإيمان بوجوده، والإيمان بصفاته معاً، وصفات الله تعالى التي ينبغي على المسلم أن يؤمن بها هي صفات كثيرة في العدد وغير منحصرة في رقم معيّن، وقد حاول علماء العقيدة في مؤلفاتهم أن يحصوها عدداً، وأن ينوّعوها أنواعاً، ولكنهم لم يكونوا قاصدين في ذلك إلا أغراضاً تعليمية تسهيلاً على طلاب العلم، دون أن يقصدوا الحصر النهائي والتنويع اللازم، ولذلك فقد كان بينهم اختلافات في عدد الصفات وتسميتها.

وبما أن دراستنا تتعامل مع تفسير للقرآن الكريم، والذي أخذت فيه أسماء الله وصفاته حيّزاً واسعاً، فإن المفسر لكتاب الله الإمام ابن عرفة ــ رحمه الله ــ أولى عناية كبيرة لهذا الموضوع.

ومنه، يمكن طرح السؤال التالي: ما مفهوم الصفات الإلهية عند الإمام عرفة ؟ وهل اعتمد تقسيماً معيّناً، وهو يفسر كتاب الله تعالى ؟ وننطلق من أشعرية ابن عرفة لنتناول دراسة وتفصيلاً الصفات كما عرضها في تفسيره.

عندما نرجع إلى ابن عرفة ومنهجه في تحديد الصفات، فإننا لم نجد له بحثاً مستقلاً في هذه المسألة، وإنما كان عن طريق تتبع ما تفرق في تفسيره من إشارات إلى صفاته عز وجل ، وفيما يأتي من مطالب بيان لآراء الإمام ابن عرفة في آيات الصفات .

المطلب الأول: صفات المعاني

صفات المعاني هي:" كل صفة قائمة بذاته سبحانه وتعالى تستلزم حكماً معيناً له، كصفة العلم فهي تستلزم أن يكون المتصف بها عليما".[1]

وصفات المعاني سبعة وهي العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والسمع والبصر، والكلام.

(1). كبرى اليقينيات الكونية ووجود الخالق ووظيفة المخلوق، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر دمشق ـ سوريا، ط8: 1982م، ص:119.

أ. صفة العلم:

معنى العلم في اللغة:

مشتق من الفعل عَلَمَ الْعَيْنُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى أَثَرٍ بِالشَّيْءِ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ. مِنْ ذَلِكَ الْعَلَامَةُ، وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ. يُقَالُ: عَلَّمْتُ عَلَى الشَّيْءِ عَلَامَةً.(1)

علمه -كسمعه - علما، بالكسر: عرفه، هكذا في الصحاح، وفي كثير من أمهات اللغة، وزاد المصنف في البصائر: حق المعرفة، ثم قوله: هذا وكذا قوله فيما بعد: وعلم به، كسمع، شعر، صريح في أن العلم والمعرفة والشعور كلها بمعنى واحد، وأنه يتعدى بنفسه في المعنى الأول، وبالباء إذا استعمل بمعنى شعر، وهو قريب من كلام أكثر أهل اللغة.(2)

أما في الاصطلاح:

عرف الراغب العِلْم بأنه: "إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان:

أحدهما: إدراك ذات الشيء.

والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفيّ عنه".(3)

ويمكن تعريفها بـ" هي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها كشف الأمور، والإحاطة بها على ما هي عليه في الواقع، أو على ما ستكون عليه في المستقبل ".(4)

يثبت ابن عرفة صفة العلم لله إثباتاً كاملاً، وذلك من خلال ما ورد في نصوص القرآن الكريم، إذ يقول سجانه وتعالى في كتابه العزيز:﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ﴾(سورة يونس الآية:61) قال ابن عرفة: "يؤخذ من الآية أن الله تعالى عالم بالجزيئات كعلمه بالكليات ".(5)

(1). مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج4، ص: 109.

(2). تاج العروس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، دار الهداية، ج33، ص: 126.

(3). المفردات، مرجع سابق، ص: 580.

(4). كبرى اليقينيات الكونية، مرجع سابق، ص:120.

(5). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص:347.

وقد ذكر حكم من أنكر علم الله بالجزئيات دون الكليات، وذلك عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة فصلت الآية: 22).

قال ابن عرفة:" هذه الآية تدل على تكفير من قال: إن علم الله تعالى لا يتعلق بالجزئيات وإنما يتعلق بالكليات لأنه يلزم عليه أن كثيراً من الجزئيات لا يعلمها الله، وهم لا يعلمون تعلق علم الله بها، فقد كفروا ".[1]

وقارن ابن عرفة بين صفتي العلم والبصر، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(سورة الحجرات الآية: 18) يقول: " هذا أخص بما قبله لأن "بصير" أحق من يعلم، فإن قلت: لم عبر عن صفة العلم بالفعل وعن صفة البصر بالاسم ؟ قلت: لأن العلم في الشاهد معلوم دوامه وثبوته وأنَّه لا يتبدل، فلم يحتج فيه إلى التعبير بالاسم الدال على الثبوت، لأنه معلوم أنه إذا لم يتبدل في الشاهد فأحرى الغائب، وعبر في "بصير" بالاسم الدال على الثبوت، إشارة إلى أنه الغائب مخالف للشاهد، لأن من أبصر شيئا في الشاهد لا يدوم نظره إليه بخلاف علمه إياه".[2]

ويستدل ابن عرفة على ثبوت صفة العلم لله ـ سبحانه وتعالى ـ ويستنبط ذلك من آي الذكر الحكيم، فمن خلال قوله ـ عز وجل ـ :﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾(سورة الفتح الآية:18)، قال ابن عرفة: "هذه الفاء في قوله تعالى " فَعَلِمَ " للسبب لا للتعقيب والترتيب في الزمان؛ لأنه يلزم عليه أن يكون علمه تعالى متأخراً، وإنما الترتيب في اللفظ، أو بحسب آثار العلم في القلب".[3]

(1). درر المعرفة، مرجع سابق، ج1، ص:93.
(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص:51، 52.
(3). درر المعرفة، مرجع سابق، ج1، ص:93، 94.

وفي قوله تعالى:﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾(سورة العنكبوت الآية:3). قال ابن عرفة: "ومذهبنا نحن أن الله تعالى قبل وجود زيد عالمٌ بأنه معدوم، وبأنه سيوجد في الزمن الفلاني على الصفة التي قدرها وأرادها وهو صعب التصور، تقريبه بالمثال في الشاهد أن يخبرنا وليٌّ من أولياء الله تعالى جربنا عليه الصدق مراراً، بأنه يكون في شهر رمضان كذا وكذا، ثم يأتي شهر رمضان فيكون ذلك فيه على وفق ما قال، فإن العلم الذي حصل لنا ثانيا بذلك هو عين العلم الذي كان حصل لنا أولا عند إخبار الولِّي، ولا تفاوت بين العلمين بوجه، ولم يزدد عندنا علمٌ أصلاً، فكذلك علم الله تعالى بالوجود قبل وقوعه كعلمه بعد وقوعه".(1)

وقد أثبت ابن عرفة عموم علمه . تبارك وتعالى . مستدلا على ذلك بالقرآن الكريم مثل: قوله . عز وجل . :﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾(سورة ق الآية:16).

قال ابن عرفة: "هذا تنبيه على كمال تعلق علم الله تعالى بجميع الكائنات، وأنك كما تفهم علم الواحد منا بأحوال من هو في المسافة منه بمنزلة حبل الوريد الذي هو في عنقك، كذلك ينبغي أن تعتقد في علم الله تعالى".(2)

كما يستدل أيضا على ثبوت صفة العلم لله سبحانه وتعالى بقدرته على إعادة الشيء، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعُۢ بَعِيدٌ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴾(سورة ق الآية:3ـ4) قال: "وتقريره أن إعادة الشيء تنبيه من شرطها قدرة الصانع وعلمه وكونه سبحانه وتعالى قادراً معلوم له بالضرورة، لا ينازعون فيه فبين لهم اتصافه بالعلم، ولما كان العلم بما ينقص في المستقبل أبلغ بما انتقص في الماضي".(3)

نستخلص أنه سلك منهج علماء الكلام، ومن بينهم الأشعري الذي ذهب إلى أن: "الأفعال المحكمة لا تتسق في الحكمة إلا من عالم، وذلك أنه لا يجوز أن يحرك الديباج بالتصاوير،

(1). درر المعرفة، مرجع سابق، ج1، ص: 92، 93.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 58.

(3). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 53.

ويصنع دقائق الصنعة من لا يحسن ذلك ولا يعلمه"،[1] وأثبت ذلك الجويني إذ يقول: " وإنما الدال على ذلك إحكام الفعل وإتقانه وانتظامه".[2]

كما يذهب إلى نفس الرأي الإيجي فيقول:" إن فعله تعالى متقن، وكل من فعله متقن فهو عا لم "؛ [3] أما المعتزلة فيرون أن " العلم ينقسم إلى قديم وإلى حادث، فالعلم القديم صفة الله تعالى الموجبة لهم حكم الإطالة، المنزَّه عن كونه ضروريا أو كسبيًّا، وليس له انقسام".[4]

ونخلص إلى أن الإمام ابن عرفة لم يأت بجديد في عرضه لهذه الصفة، وإنما كان مناقشاً للمعتزلة، مردداً لما وصل إليه علماء المدرسة الأشعرية الجويني، الرازي والباقلاني.

ب . صفة القدرة:

معنى القدرة في اللغة:

مشتق من الفعل قَدَرَ الْقَافُ وَالدَّالُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَبْلَغِ الشَّيْءِ وَكُنْهِهِ وَنِهَايَتِهِ. فَالْقَدْرُ: مَبْلَغُ كُلِّ شَيْءٍ. يُقَالُ: قَدْرُهُ كَذَا، أَيْ مَبْلَغُهُ. وَكَذَلِكَ الْقَدَرُ وَقَدَرْتُ الشَّيْءَ أَقْدِرُهُ وَأَقْدُرُهُ مِنَ التَّقْدِيرِ، وَقَدَّرْتُهُ أُقَدِّرُهُ. وَالْقَدْرُ: قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى الْأَشْيَاءَ عَلَى مَبَالِغِهَا وَنِهَايَاتِهَا الَّتِي أَرَادَهَا لَهَا، وَهُوَ الْقَدَرُ أَيْضًا.[5]

القَدِيرُ والقادِرُ: مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَكُونَانِ مِنَ القُدْرَة وَيَكُونَانِ مِنَ التَّقْدِير؛ مِنَ القُدْرة، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُقَدِّرُ كُلِّ شَيْءٍ وَقَاضِيهِ. ابْنُ الأَثير: فِي أَسماء

---

(1). اللمع، مرجع سابق، ص: 24.

(2). الشامل في أصول الدين، إمام الحرمين الجويني، تحقيق: علي سامي النشار وآخرون، منشأة المعارف الإسكندرية . مصر، ص: 621.

(3). المواقف في علم الكلام ،عضد الله الإيجي، عا لم الكتب، بيروت . لبنان، ص: 285.

(4). التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسير الكتاب العزيز ، عمر بن محمد السكوني ، تحقيق: السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان ، 2005م ، ص: 42.

(5). مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج5، ص: 62.

اللَّهِ تَعَالَى القادِرُ والمقْتَدِرُ والقَدِيرُ، فَالْقَادِرُ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ قَدَرَ يَقْدِرُ يَقْدُرُ، والقَدِير فَعِيلٌ مِنْهُ، وَهُوَ لِلْمُبالَغَةِ، وَالْمُقْتَدِرُ مُفْتَعِلٌ مِنِ اقْتَدَرَ، وَهُوَ أَبلغ.[(1)]

أما في الاصطلاح:

يعرفها الراغب: "إذا وصف الله تعالى بها فهي نفي العجز عنه، ومحال أن يوصف غير الله بالقدرة المطلقة".[(2)]

القدرة هي :"صفة أزلية قائمة بذاته يأتي بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة".[(3)] ولقد اعتبر ابن عرفة القدرة صفة من صفات الذات، يقول: " ... تقول زيد قادر إذا أردت الذات، وتارة يراد به الصفة، فقادر موضوع لأن يولد به القدرة، وهو صفة من صفات الذات".[(4)]

وقد استنتج صفة القدرة من خلال معانيها في هذه الآيات القرآنية يرى أن العدم الإضافي يحتاج أولا للقدرة الإلهية ثم بعد ذلك تواجهه القدرة فيتم وجوده، ويثبتها من خلال آي الذكر الحكيم مثل قوله تعالى:﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾(سورة فاطر الآية: 2).

قال: "يؤخذ من قوله تعالى: ﴿وَمَايُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أن العدم الإضافي السابق متعلّق للقدرة، وجعله بعض الأصوليين متعلقا للإرادة "،[(5)] وبنفس المعنى شرح ابن عرفة قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾(سورة الفتح الآية: 24) قائلاً :" يؤخذ منه أن العدم الإضافي تتعلق به القدرة، وتقدم لنا مثله في قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾(سورة فاطر الآية: 2)، قيل له: لا حجة فيه

---

(1). لسان العرب، مرجع سابق، ج5، ص: 74.

(2). المفردات، مرجع سابق، ص: 657.

(3). العقيدة الإسلامية أركانها حقائقها، مفسداتها، مصطفى سعيد الخن، محيي الدين ديب متو، دار الكلم الطيب، دمشق. بيروت، ط3، ص: 198.

(4). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 30.

(5). المصدر نفسه، ج3، ص: 326.

لاحتمال أن يرجع إلى الإرادة. فقال: والإرادة مؤثرة لأن من شأنها التخصيص. قيل له: الأشهر عندهم أنها غير مؤثرة".[1]

وقوله تبارك وتعالى:﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾(سورة المؤمنون الآية:18)، قال: "فيه دليل على تعلق القدرة بالعدم الإضافي".[2]

وهو يوافق الأشاعرة أمثال القاضي أبي بكر الباقلاني، وهذا ما صرح به في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾(سورة إبراهيم الآية:19). يقول:" فيه دليل على أن العدم الإضافي مقدور لله تعالى لأنه مراد، وكل مراد مقدور، وهو مذهب أكثر أهل السنة، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني :"إنَّه غير مقدور، وأما العدم المطلق فلا خلاف أنه غير مقدور".[3]

ويربط ابن عرفة بين صفتي القدرة والإرادة من خلال قوله . عز وجل . :﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾(سورة البقرة الآية: 253) يقول:" في هذه الآية عندي حجة لمن يقول: إن العدم الإضافي تتعلق به القدرة؛ لأن المعنى ولو شاء الله عدم اقتتالهم". فقيل له: فرق بين الإرادة والقدرة، فقال: قد تقدم الخلاف في الإرادة هل هي مؤثرة أو لا ؟ والصحيح أنه اختلاف لفظي؛ فإنه خلاف في حال، فإن كان المقصود بها الإبراز من العدم إلى الوجود فليست مؤثِّرة، وإن أريد بها كون الشيء على صفة مخصوصة فهي مؤثِّرة، و إذا كانت مؤثرة فهي كالقدرة، وقد تعلقت هنا بالعدم".[4]

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 35.

(2). المصدر نفسه، ج3، ص: 203.

(3). درر المعرفة، مرجع سابق، ج1، ص: 97.

(4). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 306. 307.

وكعادته يصرح ابن عرفة، حين حديثه عن صفة القدرة بانتسابه للأشاعرة واختلافه عن المعتزلة، وهذا عند تفسيره لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ﴾(سورة المؤمنون الآية:95).

كما نقل قول الجويني:" قال إمام الحرمين في الشامل: مذهب أهل السنة صحة تعلق القدرة القديمة بما علم الله عدم وقوعه، ومذهب المعتزلة امتناع ذلك، فرد عليه قائلا: "والآية حجة لأهل السنة لاقتضائها عموم تعلُّق قدرة الله تعالى بأن يجعل نبيّهﷺ مبصراً لجميع ما وعدهم به من أنواع المهالك في الدنيا، لأن الرؤية بصرية، وقد ماتﷺ قبل استيفاء ذلك لهلاك كثير منهم، وممن ارتد بعد وفاتهﷺ على يدي أبي بكر وعمر، واقتضت الآية تعلق القدرة بذلك".[1]

نستنتج مما سبق أن ابن عرفة يقول بأن العدم الإضافي يحتاج أولا للقدرة الإلهية ثم بعد ذلك تواجهه الإرادة فيتم وجوده، والعكس بالنسبة للمعتزلة، لأنه عندهم أن الله إذا أراد الإيجاد أوجد وإذا أراد الإعدام أعدم، أي مباشرة بلا حاجة للقدرة ابتداء ثم تظهر القدرة بعد أن يريد الله الشيء فيكون، وهو ما أخبر به الزمخشري حيث ذكر أن :"وكان الله على ذلك من الإعدام والإيجاد قديراً بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء أراده".[2]

ج . صفة الإرادة:

معنى الإرادة في اللغة: مشتق من الفعل رَوَدَ الرَّاءُ وَالْوَاوُ وَالدَّالُ مُعْظَمُ بَابِهِ يَدُلُّ عَلَى مَجِيءٍ وَذَهَابٍ مِنِ انْطِلَاقٍ فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ. تَقُولُ: رَاوَدْتُهُ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ كَذَا، إِذَا أَرَدْتَهُ عَلَى فِعْلِهِ،[3] ومنه أَراد يُرِيدُ إِرادة، وَالرِّيْدَةُ الِاسْمُ مِنَ الإِرادة. قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: فأَما مَا حَكَاهُ اللِّحْيَانِيُّ مِنْ قَوْلِهِمْ: هَرَدْتُ الشَّيْءَ أُهَرِيدُه هِرادةً، فإِنما هُوَ عَلَى الْبَدَلِ، قَالَ سِيبَوَيْهِ: أُريد لأَن تَفْعَلَ مَعْنَاهُ إِرادتي لِذَلِكَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ. الْجَوْهَرِيُّ وَغَيْرُهُ: والإِرادة الْمَشِيئَةُ وأَصله الْوَاوُ، كَقَوْلِكَ رَاوَدَهُ أَي أَراده عَلَى أَن يَفْعَلَ كَذَا.[4]

(1) . تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 215 216.
(2) . الكشاف، مرجع سابق، ج1، ص: 574.
(3). مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج2، ص: 457.
(4). لسان العرب، مرجع سابق، ج3، ص: 191.

أما اصطلاحاً: إذا استعمل في الله فإنه يراد به المنتهى دون المبدإ، فإنه يتعالى عن معنى النّزوع، فمتى قيل: أَرَادَ الله كذا، فمعناه: حكم فيه أنه كذا وليس بكذا، وقد تذكر الْإِرَادَةُ ويراد بها معنى الأمر، كقولك: أُرِيد منك كذا، أي: آمرك بكذا، وقد يذكر ويراد به القصد.(1)

فالإرادة هي: "صفة قديمة زائدة على الذات، قائمة به، تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه ". (2)

ويثبت ابن عرفة صفة الإّرادة لله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى:﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ (سورة البقرة الآية : 185) .

يرى أن في الآية إشكالا وهو أن متعلق الإرادة إما فعل أو حكم.

- الأول: باطل بالمشاهدة لأن الله تعالى يفعل الخير والشر، وقد رأينا بعض الناس في الخير وبعضهم في الشر.
- والثاني: باطل لأنه يلزم عليه أن يكون حكم الله تعالى مراداً فيكون حادثا، إذ من شأن الإرادة التخصيص .... وقال: " قد تقرر الخلاف في الإرادة هل هي مؤثرة ؟ والتحقيق أنَّه إن أُريد به التعلق التنجيزيُّ فهي مؤثرة كالقدرة، وهو معنى التخصيص فيها يكون الشيء على صفة خاصة في وقت معين، وإن أريد به التعلق الصلوحي فهي غير مؤثرة كالعلم فإنّه يتعلق و لا يؤثر".(3)

لفهم كلام ابن عرفة لابد من بيان التعلقات؛ فالتعلق تعريفه هو:" اقتضاء الصفة أمراً زائداً على قيامها بالذات، كاقتضاء العلم معلوماً ينكشف به، واقتضاء الإرادة مراداً يتخصَّص بها، واقتضاء القدرة مقدوراً وهكذا".(4)

(1). ينظر: المفردات، مرجع سابق، ص: 371.

(2). العقيدة الإسلامية، مرجع سابق، ص: 194.

(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 223.

(4). شرح الخريدة البهية في علم التوحيد، أحمد بن محمد العدوي الدردير، تحقيق: عبد السلام الشنار، مكتبة التراث الأزهري، ص: 82.

والإرادة صفة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه، ولها تعلقان قديمان تنجيزيٌّ وصلوحي:

. فتخصيصها في الأزل الأشياءَ على الوجه الذي ستوجد عليه فيما لايزال تنجيزيٌّ قديم.

. وصُلوحُها أزلاً لتخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه".[1]

وعليه يُحمل كلام ابن عرفة على أن الإرادة صفة تأثير عند تعلقها تعلقا تنجيزياً قديما فهي تخصص الممكنات ببعض ما يجوز عليها أما عند تعلقها تعلقا صلوحياً قديما فهي غير مؤثرة كالعلم أما القدرة فهي صفة تأثير بالإيجاد وبالإعدام[2]، ويمكن شرح وتوضيح هذا الكلام ما جاء في قوله تعالى:﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (سورة البقرة الآية: 253) فقال:" قد تقدم الخلاف في الإرادة هل هي مؤثرة أو لا؟ والصحيح أنه اختلاف لفظي (وأنَّه) خلاف في حال. فإن كان المقصود بها الإبراز من العدم إلى الوجود فليست مؤثرة، إن أريد به كون الشيء على صفة مخصوصة فهي مؤثرة، وإذا كانت مؤثرة فيه كالقدرة".[3]

وقد استنتج ابن عرفة صفة الإرادة من صريح الآيات القرآنية، نذكر مثلا قوله تعالى:﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ (سورة النساء الآية:133) دليل على وجوب اتصافه بصفتي الإرادة والقدرة،... جاءت هذه كالدليل عقبها في أنه القادر على الإعدام والإيجاد".[4]

وقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (سورة المائدة الآية:1)، قال: "وأنظر هل فيها دليل على أنه لا يأمر إلا بما أراد ؟ وأجيب: بأن المعنى أن الله يحكم ما يريد الحكم به لا ما يريده في نفسه".[5]

(1). شرح الخريدة البهية في علم التوحيد، مرجع سابق، ص: 85.
(2). الآراء الكلامية لابن عرفة التونسي، مرجع سابق، ص: 101.
(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 307.306.
(4). المصدر نفسه، ج2، ص: 60.
(5). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 81.

ويخالف المعتزلة باستدلالهم حيث يقول: "واستدل المعتزلة أيضا بقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ لَايُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾(سورة البقرة الآية: 205)، وأبطل الإمام ابن عرفة استدلالهم بأنه ليس المراد حقيقة المحبة بمعنى الإرادة، بل الذم على ذلك، فمعنى الآية : والله يذمُّ الفساد ويعاقب على فِعْله؛ لقول العرب في المدح التام : "حبذا زيد " وفي الذم التام: " لا حبذا زيد " فاحتجاج المعتزلة بها لا يتم ".(1)

ويقول أيضاً في رده على المعتزلة بمسألة أن الله لا يحب الشر ولا يريده، حيث ذكر قول الفخر: "واحتج بها المعتزلة على أن الله لا يحب الشر ولا يريده " (2) وردَّه ابن عرفة بوجهين:

الأول: أنه ليس المعنى: والله لا يريد الظالمين، فهو ذم لهم، مثل: " لا حبذا زيد "، وما يلزم من ذمهم على الظلم أن الله لم يُرِدْ ذلك منهم.

الوجه الثاني: أن المستدل بها لابد أن يضمر فيها مضافاً تقديره:" والله لا يحب ظلْمَ " الظالمين".(3)

ويفرق بين الأمر والإرادة من خلال تفسيره لقوله . عز وجل .:﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾(سورة الكهف الآية: 50)، يقول: " فيه دليل على أن الأمر غيرُ الإرادة؛ لأن الله تعالى أمره بالسجود، ولم يرده منه، ولو أراده لوقع، تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد".(4)

د . صفة الحياة :

حيا من الحَيَاةُ: نَقِيضُ الْمَوْتِ، كُتِبَتْ فِي الْمُصْحَفِ بِالْوَاوِ لِيُعْلَمَ أَن الْوَاوَ بَعْدَ الْيَاءِ فِي حَدِّ الْجَمْعِ، وَقِيلَ: عَلَى تَفْخِيمِ الأَلف ، وَحَكَى ابْنُ جِنِّي عَنْ قُطْرُب: أَن أَهل الْيَمَنِ يَقُولُونَ الحَيَوْةُ، بِوَاوٍ قَبْلَهَا فَتْحَةٌ، فَهَذِهِ الْوَاوُ بَدَلٌ مِنَ أَلف حياةٍ وَلَيْسَتْ بِلَامِ الْفِعْلِ مِنْ حَيِوْتُ، أَلا تَرَى أَن لَامَ

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 250.
(2). ينظر: التفسير الكبير، مرجع سابق، ج8، ص: 241.
(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص:364.
(4). المصدر نفسه، ج3، ص: 93.

الْفِعْلِ يَاءٌ؟ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ أَهل الْيَمَنِ بِكُلِّ أَلف مُنْقَلِبَةٍ عَنْ وَاوٍ كَالصَّلْوَةِ وَالزَّكْوَةِ؛ حَيِيَ حَياةً وحَيَّ يَحْيَا ويَحَيُّ فَهُوَ حَيٌّ، وَلِلْجَمِيعِ حَيُّوا، بِالتَّشْدِيدِ، قَالَ: ولغة أُخرى حَيَّ وَلِلْجَمِيعِ حَيُوا، خَفِيفَةٌ.[1]

ويعرفها الراغب بقوله: "الحياة التي يوصف بها الباري، فإنه إذا قيل فيه تعالى: هو حيّ، فمعناه: لا يصحّ عليه الموت، وليس ذلك إلّا لله عزّ وجلّ".[2]

يستدل ابن عرفة على ثبوت هذه الصفة لله تعالى بآي الذكر الحكيم، منها قوله سبحانه وتعالى:﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ (سورة النساء الآية: 172)، يقول: " تضمنت الآية ثلاثة أمور دينية : ... و الثالثة: إثبات الصفات ما تضمنه قوله: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾، فإنه يقتضي الحياة والقدرة والعلم والإرادة ...".[3]

وفي تحديده لهذه الصفة أورد ابن عرفة تعريف ابن العربي والإمام الغزالي والزمخشري، قال الإمام ابن العربي في شرح الأسماء الحسنى: "يقال : حَيِيَ الرجل يَحْيَى حياةً، وحَيَّ أيضاً بتشديد الياء، وقيل: حايِيٌ على وزن فاعل و الحيُّ بكسر الحاء الحيوان، وهو جنس الحَيِّ، و قيل: هو الحياة، واختلفوا فيه اختلافاً كثيراً، والحيُّ نحوٌ من القبيل سُمِّيَ به مجازاً لأن به يستعينون على حماية أنفسهم، وحياة مواشيهم بالخِصْبِ ورَعْيِ الحَيَا، وشربه وهو المطر، والحياة وهي وصْفٌ للجسم، عَرَضٌ إذا وُجِدَتْ بالذات؛ جسماً كان جوهراً، كان درَّاكا فعَّالاً، وكانت العرب إذا رأت الإدراك والحِسَّ قالت: هذا حَيٌّ.

والحيَّ من له حياة في الشاهد، وأما الغائب فقال بعضهم: لا أقول إن الله حيٌّ بحياة، وإن قلت عالم بعلم، من قِبَلِ أنَّ التوقيف ورد بذلك في العلم، ولم يرد به في الحياة والسمع والبصر".[4]

---

(1). ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، ج14، ص: 211.

(2). المفردات، مرجع سابق، ص: 269.

(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 75.

(4). الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ـ أبي بكر محمد ابن العربي، تحقيق: عبد الله التوراتي، أحمد عروبي، دار الحديث الكتانية، بيروت ـ لبنان، ص: 57 58.

وقال الإمام الغزالي: " الحَيّ هو الفعال الدراك".(1)

وقد رد عليهم ابن عرفة بأنه باطل بوجوه: منها أن البارئ في الأزل حي مدرك بنفسه وصفاته ولم يفعل، وأيضا الإدراك معنى غير الحياة، والفعل فكيف يفسر معنىً بمعنى مغاير له، وأن وجود الحياة مصحح للإدراك والفعل، فيلزم الإدراك إذ لا يصح حي غير مدرك، ويصح الفعل ولا يلزم ووجوب الحياة للبارئ يختص بخمسة أوصاف: أنه لم يسبقه موت، ولا يعتريه، وليس له بلل ورطوبة، ولا يحتاج إلى غذاء، فإنه يطعم وهي للعبد بعكس ذلك كله.(2)

أما الزمخشري فقد فسر الحيّ: "بالباقي الذي لا سبيل للفناء عليه، وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح أّن يعلم و يقدر".(3)

ويعرض ابن عرفة هذه التعاريف لصفة الحياة، مخالفا لها، ومستدلا بقول ابن عطية، حيث يقول: " وكل شيء يصح اتصافه بالعلم والقدرة، لكن الحيّ بغير واسطة والجماد بواسطة الحياة"(4)، وقال أيضاً: " قال ابن عطية: قال المعتزلة وقوم: الله حي لا بحياة، وهو باطل. وقال آخرون: حي بحياة، وقال قوم: هو حي كما وصف نفسه، وسلم ذلك ينظر فيه".(5)

ويفرق ابن عرفة بين صفة الحياة في الموجودات عموماً، وعند واجب الوجود فيقول: " أراد أن وجود الحياة عند ممازجة الروح للبدن أمر عادي، وليست الروح بموجبة للحياة ولا ملازمة لها كملازمة العالمية والقدرية لمن قائم به العلم والقدرة، وإنما ذلك في خلق الله تعالى ...، فحدوث صفة تقوم بهما عند مقارنتها في الوجود إنما هو أمر عادي خلق الله تعالى لا أن أحدهما أوجب ذلك الأمر".(6)

---

(1). المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي، قبرص، ط1 : 1407-1987م ، ص : 131.

(2). ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 308.

(3). الكشاف، مرجع سابق، ج1، ص: 299-300.

(4). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 308.

(5). المحرر الوجيز، مرجع سابق، ج1، ص: 340.

(6). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 74، 75.

كما يستدل ابن عرفة على صفة الحياة بانتفاء نقيضها عن الله ـ عز وجل ـ فهي في المخلوقات معرضة للزوال والفناء، يقول : "يكون نعيمها زائلاً مضمحلاً، شبهها بالماء في كونه ينزل فينشأ عنه النبات الأخضر الناعم ثم يضمحل، فكذلك الإنسان يوجد بعد أن لم يكن ثم تدرج حالاته من الصغر إلى الشباب ثم إلى الكبر ثم ينعدم".[1]

ويؤكد ابن عرفة دلالة صفة الحياة على أحقية الربوبية بقوله ـ تبارك وتعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ (سورة الحج الآية: 73).

يقول:"... فإيجاد الذباب أخف من إيجاد الذرة، والعجز عنه يستلزم العجز عن إيجاد الذرة من باب أحرى، ولا سيما إذا قلنا: إن القادر على إيجاد الجزء المكمل يصدق عليه أنه قادر على الجميع، فالقادر على إيجاد الحياة يصدق عليه أنه خالق للذرات، لأن فعله حصل كمال الذات".[2]

ومن خلال تعريفه لصفة الحياة واستدلاله عليها نستنتج أنه يسلك مسلك الأشاعرة، فجميع الأشاعرة استدلوا على ثبوت صفة الحياة لله ــ تبارك وتعالى ــ بكونه عالماً وقادراً وهذا محتوى تعريف هذه الصفة، يقول البغدادي في ذلك : "وإذا صحَّ لنا أن الصانع عالم قادر مريد والحياة شرط في هذه الصفات عندنا، صحَّ لنا الاستدلال بذلك على كونه حياً".[3]
ويقول الجويني:" لا يصح عالم قادر غير متصف بكونه حيًّا".[4]

هـ ـ صفة الكلام:

أ/لغة: من الفعل كلم الكاف واللام والميم أصلان: أحدهما يدل على نطق مفهم، فالأول الكلام. تقول: كلمته أكلمه تكليما، وهو كليمي إذا كلمك أو كلمته. ثم يتسعون فيسمون اللفظة

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 90.
(2)المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 199-200.
(3). أصول الدين، مرجع سابق، ص: 105.
(4). الشامل، مرجع سابق، ص: 622.

الواحدة المفهمة كلمة، والقصة كلمة، والقصيدة بطولها كلمة. ويجمعون الكلمة كلمات وكلما.[1]

والكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على لفظة مؤلفة من جماعة حروف ذات معنى، وتقع على قصيدة بكمالها وخطبة بأسرها. الكلمة القصيدة بطولها. وتكلم الرجل تكلما وتكلاما وكلمه كلاما، جاؤوا به على موازنة الأفعال، وكالمه: ناطقه. وكليمك: الذي يكالمك.[2]

ب/ اصطلاحاً:

الكلام هو:" صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، وهو بها آمر وناه ومخبر، عبر عنها نظم ما أوحاه إلى رسله كالقرآن والتوراة والإنجيل".[3]

ويعتمد في إثباته لها على أن الكلام من القرآن وهو كلام الله تعالى، وهذا في معرض تفسيره لقوله تعالى:﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ (سورة النساء الآية: 172).

تضمنت الآية ثلاثة أمور دينية: أحدها إثبات الوحدانية، والثانية: نفي الولد، والثالثة إثبات الصفات ما تضمنه قوله تعالى : ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ فإنه يقتضي الحياة والقدرة والعلم والإرادة، فاقتضت الآية أيضاً إثبات الكلام، فإن هذا من القرآن وهو كلام الله ...".[4]

ويرى أن وجود الكلام علامة وهداية السبيل علامة على الألوهية، وهذا المعنى ثابت في الرسل فيلزم أن كل واحد منهم إلها، وهذا عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ﴾ (سورة الأعراف الآية: 148)، حيث يقول: "... وعادتهم يجيبون بأن الآية دلت على أن عدم الكلام نفي الملزوم وهو عدم الكلام وعدم الهداية؛ لأنه إذا انتفى عدم الألوهية ثبتت الألوهية؛

---

(1). مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج5، ص: 131.

(2). لسان العرب، مرجع سابق، ج12، ص: 524.

(3). كبرى اليقينيات الكونية، مرجع سابق، ص : 124.

(4). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 75.

فكل من ثبتت له الألوهية ثبت له الكلام والهداية، ولا يلزم من نفي الملزوم نفي اللازم، لأنه لا يلزم من نفي عدم الكلام نفي عدم الألوهية؛ أي لا يلزم من ثبوت الكلام ثبوت الألوهية ".(1)

ويرى ابن عرفة أن هذه الصفة تثبت لله تعالى عن طريق العقل ولا مجال لإثباتها بالسمع، وقد فسر ابن عرفة قوله تعالى:﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ ﴾(سورة الفتح الآية: 27)، بلزوم الصدق لكلام الله تعالى وحصول العلم بذلك، قالوا: لا يصح أن يكون طريقه السمع؛ لأن السمع متوقف على صحة الرسالة، والرسالة متوقِّفة على إثبات الكلام وصحته، فيلزم الدُور.

وأجابوا بأن مستنده أمران: إما السمع على أحد تقريرين، أو العقل مطلقاً، أما السمع فإن قلنا: إن المعجزة تتنزل منزلة قول المرسل " صَدَق عبدي " لم يجز إثبات ذلك بالسمع، لأن السمع لا يثبت إلا بعد تقرُّر صِدْق الرسول، وصِدْق الرسول متوقِّف على المعجزة، والمعجزة راجعة للكلام لأنها بمنزلته، فيلزم توقُّفُ الشيء على نفسه.

أما إذا لم تتنزل منزلة " صدق عبدي " على حد قول ابن عرفة، فيصح إثبات الكلام بالسمع، وحجة هؤلاء أن المخبر عن الملك بأمره بمحضره يقول: "دليل صدقي أن يتحرك ذلك الساتر، أو يقوم الملك، أو يقعد، فيفعل ذلك وهو ساكت، فإنه يصدّقه في ذلك الخبر جميع الحاضرين، من ينزِّل تلك الأمارة أو المعجزة منهم منزلة " صدَقَ عبدي "، ومن لا ينزلها منزلته".(2)

أما الأشاعرة فقد ذهبوا إلى القول بأن كلام الله ـ تبارك و تعالى ـ قائم على:

أولاً: الكلام النفسي وهو صفة قديمة أزلية زائدة على الذات، وهو بها آمر وناه و مخبر...

ثانياً: الكلام اللفظي وهو حادث ومخلوق لله تعالى، وهو مدلول الكلام النفسي من ألفاظ وعبارات.(3)

---

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 255.

(2). ينظر: درر المعرفة، مرجع سابق، ج1، ص: 99-100.

(3). ينظر: شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه في العقيدة، أبو بكر الموصلي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط1 : 1410هـ - 1990م، ص: 197.

وكغيره من الأشاعرة فهو يخالف المعتزلة، ويحدد حقيقة هذا الخلاف حيث يرى أن المعتزلة ينكرون الكلام النفسي ونحن نقول: "كلام النفس مسموع ولذلك نتصوره في الكلام القديم الأزلي وهم ينكرونه".(1)

وذكر أيضاً موقف المعتزلة من صفة الكلام وهذا عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(سورة آل عمران الآية:59)، قال: "هذا اعتزال، لأن المعتزلة ينفون كلام النفس القديم الأزلي ويردونه إلى سرعة التكوين فقط ".(2)

وابن عرفة يؤكد بأن موسى قد سمع كلام الله القديم، عند قوله سبحانه تعالى:﴿ وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾(سورة الأعراف الآية: 143)، قال:" أي أزال الحجب المانعة من سماع الكلام القديم الأزلي، فسمعه أو خلق له سمعاً، ولهذا أدركه الكلام القديم "،(3)فهو يثبت الكلام النفسي مؤكداً ذلك بقوله: "بأنا نثبت الكلام النفسي، ويصح عندنا سماعه كما سمع موسى كلام الله القديم الأزلي، وليس بصوت ولا حرف".(4)

ويشرح في موضع آخر حقيقة الكلام القديم، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ (سورة الرعد الآية: 1)، قال : "... وأما الكلام القديم الأزلي فيستحيل فيه النزول لأنه ليس بصوت ولا حرف، وتلك الأحرف والأصوات المنزلة انعدمت بلا شك من اللوح المحفوظ، ووجدت عند النبيﷺ وإنما بقي اللوح المحفوظ، الكلام بما يلقى ولو بقيت هي بنفسها لما صدق فيها أنها نزلت".(5)

والذي نخرج به من خلال تحديد ابن عرفة لصفة الكلام أنه كان موافقاً تماماً للأشاعرة والماتريدية مردداً للنتائج التي توصلوا إليها في هذه المسألة .

(1) . تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1: ص: 314.
(2). المصدر نفسه، الجزء نفسه: ص:365.
(3). المصدر نفسه، ج2، ص: 249.
(4). المصدر نفسه، ج1، ص: 274.
(5). المصدر نفسه، ج2، ص: 413.

و ـ السمع و البصر:

السِّينُ وَالْمِيمُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ إِينَاسُ الشَّيْءِ بِالْأُذُنِ، مِنَ النَّاسِ وَكُلِّ ذِي أُذُنٍ. تَقُولُ: سَمِعْتُ الشَّيْءَ سَمْعًا. وَالسَّمْعُ: الذِّكْرُ الْجَمِيلُ. يُقَالُ قَدْ ذَهَبَ سَمْعُهُ فِي النَّاسِ، أَيْ صِيتُهُ. وَيُقَالُ سَمَاعِ بِمَعْنَى اسْتَمِعْ. وَيُقَالُ سَمِعْتُ بِالشَّيْءِ، إِذَا أَشَعْتُهُ لِيُتَكَلَّمَ بِهِ. (1)

وقال أيضاً بَصَرَ الْبَاءُ وَالصَّادُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْعِلْمُ بِالشَّيْءِ؛ يُقَالُ: هُوَ بَصِيرٌ بِهِ. وَمِنْ هَذِهِ الْبَصِيرَةُ، وَالْبَصِيرَةُ التُّرْسُ فِيمَا يُقَالُ.

وَالْبَصِيرَةُ: الْبُرْهَانُ. وَأَصْلُ ذَلِكَ كُلِّهِ وُضُوحُ الشَّيْءِ. وَيُقَالُ: رَأَيْتُهُ لَمْحًا بَاصِرًا، أَيْ: نَاظِرًا بِتَحْدِيقٍ شَدِيدٍ. وَيُقَالُ: بَصُرْتُ بِالشَّيْءِ: إِذَا صِرْتَ بِهِ بَصِيرًا عَالِمًا، وَأَبْصَرْتُهُ: إِذَا رَأَيْتَهُ. (2)

عرف ابن عرفة صفتي السمع والبصر بقوله: "صفة السمع تخص العلم بالمسموعات، والبصر يخص العلم بالبصريات والعلم عام في الجميع ". (3)

لقد أثبت ابن عرفة هاتين الصفتين لله ـ تبارك وتعالى ـ من خلال آي الذكر الحكيم، ومن ذلك قوله عز وجل :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(سورة الشورى الآية: 11)، وقوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(سورة الأنبياء الآية:4)، فقد أفادت هذه الآيات القرآنية ثبوت هاتين الصفتين لله ـ عز وجل ـ إلا أن هاتين الصفتين موجودة أيضاً عند المخلوقات ومنها الإنسان، حيث إن السمع يدرك به الإنسان الصوت من الجهات الست، والبصر لا يدرك به إلا ما يقابله فقط، ولذلك قدم لأنه أشرف. (4)

وقارن ابن عرفة بين صفتي السمع والبصر واعتبر أن البصر أشرف من السمع، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾(سورة النحل الآية:78)

(1). ينظر: مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج3، ص: 102.
(2). المرجع نفسه، ج1، ص: 269.
(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 159.
(4). ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص: 339.

فاختلفوا أيهما أشرف؛ فاحتج من شرّف السمع بأن الوحي المنزل على النبيّ ﷺ حاسة السمع، ولأن الإنسان إذا مشى في الظلمة المختلطة يسمع ولا يرى ..، واحتج من شرف البصر على السمع، بأن السمع لا يستقل بنفسه، لأن الإنسان إذا سمع كلاما فلا بد أن ينظر في دلالته عليه بالمطابقة والتضمن والالتزام. فالبصر يتعلق به رؤية المؤمنين، وهم بأبصارهم في الدار الآخرة وهي أشرف بكل اعتبار.[1]

ويستدل ابن عرفة على أن البصر أشرف من السمع بقوله: " حاسة البصر أفضل من حاسة السمع بدليل أن موسى ـ عليه السلام ـ أكرم بسماع الكلام الأزلي، ولم يحظ بالرؤية".[2]

وقد أثبت الأشاعرة هاتين الصفتين لله ـ تبارك وتعالى ـ دون تأويل، ويعبِّر البغدادي عن رأيهم في ذلك بقوله:" قال أصحابنا: أن سمعه صفة أزلية، وهو يسمع بها جميع المسموعات من الأصوات والكلام، ... أن الله راء برؤية أزلية يرى بها جميع المرئيات ولم يزل رائيا لنفسه".[3]

واستدلوا عقلا على ثبوت هاتين الصفتين بأنَّه تعالى حي، وكل حي يصح اتصافه بالسمع والبصر، ومن صح اتصافه بصفة اتصف بها أو بضدها، وهو الصمم والعمى، وهما من صفات النقص، فامتنع اتصافه بهما، فوجب له السمع والبصر.[4]

أما المعتزلة فقد أوّلوا هاتين الصفتين بما يرجع إلى العلم والإدراك، وهذا ما يؤكده ابن عرفة من أن الزمخشري يرد صفة السمع لصفة العلم فلا فرق عنده بين السميع والعليم.[5] وكعادته يقوم بإيراد أقوالهم ثم يناقشها ويرد عليهم بأن: صفة السمع والبصر صفتان متغايرتان لصفة العلم، قيل له: الصحيح عندنا المخالفة لا التغاير فقال: التغاير لفظي لا معنوي".[6]

---

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 39.

(2). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 408.

(3). أصول الدين، مرجع سابق، ص: 96، 97.

(4). ينظر: المواقف في علم الكلام، مرجع سابق، ص: 292.

(5). ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 274.

(6). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 35.

وقد ذكر القاضي عبد الجبار رأي المعتزلة، فقال: "وأما عند مشايخنا البغداديين هو أنه تعالى مدرك للمدركات على معنى أنه عالم بها ".[1]

واستدل المعتزلة كذلك على صفتي السمع والبصر بكونه تعالى حياً، إذ يقول القاضي عبد الجبار: " أما الذي يدل على أن الله تعالى سميع بصير مدرك للمدركات، هو أنه حي لا آفة به، والموانع المعقولة مرتفعة، فيجب أن يدرك المدركات".[2]

وفي تأويل حقيقة السمع والبصر، يخالف ابن عرفة مذهب المعتزلة الذين يُرجعون هاتين الصفتين إلى علمه . تبارك وتعالى . ويظهر رأيه بوضوح عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾(سورة آل عمران الآية : 181) .

قال ابن عرفة:" الآية دالة على إثبات صفة السمع لله تعالى، ومذهبنا أنها مغايرة لصفة العلم، والمعتزلة يقولون إنهما شيء واحد".[3]

وفي تفسير قوله تعالى:﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(سورة الأنبياء الآية: 4) .

قال ابن عرفة: "هذا دليل على مغايرة صفة السمع لصفة العلم باعتبار ذاتيهما، وأما باعتبار الخصوصية فهما متغايران لأن السمع يخص العلم بالمسموعات ... ".[4]

أما صفة البصر فقد فسر ابن عرفة قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾(سورة يونس الآية: 61) قال: "هذا كقولك: أتعصي الله والله يراك ؟ لأنّه أزجر له من أن تنهاه عن العصيان، وإلا فرؤية الله تعالى سابقة قديمة، وتعليقها بحالة العصيان تنفير للعاصي عن فِعْلِه".[5]

(1). شرح الأصول الخمسة، مرجع سابق، ص: 168.
(2). المرجع نفسه، ص: 168.
(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 449.
(4). المصدر نفسه، ج3، ص: 159.
(5). المصدر نفسه، ج2، ص: 347.

المطلب الثاني: الصفات الخبرية

لقد تم الحديث عن صفات المعاني والتي يتعين على كل إنسان الإيمان بها، أما القسم الثاني من الصفات الإلهية فهي الصفات الخبرية، والتي ذكرها ابن عرفة في تفسيره كالاستواء والإتيان والمجيء والنزول وغيرها من الصفات.

أ- الوجه: وقد أشار ابن عرفة لمعنى الوجه في حق الله تعالى وذلك بمعرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾(سورة الرحمن الآية:27): "غالب الاستعمال أن الوجه إنما يعبر عن الذات عند إرادة التشريف، فيعبر عنها بأشرف الأشياء وفي حديث مسلم "سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ[1]". [2]

ب - اليدين: أول ابن عرفة صفة اليدين بالقدرة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ (سورة الملك الآية:1)عبارة عن تحقيق الملك، لأن اليد في عرف الآدميين هي آلة التملك فهي اسْتِعَارَةٌ، وقال الزمخشري: مجاز عن الإحاطة بالملك والاستيلاء. ويحتمل على مذهب أهل السنة أن يراد باليد القدرة ووقع التعبير عن اليد في القرآن تارة بالإفراد وتارة بالتثنية وتارة بالجمع، ووجهه أنه إن كثرت متعلقات القدرة جمعت، وإن قلّت: أفردت، وإن توسطت ثنيت". [3]

ج - العين: وردت هذه الصفة في كثير من آي الذكر الحكيم، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾ (سورة الطور الآية:48) :"جمع هنا الأعين، وفي سورة طه (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)، والجواب أن الخطاب هناك لموسى عليه السلام، والخطاب هنا لنبينا محمدﷺ، والجمع زيادة في حفظه وتعليمه".[4]ويقول أيضاً عند تفسيره لقوله عز وجل:﴿ وَٱصۡنَعِ

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم(771)، 534/1.

(2) تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 266.

(3) المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص:256.

(4) المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 90.

ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ (سورة هود الآية:37):"جمع الأعين، وقال في طه (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَينِي) فأفرد الجواب: أن الفلك هنا حفظ لنوح ولقومه، فلذلك جمع الأعين والحفظ في طه لموسى فقط".(1)

والمفهوم من كلام ابن عرفة أنه يؤول معنى العين بالحفظ والعناية لشخص النبي عليه الصلاة والسلام أو لجماعة وهم نوح عليه السلام وقومه.

د. الاستواء :

لغة : الاستواء فعل لازم من قولك سَوَّيْته فاستوى، وتقول استوى الشيء مع كذا و كذا وبكذا، قولهم للغلام إذا تم شبابه فقد استوى وتَساوَتِ الأُمورُ واسْتَوَتْ وسَاوَيْتُ بَيْنَهُمَا أَي سَوَّيْتُ. واسْتَوَى الشَّيْئَانِ وتَسَاوَيَا: تَماثَلا. وسَوَّيْته بِهِ وسَاوَيْتُ بَيْنَهُمَا وسَوَّيْتُ وسَاوَيْتُ الشيءَ وسَاوَيْتُ بِهِ وأَسْوَيْتُه بِهِ وَيُقَالُ: سَاوَى الشيءُ الشيءَ إِذَا عادَلَه. وساوَيْتُ بينَ الشَّيْئَيْنِ إِذَا عَدَّلْتَ بينِهما وسَوَّيْت. وَيُقَالُ: فلانٌ وَفُلَانٌ سَوَاءٌ أَي مُتَساويان، وقَوْمٌ سَوَاءٌ لأَنه مَصْدَرٌ لَا يثَنى وَلَا يُجْمَعُ.(2)

والاستواء صفة من الصفات الخبرية الفعلية الثابتة لله تعالى، وهي من أعظم الصفات التي تبين وتثبت علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه. وهو سبحانه وتعالى مستو على عرشه عال على خلقه بائن منهم، يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم، ويرى حركاتهم وسكناتهم، لا تخفى عليه منهم خافية.(3)

ولقد جاء إثبات صفة الاستواء لله تعالى في كتابه العزيز من خلال عدة آيات قرآنية نذكر منها:

قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾(سورة الأعراف : 54)، وأيضاً قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ﴾(سورة يونس الآية: 3) وغيرها من الآيات القرآنية، وقد احتلفوا في تأويل قوله تعالى:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ (سورة طه الآية: 5) " فزعمت المعتزلة أنه بمعنى استولى، وزعمت المشبهة أن

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص:356.
(2). لسان العرب، مرجع سابق، ج14، ص: 410.
(3). ينظر: شعبة العقيدة، مرجع سابق، ص: 224.

استواءه على العرش بمعنى كونه مماسا لعرشه من فوقه، أما الأشاعرة فمنهم من يقول أن آية الاستواء من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، ومنهم من قال أن استواءه على العرش فعل أحدثه في العرش سماه استواء، وهذا قول أبي الحسن الأشعري،(1) أما ابن عرفة فقد فسر هذه الآية بقوله: " تأوله ابن عطية بوجوه أحدها صرف الاستواء إلى معنى القهر، واختار عز الدين بن عبد السلام عدم تكفير من يقول بالجهة".(2)

وابن عرفة كعادته متأثر بابن عطية، وكثيرا ما يأخذ أقواله، وقد أورد آراءه في مسائل كثيرة، وكان موقفه منها يتسم إما بالموافقة والترجيح، أو بالعرض دون تعليق.

هـ ـ الإتيان :

لغة: مشتق من الفعل أَتِيَ تَقُولُ: أَتَانِي فُلَانٌ إِتْيَانًا وَأَتْيًا وَأَتْيَةً وَأَتْوَةً وَاحِدَةً، وَلَا يُقَالُ: إِتْيَانَةً وَاحِدَةً.(3)

والإتيان: المجيء.(4)

صفة الإتيان والمجيء والنزول، من الصفات الفعلية الخبرية الثابتة لله تعالى حقيقة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى وعظمته.(5)

أثبتت الآيات القرآنية صفة الإتيان والمجيء لله . تبارك وتعالى . عدة مرات ومنها قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (سورة البقرة الآية: 210)، وقوله عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ بَعْضُ﴾(سورة الأنعام: 158)، وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾(سورة الفجر الآية: 21-22)، وقوله عز وجل: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾(سورة النحل الآية:1) .

(1). ينظر: أصول الدين، البغدادي، مرجع سابق، ص:112، 113.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 137.

(3). مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج1، ص: 50.

(4). ينظر: مختار الصحاح، زين الدين الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت . لبنان، ط5: 1420هـ - 1999م، ص: 13.

(5). ينظر: شعبة العقيدة، مرجع سابق، ص: 249.

يثبت ابن عرفة صفة الإتيان، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ (سورة البقرة الآية: 210)، يقول: " أن المنظور إليه هنا هو الإتيان المفهوم من قوله تعالى: " إلا أن يأتيهم الله "، والإتيان معنى من المعاني لأنه مصدر، والمعاني لا ترى بوجه إلا باعتبار الجواز العقلي، لكونها موجودة، والوجود مصحح للرؤية". (1)

وهو يوافق الأشاعرة في تأويلهم لصفة الإتيان، فالمراد بالإتيان إما إتيان أمر الله، وإما إتيان آيات الله. (2)

والأشاعرة يوافقون المعتزلة الذين سبقوهم إلى تأويل هذه الصفة، يقول الزمخشري : " إتيان الله، إتيان أمره وبأسه كقوله: "ويأتي أمر ربك " وقوله: " جاء بأسنا "، ويجوز أن يكون المأتي به محذوفا، بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته".(3)

و . الغضب :

لغة: من الفعل غضب الغين والضاد والباء أصل صحيح يدل على شدة وقوة. يقال: إن الغضبة: الصخرة الصلبة. قالوا: ومنه اشتق الغضب، لأنه اشتداد السخط. يقال: غضب يغضب غضبا، وهو غضبان وغضوب. ويقال: غضبت لفلان، إذا كان حيا وغضبت به، إذا كان ميتا.(4)

والغضب ضِدُّ الرِّضَا.(5)

قد نُسِبَ الغضب إلى الله . سبحانه و تعالى . في كثير من آي الذكر الحكيم، منها قوله سبحانه و تعالى : ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(سورة النساء

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 253.

(2). ينظر: شعبة العقيدة، مرجع سابق، ص: 256.

(3). ينظر: الكشاف، مرجع سابق، ج1: ص: 253.

(4). ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، ج4، ص: 428.

(5). القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت . لبنان، لبنان، ط8: 1426 هـ - 2005م، ص: 120.

الآية: 93)، وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ (سورة المجادلة الآية: 14)، وقوله عز وجل:﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾(سورة البقرة الآية: 90).

وابن عرفة يرى أن حقيقة هذه الصفة لا تنسب إلى الله ـ عز وجل ـ للتأدب معه، فوجب تأويلها، ويصرح بذلك: " قصد التنبيه على التأدب مع الله تعالى بنسبة الإنعام إليه وعدم نسبة الشر إليه، بل أتى به بلفظ المفعول الذي لم يتم فاعله، فلم ينسب الغضب إليه على معنى الفاعلية وإن كان هو الفاعل المختار لكل شيء لكن جرت العادة في مقام التأدب أن ينسب للفاعل الخير دون الشر".[1]

ويوضح ابن عرفة معنى صفة الغضب، إذ يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾ (سورة محمد الآية: 28) قال:" وهو عذابه، واتبعوا ما أراد وقوعه من العذاب، وأن يكون المعنى اتبعوا منهيات الله تعالى الموجبات لإيقاع السخط بهم"،[2]ويقول أيضاً: " وغضب الله تعالى إما راجع لإرادته من العبد المعصية والكفر، أو راجع لخلقه الكفر والمعصية في قلبه هذا عندنا ".[3]

ويذكر موقف المعتزلة وتأويلهم لصفة الغضب، فقد حملوا صفة الغضب على الإرادة قائلاً:" وعند المعتزلة راجع لإرادته والانتقام منه، لأنهم يقولون أن الله تعالى لم يخلق الشر ولا أراده؛ ووافقونا في الداعي أنه مخلوق لله تعالى".[4]

ويذكر ابن عرفة رأي المعتزلة في تأويل صفة الغضب، حيث يقول الزمخشري:" فإن قلت ما معنى غضب الله ؟ قلت : هو إرادة الانتقام من العصاة، وإنزال العقوبة بهم، و أن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده".[5]

---

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 38.

(2). المصدر نفسه، ج4، ص: 28.

(3). المصدر نفسه، ج1، ص: 38.

(4). المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

(5). الكشاف، مرجع سابق، ج1، ص: 17.

ز . الرضى:

. **لغة**: الراء والضاد والحرف المعتل أصل واحد يدل على خلاف السخط. تقول رضي يرضى رضى. وهو راض، ومفعوله مرضي عنه. ويقال إن أصله الواو لأنه يقال منه رضوان،[1] رضي عنه، وعليه يرضى رِضاً ورضواناً، ويضَمَّان، ومَرْضاةً، ضِدُّ سَخِطَ، فهو راض من رضاة، ... وأرضاه: أعطاه ما يرضيه، واسترضاه وترضّاه: طلب رضاه، ورَضِيتُهُ".[2]

وحدد ابن عرفة حقيقة هذه الصفة: "الرضا إما راجع للإرادة القديمة الأزلية، أو لصفة الفعل باعتبار الإبراز من العدم إلى الوجود، وقيل فقوله تعالى: " ولا يرضى لعباده الكفر " فقال: المراد لا يرضاه حكما شرعيا بل يرضاه في الأزل، تعالى أن يكون في ملكه مالا يريد".[3]

وقد وردت هذه الصفة في القرآن الكريم منسوبة إلى الله . عز وجل . إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾(سورة البيّنة الآية: 8)؛ ويقول عز وجل : ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(سورة المجادلة الآية: 22) ويقول عز وجل: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾(سورة المائدة الآية : 119) وغيرها من الآيات القرآنية التي ذكرت هذه الصفة.

ويرى ابن عرفة أن الله . تبارك و تعالى . أضيف إليه الرضوان تشريفاً وتعظيماً له، وفعل السخط منه تأدباً وتعظيماً لله تعالى في إضافته إليه، وإبعاد الشر عنه، فتنكير السخط للتعظيم.[4]

(1). مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج2، ص: 402.
(2). ينظر: القاموس المحيط، مرجع سابق، ص: 1288.
(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 88.
(4). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 88.

ح . الرحمة :

لغة: الرَّحْمة: الرِّقَّةُ والتَّعطُّفُ، والمرْحَمَةُ مِثْلُهُ، وَقَدْ رَحِمْتُهُ وتَرَحَّمْتُ عَلَيْهِ. وتَراحَمَ القومُ: رَحِمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. والرَّحْمَةُ: الْمَغْفِرَةُ الرِقَّة، والْمَغفِرَةُ، والتَّعطُّفُ. (1)

وحددها ابن عرفة بأنها "أخص من الرأفة، فإذا أطعمت فقيرين، أحدهما مشرف على الهلاك، و الآخر معه بعض رمق، يصدق عليك أنك رحمت الأول ورأفت على الثاني. (2)

فالرحمة أخص من الرأفة ووضح الفرق بينهما، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة الحشر الآية: 10)، يقول: "هاتان الصفتان مهما ترتبا في الذكر، كانت الرأفة راجعة لصفة الإرادة، والرحمة وحدها صح تأويلها إما برجوعها للإرادة أو للفعل". (3)

وذهب ابن عرفة إلى أن صفة الرحمة تحمل عدة معان، وذكرها في تفسيره لقوله . سبحانه وتعالى .: ﴿ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ ﴾(سورة النساء الآية: 175) قال: "الرحمة الجزاء على فعل الطاعة، والفضل والزيادة على ذلك، وقيل: الرحمة الإنقاذ من الشدائد، والفضل والإنعام في غير شدة، وقيل الرحمة الثواب الدنيوي، والفضل الثواب الأخروي". (4)

وفي قوله تعالى "الرحمن الرحيم" يرى بأن الرحمان دال على كثير النعم بالمطابقة، وعلى دقائقها بالالتزام ودلالة المطابقة أقوى من دلالة الالتزام، فذكر الرحيم بعده ليدل على دقائق النعم بالمطابقة، ويعارض ابن عرفة مذهب المعتزلة موافقاً للأشاعرة بأن:" الرحمة عند المعتزلة أمر عقلي، ونحن نقول هو أمر شرعي، فوعدً الشرع بتعذيب العاصي وتنعيم الطائع". (5)

أي أن هذه الصفة تثبت لله تعالى عن طريق الشرع فقط ولا مجال لإثباتها بالعقل.

(1). ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، ج12، ص: 230؛ القاموس المحيط، مرجع سابق، ج1، ص: 1111.

(2). ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 227.

(3). المصدر نفسه، ج4، ص: 197.

(4). المصدر نفسه، ج2، ص: 77.

(5). ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص: 70.

ط ـ المحبة :

لغة: الحُبُّ: نَقِيضُ البُغْضِ، والحُبُّ: الودادُ والمحَبَّةُ، وَكَذَلِكَ الحِبُّ بِالْكَسْرِ. وحَبَّه يَحِبُّه، بِالْكَسْرِ، فَهُوَ مَحْبُوبٌ، وتَحَبَّبَ إِلَيْهِ: تَوَدَّدَ. الحُبُّ الوداد كالحِبابِ و الحِبّ بكسرهما و المحَبَّة .(1)

أثبتت الآيات القرآنية صفة المحبة لله ـ تبارك وتعالى ـ في عدة مواضع منها قوله تعالى:﴿ وَأَحْسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(سورة البقرة الآية : 195)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (سورة البقرة الآية: 222)، وقوله سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(سورة الممتحنة الآية: 08)، وقوله عز وجل:﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾(سورة البقرة الآية: 190)، وقوله عز وجل:﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(سورة آل عمران الآية: 32).

يذهب ابن عرفة في تأويله لصفة المحبة بقوله:" المحبة ليس الميل، وإنما هي بمعنى صفة الإرادة أي من يعمهم الخير والرضا، وصفة الفعل أن يفعل به الخير".(2)

ويثبت ابن عرفة هذه الصفة لله ــ تبارك و تعالى ــ وأنها من الصفات الفِعْلِيَةِ بقوله: "المحبة والإرادة في حق الله تعالى مترادفان لأن المحبة في حقه مردودة إلى صفة الفعل أو إلى الإرادة أي يفعل بهم الحسن أو يريد بهم ذلك".(3)

وقارن ابن عرفة صفة المحبة عند الله ومخلوقاته، وهذا لا يعني مشابهة الله لخلقه، يقول: "المحبة والكراهة في حق الله تعالى على طرفي النقيض، ولا يصح ارتفاعها، ووجود القسم الثالث إلا في حق المخلوق والجاهل بحقائق الأمور، لأنك إذا كنت تعلم حقيقة ما اتصف به فلا بد من أن تحبه أو تكرهه، وإنما ينتفي عنك الأمران إذا لم تعلم وخفي عليك أمره فحينئذ لا تحبه ولا تكرهه

(1). ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، ج1، ص: 289 ـ 290؛ القاموس المحيط، مرجع سابق، ص: 70.
(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 114.
(3). المصدر نفسه، ج3، ص: 16.

فإنك لا تدري ما هو عليه من قبيح أو حسن، والله تعالى عالم بحقائق الأمور، فنفي المحبة في حقه يستلزم ثبوت الكراهة ".[1]

ي. المكر والاستهزاء:

1. المكر :

لغة: المِكْرُ احْتِيَالٌ فِي خُفية، وَالْمَكْرُ فِي كُلٍّ حَلَالٍ حَرَامٌ، المكر هو الخِداعُ.[2]

يؤَول ابن عرفة المكر بالخسران وحلول البأس، حيث يقول: مكر الله إشارة إلى الإهمال، فإن من أنعم على شخص وأمهله وأقره فقد مكر به، فإن قلت: لم قال: " فلا يأمن مكر الله " ولم يقل: فلا يأمن بأسنا ؟ فالجواب أن المكر خسران وحلول البأس بهم .... المكر راجع إلى العقوبة الأخروية، وعذابها لا ينقطع، والمكر في الدنيا فمن أمن المكر فهو الخاسر حقيقة".[3]

2. الاستهزاء :

لغة: هَزَأَ الهاء والزّاءُ والهمزة كلمة واحدة، ويقال هَزِئ واستهزَأ، إذا سَخِرَ.[4]

وقال ابن فارس: "الهُزْءُ والهُزُؤُ: السُّخْرِيةُ. هُزِئَ بِهِ وَمِنْهُ. وهَزَأَ يَهْزَأُ فِيهِمَا هُزْءاً وهُزُؤاً ومَهْزَأَةً، وتَهَزَّأَ واسْتَهْزَأَ بِهِ: سَخِرَ".[5]

أما في صفة الاستهزاء فيورد الشيخ أقوالاً في معنى الاستهزاء، وهي متقاربة في الدلالة والمعنى، منها أن الاستهزاء هو العقوبة، وأن موجب الاستهزاء أنهم يخادعون الله، والمخادع يكون صاحب فكر ونظر ودهاء يدبر الأمور التي يخدع بها عدوه، ومنهم من يخادع على غير ذلك، وذلك موجب الاستهزاء، وأن الاستهزاء ملزوم فالجهل من لوازم الاستهزاء.[6]

---

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 16، 17.

(2). ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، ج5، ص: 183؛ مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج5، ص: 345.

(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 237.

(4). ينظر: مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج6، ص: 52.

(5). لسان العرب، مرجع سابق، ج1، ص: 183.

(6). ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 52، 127.

ويذكر ابن عرفة رأي المعتزلة بهذه الصفة حيث يقول: " فقدّره المعتزلة بأنه قبيح، وصدور القبح من الله تعالى محال، وقدّره أهل السنة بأن الاستهزاء ملزوم بالجهل لقوله تعالى:﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾(سورة البقرة الآية:67) والجهل على الله تعالى محال، فالاستهزاء في حقه محال".[1]

وفي هذا يقول الزمخشري :"لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى، لأنه متعال عن القبيح".[2]

ك . الفوقية:

لغة: فَوْقُ: نَقِيضُ تَحْتٍ، فوق والفوق وهو العُلُوُّ.[3]

في القرآن الكريم آيات تدل على أن الله تعالى في السماء فوق عباده، من بينها قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾(سورة النحل الآية: 50)، وقوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾(سورة الملك الآية: 16)، وقوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ (سورة الأنعام الآية: 18)، وقوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ (سورة الزخرف الآية: 84)، وهذه الآيات يفسرها ابن عرفة بأن التعدد هنا في الصفة لا في الذات، وأن الفوقية إما إشارة إلى قهره واستيلائه على العباد، أو بمعنى أنه فوق، ما يظن من القهر والغلبة.[4] ويخالف ابن عطية في أن الفوقية هي صفة من الصفات الذاتية معنوية، حيث يقول ابن عطية: "وإن جعل صفة ذات من القدرة والاستيلاء كانت الفوقية معنوية ".[5] فرده ابن عرفة بأن ذلك هو هو في القهر، وأما القاهر فهو صفة لله تعالى واسم من أسمائه، فلا يصح تعلق الفوقية به على أنه حقيقة؛ لأنا إذا قلنا: زيد القائم فوق السطح، فالسطح ظرف له وللقيام.[6]

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 57.
(2). الكشاف، مرجع سابق، ج1، ص: 66.
(3). ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، ج10، ص: 315؛ مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج1، ص: 66.
(4). ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 146؛ ج4، ص: 12.
(5). المحرر الوجيز، مرجع سابق، ج2، ص: 300.
(6). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 163.

المطلب الثالث: رؤية الله عز وجل

إن رؤية الله تعالى حق لأهل الجنّة أثبتها الصحابة والتابعون، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: " أَنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَعَمْ....".(1)

الرؤية في اللغة: الرؤية بالضم: إدراك المرئي، وذلك أضرب بحسب قوى النفس:

الأول: (النظر بالعين) التي هي الحاسة وما يجري مجراها، ومن الأخير قوله تعالى: {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله} ، فإنه مما أجري مجرى الرؤية بالحاسة، فإن الحاسة لا تصح على الله تعالى، وعلى ذلك قوله: {يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم} .

والثاني: بالوهم والتخيل نحو: أرى أن زيدا منطلق.

والثالث: بالتفكر نحو: {إني أرى ما لا ترون} .

والرابع: بالقلب ، أي بالعقل، وعلى ذلك قوله تعالى: {ماكذب الفؤاد ما رأى}، وعلى ذلك قوله: {ولقد رآه نزلة أخرى} .(2)

الرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم يتعدى إلى مفعولين؛ يقال: رأى زيدا عالما ورأى رأيا ورؤية وراءة وقال ابن سيده: الرؤية النظر بالعين والقلب.(3)

ومن بعض العلماء من قال إن الرؤية بالعين فقط، قال الزمخشري: رأيته بعيني رؤية ورأيته في المنام رؤيا، ورأيته رأي العين.(4)

---

(1). أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قَوْلِهِ: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} [سورة النساء: 40] رقم (4581)، ج6، ص: 44.

(2). ينظر: تاج العروس، مرجع سابق، ج38، ص: 102. 103.

(3). لسان العرب، مرجع سابق، ج14، ص: 291.

(4). أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1: 1419هـ. 1998م، ج1، ص: 326.

نجد مما سبق أن الرؤية لفظ مشترك بين عدة معان، وتتحد هذه المعاني بحسب الكلام أو بحسب القرينة المستخدمة إلا أن الأصل في استخدامها هو النظر بالعين.

الرؤية في الاصطلاح:

عرف بعض العلماء الرؤية بما يأتي:

عرفها **التفتازاني** بقوله:" ورؤية الله تعالى بمعنى الانكشاف التام بالبصر، وهو معنى إدراك الشيء كما هو بحاسة البصر".[1]

أما **الجرجاني** فيرى بأنها: "المشاهدة بالبصر حيث كان في الدنيا والآخرة".[2]

وعرفها الغزالي فقال:" الرؤية نوع كشف وعلم إلا أنه أتم وأوضح من العلم".[3]

لقد اختلفت الأقوال والآراء حول مسألة رؤية الله سبحانه وتعالى، فذهبت الفرق في أقوالها بين مثبت للرؤية وبين منكر لها.

اختلفوا في أن الرؤية إدراك وراء العلم أم علم مخصوص، ومن زعم أنه إدراك وراء العلم أم علم مخصوص، ومن زعم أنه إدراك وراء العلم اختلف في اشتراط البنية واتصال الشعاع، ونفي القرب المفرط والبعد المفرط وتوسط الهوى المشف، فشرطها المعتزلة ونفوا رؤية الباري تعالى بالأبصار نفي الاستحالة، والأشعري أثبتها إثبات الجواز على الإطلاق والوجوب بحكم الوعد.[4]

فقد ذهبت المعتزلة إلى نفي الرؤية، وفي هذا يذكر القاضي عبد الجبار:" أن أبا علي الجبائي قال في كتابه (من يكفر ومن لا يكفر) إن إثبات الرؤية لله تعالى على ما يقوله الأشاعرة لا يكون كفراً لأنه لا يؤدي إلى حدوثه ولا إلى حدوث معنى فيه".[5]

---

(1). شرح العقائد النسفية، مرجع سابق، ص: 51.

(2). التعريفات، مرجع سابق، ص: 109.

(3). احياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ج1، ص: 108.

(4). ينظر: نهاية الإقدام في علم الكلام، عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: ألفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة . مصر، ط1: 1430هـ . 2009م ، ص: 347.

(5). شرح الأصول الخمسة، مرجع سابق، ص:275.

وقد وافق ابن عرفة الأشاعرة في جواز رؤية الله تعالى بعدة مواضع في القرآن الكريم، منها ما ورد في الآية الكريمة: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ﴾ (سورة البقرة الآية:55):"وفيه دليل على أن رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة جائزة عقلا لطلبهم ذلك".(1)

وفي قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ ﴾ (سورة التوبة الآية: 105):"قد استدل ابن عرفة على إمكانية رؤيته تعالى بهذه الآية من وجهين:

"رؤية الله لعملهم مجاز، ورؤية الرسول والمؤمنون له حقيقة، قال: وقرره بوجهين:

أحدهما: أن رؤية الله تعالى ليس المراد نفسها؛ وإنما المراد الجزاء على العمل بالثواب الجزيل والعقاب الشديد؛ بخلاف رؤية الرسول فإنه لَا يجازيهم بل يرى أعمالهم فقط، ومنهم من قرره بأن رؤية الله تعالى سابقة متقدمة إذًا فالاستقبال فيها غير حقيقي. بل السين للتحقيق لَا للاستقبال؛ بخلاف رؤية الرسول فإنها حادثة فالاستقبال فيها حقيقة".(2)

ومما يدل على جواز رؤية الله تعالى بالأبصار، إن الله تعالى علق الرؤية على استقرار الجبل بقوله تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ ﴾ (سورة الأعراف الآية: 143) دليلِ على أن الرؤية ممكنة؛ لأن استقرار الجبل في مكان ممكن عقلا، وقد علق عليه (سَوْفَ تَرَانِي)، فدل على مكان الرؤية؛ إذ لَا يصح تعليق المستحيل على الممكن، فلا تقول: "إن جئتني فأنا أجمع بين النقيضين".(3)

ويتضح مما سبق أن ابن عرفة يوافق أهل السنة بجواز رؤية الله تعالى نقلاً وعقلاً.

---

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 115.

(2). المصدر نفسه، ج2، ص: 327.

(3). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 251.

المبحث الرابع: عرض الإمام ابن عرفة لأسماء الله الحسنى

من أشرف مباحث علم أصول الدين المباحث المتعلقة بأسمائه سبحانه وتعالى، و هي ما سَمَّى بها نفسه في كتابه العزيز، وما جاء بها نبيّهﷺ في أحاديثه النبويّة الشريفة؛ حيث لا تخلو آيات القرآن الكريم من ذكر اسم من أسمائه الحسنى، قال الله عز وجل :﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ (سورة الأعراف الآية: 180)، وقال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ﴾(سورة الحج الآية : 36)، وقال: ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾(سورة طه الآية: 08)، قال الله تعالى جل ثناؤه:﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (سورة الإسراء الآية: 110)، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه الحسنى، والتفقه في فهم معانيها، والتخلّق بها.

المطلب الأول: الاسم والمسمّى.

أولاً . تعريف أسماء الله الحسنى:

تعريف الاسم:

الاسم مشتق من سَمَا سُمُوًّا: ارْتَفَعَ، به: أعْلاهُ،كأسْماهُ، وأسْماهُ إيَّاهُ وبه، وسَمَاهُ إيَّاهُ، وأُسْمُ الشيءِ، بالكسر والضم، وسِمُهُ وسُمَاهُ، جمع أسماء وأسماوات بمعنى: عَلامَتُه.[1]

أما اصطلاحاً:

قد اختلفت آراء الفرق الاسلامية حول معنى الاسم والمسمّى، فقد كثر الخائضون في الاسم والمسمَّى وتشعبت بهم الطرق وزاغ عن الحق أكثر الفرق، فمن قائل إن الاسم هو المسمَّى ولكنه غير التسمية، ومن قائل إن الاسم غير المسمَّى ولكنه هو التسمية، ومن ثالث معروف بالحذق في صناعة الجدل والكلام يزعم أن الاسم قد يكون هو المسمَّى كقولنا لله تعالى إنه ذات وموجود، وقد يكون غير المسمَّى كقولنا إنه خالق ورازق، فإنهما يدلان على الخلق والرزق وهما غيره، وقد يكون بحيث لا يقال إنه المسمَّى ولا هو غيره كقولنا إنه عالم وقادر، فإنهما يدلان على

(1) . ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، ج14، ص: 401؛ القاموس المحيط، مرجع سابق، ج1، ص: 1296.

العلم والقدرة، وصفات الله لا يقال إنها هي الله تعالى ولا إنها غيره والحق أن الاسم غير التسمية، وغير المسمَّى وأن هذه ثلاثة أسماء متباينة غير مترادفة.(1)

وقد لخص الرازي شرح الغزالي في مسألة الاسم والمسمّى بقوله :" المشهور من قول أصحابنا رحمهم الله تعالى أن للاسم نفس المسمَّى وغير التسمية، وقالت المعتزلة غير التسمية وغير المسمَّى، واختيار الشيخ الغزالي رضي الله عنه أن الاسم والتسمية أمور ثلاث متباينة وهو الحق عندي".(2)

ويرى الجويني أن كل اسم هو المسمى بعينه، فالتسمية ترجع إلى لفظ المسمى الدال على الاسم، والاسم لا يرجع إلى لفظه، بل هو مدلول التسمية.(3)

أما الجهمية فيقولون: إن أسماء الله غير الله، وما كان غيره فهو مخلوق، وهذا باطل لأن أسماء الله من كلامه، وكلامه غير مخلوق، بل هو المتكلم به، وهو المسمي لنفسه بما فيه من الأسماء.(4)

وأما موقف المعتزلة من هذه المسألة فيلخصها الزمخشري:" وهي أن المسميات لما كانت ألفاظا كأساميها،...اتجه لهم طريق إلى أن يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها، وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها". (5)

ويقول أيضاً في موضع آخر: أي أسماء المسميات فحذف المضاف إليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الأسماء، لأن الاسم لا بد له من مسمى".(6)

(1) . المقصد الأسنى، مرجع سابق، ص:24.

(2) . لوامع البينات شرح أسماء الله والصفات، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، المطبعة الشرفية، مصر، 1323هـ، ص:3.

(3). الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد إمام الحرمين الجويني، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق على وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة – مصر، ط1: 1430هـ - 2009م، ص: 124، 125.

(4) . مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ج6، ص:186 .

(5) . تفسير الزمخشري، مرجع سابق، ج1، ص: 19 . 20.

(6) . المرجع نفسه، ج1، ص: 125 . 126.

أما ابن تيمية فيرى أن الاسم هو المسمّى حيث يقول:" لو اقتصروا على أن أسماء الشيء إذا ذكرت في الكلام فالمراد بها المسميات - كما ذكروه في قوله: {يا يحيى}، ونحو ذلك لكان ذلك معنى واضحا لا ينازعه فيه من فهمه، لكن لم يقتصروا على ذلك؛ ولهذا أنكر قولهم جمهور الناس من أهل السنة وغيرهم لما في قولهم من الأمور الباطلة مثل دعواهم أن لفظ اسم الذي هو " اس م " معناه ذات الشيء ونفسه، وأن الأسماء - التي هي الأسماء - مثل زيد وعمرو هي التسميات، ليست هي أسماء المسميات، وكلاهما باطل مخالف لما يعلمه جميع الناس من جميع الأمم ولما يقولونه.

فإنهم يقولون: إن زيدا وعمرا ونحو ذلك هي أسماء الناس، والتسمية هي جعل الشيء اسما لغيره، هي مصدر سميته تسمية إذا جعلت له اسما. و" الاسم " هو القول الدال على المسمَّى، ليس الاسم الذي هو لفظ اسم هو المسمى؛ بل قد يراد به المسمى؛ لأنه حكم عليه ودليل عليه. وأيضا: فهم تكلفوا هذا التكليف؛ ليقولوا إن اسم الله غير مخلوق، ومرادهم أن الله غير مخلوق، وهذا مما لا تنازع فيه الجهمية والمعتزلة؛ فإن أولئك ما قالوا الأسماء مخلوقة، إلا لما قال هؤلاء: هي التسميات فوافقوا الجهمية والمعتزلة في المعنى ووافقوا أهل السنة في اللفظ. ولكن أرادوا به ما لم يسبقهم أحد إلى القول به من أن لفظ اسم وهو " ألف سين ميم " معناه إذا أطلق هو الذات المسماة؛ بل معنى هذا اللفظ هي الأقوال التي هي أسماء الأشياء مثل: زيد وعمرو وعالم وجاهل. فلفظ الاسم لا يدل على أن هذه الأسماء هي مسماه.[1]

أما موقف ابن عرفة من هذه المسألة فقد اهتم بها في تفسيره وفصل الكلام فيها أكثر من موضع، فحين تحديده لمعنى الاسم والمسمَّى يشير إلى قول ابن الخطيب: لو كان الاسم غير المسمَّى للزم عليه حدوث أسماء الله تعالى، لأنها لم تكن في الأزل، لأن المراد بالاسم على هذا

(1) مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ج6، ص: 191. 192.

اللفظ، الاسم يطلق ويراد به المعنى المدلول عليه، كقوله تعالى: "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها " أي الصفات الحسنى. [1]

والاسم عنده غير المسمّى، يقول عند تفسير الآية الكريمة: ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ ﴾ (سورة البقرة الآية: 224) :"في الآية عندي دليل على أنّ الاسم غير المسمّى؛ لأن الجعل لا يتعلق بالذات الكريمة، وإنّما يتعلق بالألفاظ الدّالة عليه. وأيضاً لأن الحلف إنّما هو بالألفاظ لا بالذات".[2]

وقال ابن عرفة في موضع آخر: "منهم من قال: تارة يراد بالاسم المسمى مثل: زيد عاقل، وتارة يراد به التسمية: كزيد (وزنه فعل)، ومنهم من قال: يراد به المسمى: كزيد قادر، إذا أردت الذات. وتارة يراد به الصفة، فقادر موضوع لأن يولد به القدرة، وهو صفة من صفات الذات".[3]

ويعتمد ابن عرفة في الدلالة على ذلك على اللغة حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ (سورة الأنعام الآية: 121)
قال ابن عرفة: "الآية دليل على أن الاسم غير المسمّى؛ لأنه ما المراد هنا إلا الذكر اللفظي".[4]

(1). ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 96.
(2). المصدر نفسه، ج1، ص: 271- 272.
(3). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 30.
(4). المصدر نفسه، ج2، ص: 187.

المطلب الثاني: التوقف في أسماء الله.

لقد ذهب المتكلمون ومن بينهم البيهقي أن باب بيان أن لله جل ثناؤه أسماء أخرى وليس في قول النبي ﷺ: «لله تسعة وتسعون اسما» نفي غيرها، وإنما وقع التخصيص بذكرها لأنها أشهر الأسماء وأبينها معاني، وفيها ورد الخبر أن من أحصاها دخل الجنة، وفي رواية سفيان «من حفظها» وذلك يدل على أن المراد بقوله: «من أحصاها» من عدها، وقيل: معناه من أطاقها بحسن المراعاة لها، والمحافظة على حدودها في معاملة الرب بها، وقيل: معناه من عرفها وعقل معانيها، وآمن بها". [1]

وقد اتفق السلف الصالح على أنه يجب الإيمان بجميع أسماء الله الحسنى، وما دلت عليه من الصفات، وما ينشأ عنها من الأفعال، فمثلاً: اسم الله القدير يجب الإيمان بأنه سبحانه على كل شيء قدير، والإيمان بكمال قدرته، والإيمان بأن قدرته نشأت عنها جميع الكائنات. [2]

فمنها ما نص عليه في كتابه العزيز وهو يُنيف على المائة والخمسين من غير المكرّر، ومنها ما ثبت في الأحاديث. فمن عرف صحة الحديث المفيد لذلك وجب عليه الإيمان وما نزل عن هذه الرتبة أو كان مختلفا في صحته لم يصح إطلاقه عليه تعالى فإن الله أجلُّ من أن يسمىّ باسم لم يتحقق أنه تسمى به. [3]

وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾(سورة الإسراء الآية: 36)، ولأن تسميته تعالى بما لم يُسَمِّ به نفسه أو إنكار ما سمى

---

(1). الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، ط1: 1413هـ – 1993 م، ج1، ص: 27.

(2). العقيدة في الله، مرجع سابق، ص: 213.

(3). ينظر: إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة، محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، ط1: 1420هـ ـ 1999م، ص: 70، 71.

به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك، والاقتصار على ما جاء به النص.[1]

1. مسألة حصر الأسماء عند الإمام ابن عرفة:

يرى ابن عرفة أن لله تعالى أسماء حسنى، وهذا ليعرفوه و يعبدوه بها، وهذا في معرض تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ (سورة الأعراف الآية: 180)، يقول: "المراد إما المسميات أو التسميات، ... والفاء في قوله تعالى :" **فادعوه بها** " إما للتعدية، والمراد فتوسلوا إليه بها".[2]

ويذهب ابن عرفة إلى أنه لا يمكن حصر أسماء الله تعالى، لأن أسماءه توقيفية[3]، ويبين ابن عرفة رأيه بهذه المسألة حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾(سورة الأعراف الآية:180):"حديث الترمذي تعيين الأسماء الحسنى حسن لكن تلقته الأمة بالقَبول فكان كالتصحيح له، وليس في التصحيح تعيينها، وإنما قال في الصحيح: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ».[4]من غير تعيين، لكن يذكر المتكلمون أن من أسمائه واجبَ الوجود، ولم يرد ذلك في الحديث وجوزوا إطلاقه".[5]

فالحديث الوارد في الحصر، فإنه يشتمل على قضية واحدة، وهو كالملك الذي له ألف عبد، مثلاً: فيقول القائل إن للملك تسعة وتسعين عبداً من استظهر بهم لم يقاومه الأعداد، فيكون

---

(1). القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة . السعودية، ط3: 1421هـ . 2001م، ص: 13.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 267.

(3). المصدر نفسه، ج3، ص: 268.

(4). أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشروط، بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ الِاشْتِرَاطِ وَالثُّنْيَا فِي الإِقْرَارِ، وَالشُّرُوطِ الَّتِي يَتَعَارَفُهَا النَّاسُ بَيْنَهُمْ، رقم(2736)، 3/ 198.

(5). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص:267.

التخصيص لأجل حصول الاستظهار بهم، إما لمزيد قوتهم وإما لكفاية ذلك العدد في دفع الأعداد من غير حاجة إلى زيادة، لا لاختصاص الوجود بهم .

ويحتمل الأسامي تكون غير زائدة على هذا العدد، ويكون لفظ الخبر مشتملا على قضيتين: إحداهما أن لله تعالى تسعة وتسعين اسما، والثاني: أن من أحصاها دخل الجنة.(1)

2. شرحه لبعض أسماء الله الحسنى:

إن تدبر الأسماء الحسنى لله عز وجل علم لا ينتهي ومهما ازداد العبد منه يطلب المزيد، فبواسطتها نتعرف على ربنا، كما أراد هو سبحانه وتعالى، أسماء فيها من الجمال والكمال والعظمة والجلال ما يليق برب العزة سبحانه وتعالى، كل اسم منها يحمل صفة ومعنى، فهو سبحانه (القادر والقدير والمقتدر)، و(المالك والملك والمليك)، و(العلي والأعلى والمتعال)، أسماء تشابهت بالأحرف تميّزت بالمعنى.(2)

وهذا ما يؤكده ابن تيمية بقوله: "وكذلك من عرف أسماء الله ومعانيها فآمن بها؛ كان إيمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الأسماء بل آمن بها إيمانا مجملا أو عرف بعضها؛ وكلما ازداد الإنسان معرفة بأسماء الله وصفاته وآياته كان إيمانه به أكمل".(3)

ولأجل تحقيق هذه الغاية الشريفة تطرق ابن عرفة في تفسيره لبيان معاني بعض أسماء الله الحسنى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: وذلك من خلال تفسيره للآية الكريمة من سورة الحديد ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ (سورة الحديد الآية:3): تقرر في المعقول أن الأولية على ثلاثة أقسام: إما بالزمان، أو بالوجود، أو بالذات، فبالزمان كالأب مع الابن، وبالوجود كالصانع بالنسبة لمصنوعه وبالذات كحركة الإصبع والخاتم في زمان واحد؛ إذ

(1). ينظر: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، مرجع سابق، ص: 167، 168.
(2). كلمات في ما اقترن من الأسماء الحسنى في كتاب الله، أمير علي الحداد، الكويت، ط1: 1435هـ. 2014م، ص:4.
(3). مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ج7، ص: 233. 234.

لو كان أحدهما قبل الآخر، للزم تداخل الأجسام، وهو دخول الإصبع في جسم الخاتم، فدل على أن أولية الإصبع على الخاتم بالذات، والأولية هنا في الآية إما بالذات، أو بالوجود فقط".(1)

أما معنى اسم الله **الظاهر والباطن**، فيقول ابن عرفة:" الظاهر بما نصب من الأدلة الدالة على وجوده، وكمال صفاته، الباطن: فلا يدرك أحد كُنْهَ صفاته".(2)

والذي نفهمه من كلامه أن الأولية المثبتة هي وجوده سبحانه وتعالى كأن يوجد الصانع ثم المصنوع، مثل اليد والخاتم.

ويفسر كذلك اسم الله **القدوس** من خلال وروده في الآية الكريمة:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (سورة الحشر الآية:23):" قال: الزمخشري: هو البليغ في النزاهة عما يستقبح و" **ٱلسَّلَٰمُ** "مبالغة في كونه سليما من النقائص"، وكذلك قوله راجع إلى سلامة ذاته الكريمة من النقائص، ٱلْقُدُّوسُ" راجع إلى تنزيهه الخارج له عن النقائص، أو إلى تنزيهه نفسه كما يقال: حمد نفسه بنفسه". (3)

وأما معنى اسم "**المهيمن**" يقول ابن عرفة: "قال الحسن البصري: المهيمن المصدق، فالله تعالى مصدق لأنبيائه بكلامه أو بإظهار المعجزات على أيديهم، القول السادس، قال الغزالي: المهيمن اسم لموصوف بثلاثة أمور: العلم، والقدرة الثابتة على تحصيل مصالح الشيء، والمواطأة على تحصيل تلك المصالح، فالجامع هنه الصفات اسم المهيمن".(4)

وقد أشار إليه ابن عرفة إلى أن من أسمائه عز وجل العزيز، حيث يقول:" وأما اسم (**العزيز**)، ففي اشتقاقه وجوه:

(1) . تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 152.

(2). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 152.

(3) . المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 204.

(4). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 207.

الأول: أنه الذي لا مثل له، الفخر: فيرجع إلى التنزيه.

الثاني: الغالب الذي لا يغلب ومنه ﴿ وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ ﴾ (سورة ص الآية:23).

الثالث: الشديد فيرجعان إلى صفات الذات، وهي القدرة.

الرابع: أنه بمعنى المعز كالأليم بمعنى المؤلم، فهو صفة فعل.

الخامس: أنه عزيز عند أوفيائه، أي لا يؤثرون على طاعته شيئا، فهو فعيل بمعنى مفعول مثل: كف خضيب، ورجل فضيل.

السادس: أنه بمعنى الإضافة أي عزيز عليه أولياؤه، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ (سورة التوبة الآية: 128).

السابع: العزيز الممتنع الذي لا يدرك ولا ينال".[1]

وإن قيل: ما معنى قوله تعالى: (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ)، فجعل العزة مربوبة، وهي من صفات الله تعالى، قال: أجاب عنه ابن فورك، فقال: ليس معناه تلك العزة التي هي صفته، وإنما معناه أنه عز عما يصفونه إنكارا على من وصفه من المشركين بالولد، أي سبحان ربك الذي عز عما يصفونه، ابن العربي: هذا لَا يتجه من السؤال، وإنما الجواب أن سائر الصفات قديمها ومحدثها كلها تضاف إلى الله تعالى، والقديمة تضاف إليه تحقيقا ووصفا، والمحدثة تضاف تقديراً وخلقا وملكا، فالعلم له صفة وله خلق، والعزة كذلك أعطى منها العبد المحدث، فأما المتصف بالعزة القديمة الخالق المالك للمحدثة، قال تعالى (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا)، أي القديمة والمخلوقة المملوكة.[2]

أما معنى اسم **"الجبار"** فقد اعتمد أيضاً على تفسير الزمخشري المعتزلي والذي يقول:" القاهر الذي جبر خلقه على ما أراد، وهذا ترقيق على مذهبه كأنه يقول: إن العبد مستقل بفعله فتجيء هنا أن أفعاله الاختيارية من خلقه وقدرته، وأفعاله الجبرية خلق الله تعالى، كما يتصور

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 207 . 208.

(2) - المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 208.

دخول الإنسان بيتا اختياريا، ودخوله بيتا مكرها".(1) وقيل: العالي الذي لَا ينال، وقيل: المصلح للأمور، وقيل: من جبره على كذا، أي أكرم عليه، زاد ابن العربي: وقيل: إنه بمعنى المتكبر، قال: فإن قيل: فإذا فسرتموه بأنه يجبر الخلق على مراده فأنتم تجبروه وأنتم قد نفيتم ذلك عن أنفسكم، فأجاب بوجهين:

الأول: أنه يخلق في العباد ما يكرهون، وهم لَا يقدرون على دفعه كالحركات الضرورية ولا خلاف.

الثاني: أنه إذا أراد شيئا كان، وإذا أراد العبد شيئا لَا يرده هو تعالى لم يكن يجبرهم على مراده، كما نهى آدم عليه السلام عن أكل الشجرة، وأراده فوافقه".(2)

والمفهوم من كلام ابن عرفة أن مجالس تفسيره فيها جو من المناقشة والجدل، وهو يوجه نقداً للزمخشري بكونه ترقيقا على مذهب الاعتزال القائل بالحرية الإنسانية في أفعاله فهي اختيارية، عكس الجبرية الذين يسلبون حرية الإرادة الإنسانية.

وعند تفسيره لمعنى "**المتكبر**" يقول ابن عرفة:" أي البليغ الكبرياء والعظمة، فهما تصور في حقه صفة علية، فيعتقد أنه متصف بأكبر منها، وأعلى فهم إذا تصورت ما هو أعلى منها، تعتقد أنه متصف بأكبر من ذلك أيضا، ولا تزال تترقى في صفات العلو والكبرياء حتى تنتهي ما يعجز عنك إدراكه فتقف."(3)

ويواصل تفسيره للأسماء عند الآية 24 من سورة الحشر قوله تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ﴾ يقول ابن عرفة: "الزمخشري: الخالق المقدر لما يوجده،

(1) - تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 204.

(2). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 208.

(3). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص:204. 205.

والبارئ ليميز بعضهم من بعض بالأشكال المختلفة والمصور الممثل، انتهى، أي عليها مماثلة الصور، بحيث إن الناظر إليها يظن أنها متماثلة وهي مختلفة".[1]

ومن أسمائه الحسنى التي ذكرها ابن عرفة بتفسيره العظيم في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾ (سورة البقرة الآية:255) :" قال ابن عطيّة: أي عظيم القدر والخطر وليس من عظيم الأجرام، وحكى الطبّري عن قوم أن العظيم بمعنى المعظم كقولهم: العتيق بمعنى المعتق، وأنكره آخرون وقالوا: لو كان بمعنى معظم لوجب أن لا يكون عظيما قبل أن يخلق الخلق وبعد فنائهم إذ لا معظم له حينئذ،[2] وهذا الإنكار غير صحيح".[3]

المطلب الثالث: مناسبة أسماء الله الحسنى

إن القارئ لكلام الله تعالى يجد أن آيات القرآن الكريم تنتهي غالباً بأسماء الله الحسنى، والمتأمل في هذه الأسماء الحسنى في خواتيم الآيات يجدها مقترنة اثنين اثنين مثلاً: العزيز الحكيم، العفو الرحيم، السميع العليم،.....

فقد ختم الله الآيات بأسماء الله الحسنى ليدل على أن الحكم المذكور، له تعلق بذلك الاسم الكريم.

وهذه القاعدة لطيفة نافعة، ويمكن تتبعها في جميع الآيات المختومة بها، وتجدها في غاية المناسبة، بمعنى أنها تدلك على أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه وصفاته ومرتبط بها. وهذا باب عظيم في معرفة الله ومعرفة أحكامه، وهو من أجل المعارف وأشرف العلوم. فمثلاً تجد آية الرحمة مختومةً بصفات الرحمة، وآيات العقوبة والعذاب مختومة بأسماء العزة والقدرة والحكمة والعلم والقهر.

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 210.

(2) . المحرر الوجيز، مرجع سابق، ج1، ص: 342.

(3) . تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 312.

ولا بأس هنا أن نسوق بعض الآيات في هذا، ونشير إلى مناسبتها بحسب ما وصل إليه علمنا القاصر وعبارتنا الضعيفة، ولو طالت الأمثلة هنا لأنها من أهم المهمات، ولا تكاد تجدها في كتب التفسير إلا يسيراً منها.[1]

ومن بين هؤلاء المفسرين القليلين الذين تعرضوا لبيان مناسبة أسماء الله الحسنى نذكر المفسر أبا السعود يقول: "﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (سورة النساء الآية:43) تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فإن من عادته المستمرة أن يعفو عن الخاطئين ويغفر للمذنبين لا بد أن يكون ميسرا لا معسرا، وقيل هو كناية عنهما فإن الترفيه والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران".[2]

وقد تعرض ابن عرفة إلى بيان وجه المناسبة في الأسماء الحسنى، وذلك في العديد من الآيات القرآنية، نذكر منها ما يلي:

1. رؤوف رحيم:

وقد تعرض إلى بيان مناسبة هاتين الاسمين، وبيّن الفرق بين الرحمة والرأفة وذلك عند قوله عز وجل:﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٢٠﴾ (سورة النور الآية:20) :"الرحمة أخص من الرأفة، فإذا أطعمت فقيرين أحدهما مشرف للهلاك، والآخر معه بعض رمق، يصدق عليك أنك رحمت الأول ورأفت على الثاني".[3]

2. العزيز الرحيم:

وأيضا في قوله . تبارك وتعالى . :﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ (سورة يس الآية: 05). يقول: "وجه مناسبة وصف العزة والرحمة أن العزيز هو الذي لا يمانع، فدلت الآية على أنه محتوم عليهم

(1). ينظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن، أبو عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، مكتبة الرشد، الرياض . السعودية، ط1: 1420 هـ - 1999م، ص: 53.

(2). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ص:181.

(3). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 227.

بالشفاء لا يصْرِفُه عنهم صارِفٌ، وما أراد الله بهم فلا بد لهم منه، وأما الرحيم فوجه مناسبته أن تخصيص هذه الرسالة بالنبي ﷺ دون غيره رحمة به وبأمته".[1]

3. العزيز الحكيم:

وقد جاءت في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ (سورة البقرة الآية: 129): "لمْ يَقُلْ: الغفور الرحيم لأن العزيز هو الذي ينفذ مراده ولا ينفّذ فيه مراد (أحد) والحكيم هو الذي تضمنه قوله تعالى: {الله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} وقوله {وكانوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا}".[2]

ومثال آخر بتفسير ابن عرفة ما جاء في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٢﴾ (سورة آل عمران الآية: 62) :"مناسبة هاتين الصفتين أنه لما تضمَّن الكلام السابق توحيد الله وما اتصف به من صفات الكمال، فيقول القائل: فلِمَ وجدنا بعض النَّاس مشركين كفّاراً عبدوا عيسى وعزيراً؟ فقال: لاتصافه بالعزة، والعزيز ممتنع لَا يصل إلى إدراك عظمته وجلاله كل إنسان، وهو أيضا حكيم يضع الأشياء في محلها، يهدي بعض النَّاس إلى الإيمان به، وامتنع عن الآخرين وحجبهم عن إدراك وجه الصواب وأضلهم فكفروا".[3]

وقد اقترن في الآية 1 من الصف وصف العزيز بوصف الحكيم قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١﴾ (سورة الصف الآية: 01):" ابن عطية: (الْعَزِيزُ) في سلطانه وقدرته (الحكيم) في أفعاله وتدبيره، الحكمة راجعة للعلم بمعنى وضعه الأشياء في محلها، وإن قلت: المراد بها الانتقال يشتمل صفة العلم والإرادة".[4]

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 338؛ درر المعرفة، مرجع سابق، ج1، ص: 347.
(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 138.
(3) . المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 367. 368.
(4) . المصدر نفسه، ج4، ص:221.

وأيضاً ما جاء عند قوله تعالى:﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾(سورة الحديد الآية:1)

العزة: الامتناع، وهو قسمان:

. إما يكون الشيء قليلا في ذاته لَا يمكن أن يكبر كثيراً.

. وإما بكونه لَا يقدر أحد على الوصول إليه.

والتسبيح يقتضي اتصاف الله تعالى بصفات الكمال وبعده عن النقائص، فهو ممتنع عن النقائص مرتفع عن درجاتها، فناسب العزة". (1)

4. العزيز الحميد:

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾(سورة سبأ الآية:6) :"وجه مناسبة القراءة هنا أن (الْعَزِيزِ) هو الذي لَا يمانَع، فإما أن يراد أن كلامه لا يقدر أحد على ممانعته، وإما أن يكون إشارة إلى أنه لَا يُهتدى إلى المطالب العلية الخفية الممتنعة عن الإدراك إلا به. و(الْحَمِيدِ) إشارة إلى حمده هذه النعمة العظيمة التي أنعم بها، وهو القرآن العظيم الهادي إلى طريق الحق". (2)

5. عزيز غفور:

وقد تعرض ابن عرفة إلى بيان وجه المناسبة بين هاذين الاسمين عزيز، غفور قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (سورة فاطر الآية: 28). يقول: "وجه مناسبة هاذين الاسمين أن العزة هي الامتناع والقلة، تقول: " هذا الشيء عزيز، أي: قليل ممتنع لا يصل إليه إلا الأفذاذ، وكذلك خشية الله تعالى قليلة ممتنعة في أعلى المراتب لا يصل إليها إلا العلماء؛ وقوله غفور إشارة إلى أن الواصلين إليها هم العلماء.

(1) . تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 152.

(2) . المصدر نفسه، ج3، ص: 315.

وقوله ﴿**غفور**﴾ إشارة إلى أن الواصلين إليها من العلماء لم يسلموا من تقصير اتصفوا به ونقص في أعمالهم، فوصولهم إليها إنما هو بمغفرة الله تعالى لهم ذلك وعَفْوِه عنهم".(1)

من خلال كلام ابن عرفة حول مناسبة الأسماء الحسنى نخلص إلى أن خواتيم الآيات كلها مقترنة اثنين اثنين، وفي هذا الشأن يقول ابن القيّم: "صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو الغني الحميد العفو القدير الحميد المجيد وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن".(2)

ويقول أيضاً:" فله بذلك جميع أقسام الكمال: كمال من هذا الاسم بمفرده، وكمال من الآخر بمفرده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر.... وفي هذا أظهر الدلالة على أن أسماء الرب تعالى مشتقة من أوصاف ومعان قامت به، وأن كل اسم يناسب ما ذكر معه، واقترن به، من فعله وأمره".(3) لذا فإن العلاقة بين الأسماء الحسنى في خواتيم الآيات وبين الآيات تحتاج إلى تفحص وتأمل وتدبر لكل باحث متخصص في هذا المجال وهو مبحث يحتاج إلى كثير من البحوث والدراسات.

والذي نستخلصه مما سبق أن ابن عرفة يذهب مذهب الأشاعرة كالجويني في أن الاسم هو نفسه المسمَّى، وأن كل اسم هو المسمَّى بعينه، إضافة إلى أنه يوافق مذهب السلف في مسألة تحديد أسماء الله تبارك وتعالى، أي أنها توقيفية .

ومن خلال عرض مسألة الصفات والأسماء عند ابن عرفة نلاحظ أنه قد ركز عليها كثيراً، وذلك لأنه عرضها من خلال تفسيره القرآن الكريم، ولا تكاد آية تخلو من اسم أو صفة له . سبحانه وتعالى . هذا إلى جانب تأكيده بأنها تنزه الله عز وجل عن كل نقص أو عيب من كل

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 334.

(2). بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان، ج1، ص: 161.

(3). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان، ط3: 1416 هـ - 1996م، ج1، ص: 58 .60.

وجه، يقول :"يقتضي اتصاف الله بصفات الكمال وبعده عن النقائص، فهو ممتنع عن النقائص، مرتفعٌ عن درجاتها".[1]

ويمكننا صياغة ما استنتجناه فيما يلي:

. لقد اعتنى الإمام ابن عرفة بالحديث عن مسألة الوجود بصفة عامة بتفصيل أكبر من تعرضه لمسألة الوجود الإلهي، حيث أنه لم يتعرض إلى تعريفه وبيان معناه، وهذا الذي وقفنا عنده في تفسيره.

. ابن عرفة عند بيانه لأقسام الوجود اعتمد كثيرا على طريقة الفلاسفة، وهذا ما أدى إلى صعوبة وعدم وضوح شرحه للآيات، دون أن ننسى ميله وتأثره بأهل الكلام القدامى خاصة الرازي، الباقلاني، الجويني الذين كثيرا ما يستشهد بآرائهم في المسائل الاعتقادية، يأتي بأقوالهم ثم يناقشها ويفندها عن طريق أسلوب طرح الأسئلة والجواب عليها مع تصويب الخطأ، وهذا ما يجعل منه متكلما متمكنا، وهو الذي أبعده عن المنهج القرآني الذي يتميز بالبساطة والسهولة والوضوح أثناء حديثه عن أركان العقيدة.

. في الأدلة التي يسوقها ابن عرفة في إثبات وجود الله تعالى يتجرد كليا من المنهج القرآني، ويعرضها وفق المنهج الكلامي والذي يعتمد على العقل بالدرجة الأولى، فالملاحظ من تفسير ابن عرفة هو عرض أدلة الوجود عرضاً معقداً من غير تبسيط ولا تسهيل .

. قد سار الإمام ابن عرفة على خطى الأشاعرة في إثبات وحدانية الله مستخدما دليل التمانع .

. نستنتج كذلك أن ابن عرفة بمجالس تفسيره يقوم بعرض المسائل الموجودة بالموضوع المراد البحث عنه حتى يترك طلبته يفكرون ويسألون ويبحثون عن الإجابات، وهذا دليل قوي على قدرة ورغبة الشيخ في تكوين طلبته تكوينا بجعلهم مستقلين بآرائهم وأفكارهم.

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 151؛ درر المعرفة، مرجع سابق، ج1، ص: 347.

وإذا كان الإمام ابن عرفة قد تعمق في بيان ماهية الوجود الإلهي – نوعا ما- وصفاته وأسمائه الحسنى، فإنه كذلك تطرق بمعرض تفسيره للآيات القرآنية إلى بيان حقيقة النبوة والأنبياء عليهم السلام.

الفصل الرابع:

درس النبوات في تفسير ابن عرفة

المبحث الأول: حقيقة النبوة

المبحث الثاني: حقيقة العصمة عند ابن عرفة

المبحث الثالث: موقفه من المعجزة والكرامة

المبحث الرابع: موقفه من التفاضل بين الأنبياء

تمهيد:

لقد خلق الله تعالى الخَلق من أجل توحيده وعبادته، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (سورة الذاريات الآية: 56)، والإنسان بطبعه يسعى دوماً لمعرفة الهدف من خلقه ووظيفته في الحياة؛ فالله سبحانه وتعالى لم يخلق الناس عبثاً، وإنما أَرْسَلَ إليهم الرُّسُلَ، وبعث إليهم الأنبياء وأرسل معهم الكتب، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (سورة الأنبياء الآية: 25)

فالنبوة والرسالة تشريف واختيار ربانيّ، فقد اختار الله تعالى الأنبياء والرسل وميّزهم عن بقية البشر، وحلاَّهم بالأخلاق الكريمة والصفات الحميدة، وجعلهم مثلاً للاقتداء والهداية.

فهم جميعاً . عليهم السلام . صفوة الخلق وأئمة الهدى، لذلك فهم أجدر البشر بحمل رسالات رب العالمين ، وكدليل على صدق نبوتهم ورسالتهم، أيّدهم الله تعالى بالبيّنات والبراهين الساطعات والمعجزات الواضحات الدليل الواضح على أنهم رسله وأنبيائه، ومن هذه المعجزات نذكر المعجزة الخالدة القرآن العظيم، والذي اختص بها الله سبحانه وتعالى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ. وهو ما سيتناوله هذا الفصل من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: حقيقة النبوة.

المبحث الثاني: حقيقة العصمة عند ابن عرفة.

المبحث الثالث: موقفه من المعجزة والكرامة.

المبحث الرابع: موقفه من التفاضل بين الأنبياء.

المبحث الأول: حقيقة النبوة

لاشك أن رحمة الله تعالى وعدله بالبشر اقتضت أن لا يؤاخذهم ولا يحاسبهم، وألا يعذبهم إلا بعد أن يقيم الحجة عليهم، وذلك بإرسال الرسل والأنبياء ـ عليهم السلام ـ ليرشد الناس جميعاً إلى طريق النجاة والفلاح، قال تعالى:﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (سورة النساء الآية: 165).

وقد قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب: **الأول** كان عن معنى النبي والرسول، وعن الفرق بينهما؟ أما **المطلب الثاني** فتعرضت فيه للنبوة هل هي منحة أم مكتسبة؟ أما **المطلب الثالث** فكان عن حكم إرسال الرسل.

المطلب الأول: تعريف النبيّ والرسول والفرق بينهما

أولا- تعريف النبيّ والرسول:

أ. لغة: سنتناول تعريف النبوة من الناحية اللغوية ثم نستنتج مدلولها اللغوي، وجاء تعريف النبوة في المعاجم اللغوية بشكلين مهموز وغير مهموز، وهي كالتالي:

النبيء:

مشتق من النَّبَإ وهو: الخبر، تقول نَبَأ ونَبَّأ، أي: أخبر، كما في قوله تعالى:﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (سورة النبأ الآية:1. 2)، ومنه أخذ النبيء لأنه أنبأ عن الله تعالى، وَالْمُنْبِئُ: الْمُخْبِرُ، والنَبِيءُ: الطَّرِيقُ الواضِحُ وجمع النبيِّ نُبَآءُ، و أنبياء، واستنبأ النبأ: بحث عنه. وتنبأ الرجل: ادعى النبوءة. [1]

النبيّ:

إن أُخِذَ مِنَ النَّبْوةِ والنَّباوةِ، وَهِيَ الِارْتِفَاعُ عَنِ الأَرض، أَي إِنه أَشْرَف عَلَى سَائِرِ الخَلْق، فأَصله غَيْرُ الْهَمْزِ، وَقِيلَ: النَّبِيُّ مُشْتَقٌّ مِنَ النَّبَاوةِ، وَهِيَ الشيءُ المرْتَفِعُ.[2]

فالنبيّ هو من أنبأ عن الله، فترك همزه. قال: وإن أخذ من النبوة والنباوة، وهي الارتفاع عن الأرض، أي إنه أشرف على سائر الخلق، فأصله غير الهمز. وقيل: النبي مشتق من النباوة، وهي الشيء المرتفع.

النبيُّ بغير همْز، وقال بعضُ العلماء: هو من النَّبْوَة، أي: الرِّفعة، وسمّي نَبِيّاً لرِفْعة محلِّه عن سائر الناس المدلول عليه. فالنَّبِيُّ بغير الهمز أبلغُ من النَّبِيء بالهمْز، لأنه ليس كلّ مُنَبَّإ رفيعَ القَدْر والمحلِّ.

(1) . ينظر:الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار للملايين، بيروت . لبنان، ط4: 1407هـ . 1987م، ج1، ص: 74، 75؛ والمفردات، أبو القاسم الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق . سوريا، ط1: 1412هـ، ص: 789؛ ولسان العرب، مرجع سابق، ج1، ص: 163، 164؛ ومقاييس اللغة، مرجع سابق، ج5، ص: 385.

(2). لسان العرب، مرجع سابق، ج1، ص: 163.

والنَّبْوَة والنَّبَاوَة: الارتفاع. والنُّبُوَّةُ: سِفَارَةٌ بين الله وبين ذوي العقول من عباده لإزاحة عللهم في أمر مَعادِهم ومَعاشِهم. والنَّبِيُّ لكونه منبِّئا بما تسكن إليه العقول الذَّكيَّة.(1)

إذن معنى النبيّ في اللغة الارتفاع، العلم والإخبار، ويأتي كذلك بمعنى الطريق الواضح، فالنبي هو المخبر عن الله وبمثابة الطريق الموصلة إلى معرفة الله وتوحيده، وقد شرفه الله تعالى بأن اصطفاهم على سائر خلقه.

ب . تعريف الرسول:

لغة: من الرِّسْل والرِّسْلَة: الرِّفْق والتُّؤَدة والإِرْسَال: التَّوْجِيهُ، وَقَدْ أَرْسَلَ إِليه، وَالِاسْمُ الرِّسَالَة والرَّسَالَة والرَّسُول والرَّسِيل والرَّسُول، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة الشعراء الآية: 16).

مَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ الَّذِي يُتابِع أَخبار الَّذِي بَعَثَهُ أَخذاً مِنْ قَوْلِهِمْ جَاءَتِ الإِبل رَسَلًا أَي مُتَتَابِعَةً، وسُمِّي الرَّسول رَسُولًا لأَنه ذُو رِسالة، والرَّسُولُ هو المنبعث، وجمع الرسول رسل؛ ورسل الله تارة يراد بها الملائكة، وتارة يراد بها الأنبياء، والْإِرْسَالُ يقابل الإمساك.

والإرسالُ يقال في الإنسان، ويقال في الأشياء المحبوبة والمكروهة، وقد يكون ذلك بالتّسخير، كإرسال الريح والمطر.(2)

يتضح من خلال ما سبق أن معنى الرسول في اللغة يدور حول الرفق والتُّؤَدة والرسالة والمتابعة، ومنه سمّي الإنسان الموحى إليه بالرسالة، بالرسول فقد بعثه الله عزو جل لعباده لتبليغ رسالته برفق وتؤدة، ومنه نستنتج أن الرسول صاحب رسالة مبعوث لأجلها.

(1). المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص: 789، 790.

(2). ينظر: تهذيب اللغة، أبو منصور الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ج12، ص: 272؛ لسان العرب، مرجع سابق، ج11، ص: 281، 283، 284؛ المفردات، مرجع سابق، ص: 352، 353.

ثانياً. تعريف النبيّ والرسول اصطلاحا والفرق بينهما:

أ/ النبيّ والرسول في الاصطلاح:

لقد تعددت واختلفت أقوال العلماء في تعريف النبي والرسول، وهذا الاختلاف راجع إلى طبيعة العلاقة بين اللفظين.

يعرف النبيّ بأنه:

- "إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحي إليه وكذا الرسول".[1]

- وقيل "النبوة سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عباده لإزاحة عللهم في أمر معادهم ومعاشهم. والنبيّ لكونه منبئا بما تسكن إليه العقول الذكية، وهو يصح أن يكون فعيلا بمعنى فاعل.[2]

- وقيل هو إنسان أوحى الله تعالى إليه بشرع سواء أمر بتبليغه والدعوة إليه أم لم يؤمر.[3]

أما الرسول في الاصطلاح:

الرسول في المعنى الاصطلاحي هو:" إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام".[4]

-وأيضاً الرسول هو "من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس إليها".[5]

- وقيل قد يريدون بالرسول ذلك الشخص الذي يتابع أخبار الذي بعثه.[6]

---

(1). شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين التفتازاني، الناشر دار المعارف النعمانية، باكستان، 1401هـ - 1981م، ج2، ص: 173.

(2). المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص: 789.

(3). أصول الدين الإسلامي، رشدي محمد عليان، قحطان عبد الرحمن الدوري، طبعة دار الإمام الأعظم، بيروت . لبنان، ط2: 1432هـ . 2011م، ص: 173.

(4). التعريفات، مرجع سابق، ص: 110.

(5). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ط1: 1418هـ، ج4، ص: 75.

(6). الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، دار النفائس، الكويت، ط2: 1403هـ . 1983م، ص: 14.

ب/ الفرق بين النبيّ والرسول:

قد اختلف العلماء في الفرق بين النبيّ والرسول فمنهم من قال لا فرق بينهما، وهو قول المعتزلة،[1] حيث يقول القاضي عبد الجبار:" لا فرق في الاصطلاح بين الرسول و النبي".[2]

وقد وضح ذلك بأن "الرسول من الألفاظ المتعدية أي لابد من أن يكون هناك مرسل ومرسل إليه، وإذا أطلق فلا ينصرف إلا إلى المبعوث من جهة الله تعالى دون غيره، ... وأما النبي فقد يكون مهموزاً ومشدداً وإذا كان مهموزاً فهو من الإنباء، وهو الإخبار؛ وإذا وصف به الرسول فالمراد به أنه المبعوث من جهة الله تعالى، وإذا كان مشدداً فإنه يكون من النباوة وهو الرفعة والجلالة، وإذا وصف به المبعوث فالمراد به أنه المعظم الذي رفعه الله تعالى وعظمه".[3]

أما **القول الثاني** وهو الشائع عند العلماء، وذهب إلى هذا القول الجمهور وعامة الأشاعرة، بأن هناك فرقا بين النبي والرسول؛ وقد ذكروا فروقاً بين النبيِّ والرسول، وأحسنها: أن من نَبَّأه الله بخبر السماء، إن أَمَره أن يُبَلِّغ غَيْرَه، فهو نبيٌّ رسول، وإن لم يَأمُرْه أن يبلِّغَ غيره، فهو نبي وليس برسول، فالرسول أخصّ من النبي، فكل رسول نبي، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً، ولكن الرسالة أعمُّ من جهة نفسها، فالنبوةُ جُزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمرُ بالعكس، فالرسالة أعمُّ من جهة نفسها، وأخصُّ من جهة أهلها.[4]

(1). ولقد ذهبت المعتزلة إلى أن: "الفرق بينهما أن الرسول من الأنبياء: من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه. والنبيّ غير الرسول: من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو الناس إلى شريعة من قبله". الكشاف، مرجع سابق، ج3، ص: 164.

(2). شرح الأصول الخمسة، مرجع سابق، ص: 567.

(3). المرجع نفسه، ص: 567.

(4). ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، علي بن أبي العز، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط1: 1411هـ ـ 1990م، ج1، ص: 155.

أما الجرجاني ذهب إلى أنه: "من أوحي إليه بملك، أو أُلهم في قلبه، أو نبه بالرؤيا الصالحة، فالرسول أفضل بالوحي الخاص الذي فوق وحي النبوة؛ لأن الرسول هو من أوحى إليه جبرائيل خاصة بتنزيل الكتاب من الله".(1)

ويمكن القول أن" النبيّ هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به؛ فإن أُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي، وليس برسول؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾ (سورة الحج الآية: 52)، فذكر إرسالا يعم النوعين، وقد خص أحدهما بأنه رسول؛ فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله كنوح".(2)

وقالوا في الفرق بين الرسول والنبي أن كل من نزل عليه الوحى من الله تعالى على لسان ملك من الملائكة وكان مؤيدا بنوع من الكرامات الناقضة للعادات فهو نبي، ومن حصلت له هذه الصفة وخص أيضا بشرع جديد أو بفسخ بعض أحكام شريعة كانت قبله فهو رسول.(3)

وورد في توضيخ الفرق بينهما أن الرسول هو:" إنسان بعثه الله تعالى إلى الخلق لتبليغ الأحكام، وقد يشترط فيه الكتاب بخلاف النبي فإنه أعم".(4)

يتضح من أقوال العلماء أن النبوّة والرّسالة والنبيّ والرّسول من الكلمات التي إذا اجتمعتا كان معنى كل واحد مختلفاً عن الآخر.

---

(1). التعريفات، مرجع سابق، ص: 239.

(2) . النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، مكتبة أضواء السلف، السعودية، ط1: 1420هـ . 2000م، ص: 714.

(3). ينظر: الفرق بين الفِرق، مرجع سابق، ص:332.

(4). شرح العقائد النسفية، سعد الدين التفتازاني، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة . مصر، ط1: 1408هـ . 1988م، ص: 19.

والتعريف المختار أن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبيُّ هو المبعوث لتقرير شرع من قبله؛ لأن ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى، والله لا ينزل وحيه ليكتم ويدفن في صدر واحد من الناس، ثم يموت هذا العلم بموته.(1)

ج/ تعريف الإمام ابن عرفة للنبيّ والرسول وذكر الفرق بينهما:

يعرف الإمام ابن عرفة النبيّ من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، فأما من الناحية اللغوية فيرى أن النبي مشتق من النبإ، أو النبوة، وهو مأخوذ أيضاً من النبإ وهو بمعنى: المنبأ لأن الله أنبأه بما شاء؛ وأما الرسول فلم يتطرق الإمام لتعريفه من الجانب اللغوي.

وأما من الناحية الاصطلاحية فيرى الإمام أن النبيّ يخبر النَّاس بأنه يوحى إليه على الجملة، والرسول يبلغهم الأحكام والشرائع ويدعوهم إلى الإيمان، فيقول: "إنَّ الرسول هو مبلغ عن الله تعالى إذ لا معرفة له إلى حدود الله إلا من جهة رسله فكونها من جهة الرسول معلوم لنا بالمشاهدة والعيان، فالإعلام بذلك من باب تحصيل الحاصل وإضافتها إليه يستلزم إضافتها إلى رسوله".(2)

ويوضح ابن عرفة معنى الرسالة بقوله: "والرسالة تارة يراد بها مطلق البعث، وهو المعنى الأعم فيها، وتارة يراد بها البعث والتبليغ لغيره، والمراد بها في الآية المعنى الأعم، لقوله تعالى: (مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ)، ولو أريد المعنى الأخص، للزم استواء الرسول والنبيّ في المعنى، مع أنهما مختلفان، وإنما عطف النبيّ على الرسول مع أنه لَا يستلزم من استلزم الأخص أمر باستلزام الأعم له، والرسول أخص من النبيّ فالعطف تأسيس".(3)

ويستدل ابن عرفة على عدم ترادف الرسول والنبيّ بقوله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ (سورة البقرة الآية: 213)، يقول: "دليل على أن النبي أعمّ من الرّسول بناء على الحكم المسند إلى مشتق أو موصوف بصفة تقتضي ثبوت ذلك الوصف له حالة ثبوت الحكم،

(1) ينظر: الرسل والرسالات، مرجع سابق، ص: 14.

(2) تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 13.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص: 193، 194.

فيقتضي ورود البعث عليهم حال حصول النبوءة، فلو كان النبي والرّسول بمعنى واحد للزم تحصيل الحاصل. وقيل الرّسول أعمّ حكاه الغزالي في الاقتصاد[1]، والشيخ ابن العربي". [2]

وقال أيضا: "الآية دالة على أن الجمع المحلّى بالألف واللاّم لا يفيد العموم؛ إذ ليس كل نبي مبعوثا وبدأ بالبشارة لأن الرّحمة سبقت غضبه". [3]

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا ﴾ (سورة الأعراف الآية: 94) يقول: "تقدَّم أن الرسول أخص من النبيّ، وهو المأمور بالتبليغ، والنبيّ ينزل عليه لكنه لم يؤمر بتبليغ ما ينزل عليه، ووقع في كلام الغزالي: أنّ الرسّول أعمّ من النبيّ؛ ذكره في بداية الهداية وصرح به ابن عطية[4] هنا وهو خطأ". [5]

ويوضح ابن عرفة الفرق بين النبيّ والرسول أكثر عن طريق طرح الأسئلة ثم الإجابة عنها، فيقول: " النبيّ أعمّ من الرسول، وثبوت الأعم لا يستلزم ثبوت الأخص، فما يلزم من الإيمان بالنبيّ الإيمان بالرسول فهلا قيل المرسلين؟ والجواب: أن ذلك باعتبار الوصف، لأنّ وصف النّبوة أعم من وصف الرسالة. وترتب الحكم هنا عليهم من حيث ذواتهم لا من حيث أوصافهم، وعرف بالألف واللاّم الدالة على العموم فيدخل في ضمنه الأخص بلا شك فهو كقولك كل حيوان في الدار"[6].

(1). كلام الغزالي: وفرق بين النبيّ والرسول، والنبيّ أعلى رتبة من الرسول إلى غير ذلك من أنواع الهذيان. الاعتقاد في الاقتصاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1: 1424هـ . 2004م، ص: 137.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 255.

(3). المصدر نفسه، الجزء نفسه، والصفحة نفسها.

(4). كلام ابن عطيّة : والرَّسُولَ والنَّبِيَّ اسمان لمعنيين فإنَّ الرسول، أخص من النبيّ هذا في الآدميين لاشتراك الملك في لفظة الرسول، والنَّبِيَّ مأخوذ من النبأ، وقيل لما كان طريقا إلى رحمة الله تعالى وسببا شبه بالنبيء الذي هو الطريق". تفسير ابن عطية، مرجع سابق، ج1، ص: 462.

(5). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 236

(6). المصدر نفسه، ج1، ص:210

ذهب ابن عرفة إلى أن النبيّ هو اختصاص الله لبعض خلقه بالوحي على لسان الملك؛ فإن أمر بالتبليغ فهو رسول، فالرسول أخص من النبيّ، وقيل: هما سواء، ونقل الإمام الغزالي وابن العربي في بعض تعاليقه قولين: بأن النبيّ أخص، ووجهه بأنك تقول: فلان رسول فلان، ولا تقول: فلان نبي، وجاءت هذه الآية على العكس؛ لأن ثبوت الأخص يستلزم ثبوت الأعم، فما السر في تقديم الرسول على النبيّ؟ وأجيب: بأن اتباعه من حيث كونه مرسلا لَا يلزم منه اتباعه من حيث كونه نبيا فقط، ولا يلزم منه اتباعه من حيث كونه أميًّا فقط فكان العطف ترقيا في المدح، فهو من باب الانتقال من الدليل الأوضح إلى الدليل الواضح، ثم إلى الدليل الخفي، فالإيمان به من حيث كونه رسولا يستلزم الإيمان به من حيث كونه نبيًّا فقط، والإيمان به من حيث كونه نبيا فقط لا يستلزم الإيمان به من حيث كونه أميًّا فقط، والمراد هنا الاتباع الاصطلاحي؛ وهو أن يفعل مثل ما فعل المتبوع لأجل أنه فعله.[1]

وبكلامه عن الرسالة أشار ابن عرفة إلى مسألة نبوة النساء بقوله: "احتج بها المعتزلة بمذهبهم في إنكار نبوة النساء عقلا، ونحن نجوزها لولا أن الشرع لم يرد بها، وأجاب أصحابنا بأنه نفيت في الآية الرسالة ولا خلاف أن النساء ليست فيهن رسولة؛ لأن المقصود من الرسالة التبليغ إلى النَّاس وليس ذلك في شأن النساء".[2]

وملخص القول فإن الإمام ابن عرفة يذهب إلى أن النّبوة أعم من الرسالة، فالنبيّ له رسالة خاصة به، وله طريقة معينة، لكن طريقة تبليغها تختلف من نبيّ إلى نبيّ آخر، ولذلك كانت النبوة أعم من الرسالة.

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص:260.

(2). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 411.

المطلب الثاني: النبوة منحة أم مكتسبة

النبوة اصطفاء واجتباء واختيار من الله تعالى يؤتيه لمن يشاء من عباده، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ (سورة الحج: الآية: 75)، إن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ مثل بقية البشر لكن فضلهم الله تعالى وشرفهم واختصهم بالنبوة، ويوضح ابن عرفة ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ (سورة الكهف الآية: 110)، يقول: "يؤخذ منه أن المماثلة بين الشيئين لَا ينافي اختصاص أحدهما بأمر دون الآخر، فالأنبياء عليهم السلام مماثلون لنا في الخلق في الأمور الذاتية، وإن اختصوا بأمر عرضي، ويؤخذ منه أن هداية نفوسهم مماثلة لغيرهم، فليست النبوة أمرًا مكتسبا بوجه؛ بل هي خصوصية ألحقهم الله بها من غير تطبع ولا اختلاف مجاز".[(1)]

وقد أكد ابن عرفة ذلك عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ (سورة الجن الآية: 20)، يقول :"لفظ الرب تنبيه على أن اختصاص الله تعالى بعض خلقه بالنبوة محض تفضّل منه ورحمة".[(2)]

وقال أيضاً: في قوله عزو جل: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ (سورة النجم الآية: 10) يقول:" في قوله سبحانه وتعالى ﴿إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾إشارة إلى أن النبوة والرسالة محض تفضل من الله تعالى لأن الكل عبيده، فتخصيص أحدهم بالرسالة محضُ تفضُّل منه عليه".[(3)]

أثبت الإمام ابن عرفة من خلال تفسيره بأن النّبوة اصطفاء وليست اكتسابا فقال:" ونحن نقول النبوة إنما هي فضل الله يؤتيه من يشاء، ولا خصوصية لهم في ذواتهم،..".[(4)]

---

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 107.

(2). المصدر نفسه، ج4، ص: 308.

(3). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 93؛ درر المعرفة، مرجع سابق، ج1، ص: 132.

(4). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 157.

وينكر على الفلاسفة[1]القائلين بأن النبوة مكتسبة، فيرد عليهم من خلال تفسيره للآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ (سورة الحديد الآية: 9) يقول :"في لفظ العبد رد على الحكماء القائلين: بأن للأنبياء اختصاصا زيادة في ذاتهم بالطبع،...فعبر بلفظ العبد تنبيها على أنَّه من جنس العبيد".[2]

يقول ابن عرفة عند قول الله تعالى في قصة نبيّ الله موسى- عليه السلام- قوله تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (سورة الشعراء الآية: 21) "فيه ردّ على الحكماء القائلين بأن النبوة مكتسبة بالتصفية وغير ذلك، وقوله المراد به الطاعة ومقدمات النبوءة لا نفس النبوة لأن نبوته ورسالته كانا في زمن واحد".[3]

وما ذكره ابن عرفة من أن النبوة غير مكتسبة هو قول سلف الأمة وغيرهم، خلافاً لمن ادعى غير ذلك من الفلاسفة.

قال الحافظ ابن حجر: "النبوة نعمة يمن بها على من يشاء ولا يبلغها أحد بعلمه ولا كَشْفِهِ، ولا يستحقها باستعداد ولايته، ومعناها الحقيقيّ شرعا من حصلت له النبوة وليست راجعة إلى جسم النبيِّ ولا إلى عرض من أعراضه بل ولا إلى علمه بكونه نبياً بل المرجع إلى إعلام الله بأني نَبَّأْتُكَ أَوْ جَعَلْتُكَ نَبِيًّا".[4]

---

(1) ومن الفلاسفة القائلين بأن النبوة مكتسبة ابن سينا قول الفلاسفة المشائين المجوزين اكتساب النبوة بزعمهم أن من لازم الخلوة والعبادة ودوام المراقبة وتناول الحلال وإخلاء نفسه من الشواغل العائقة عن المشاهدة بعد كمال ظاهره وباطنه بالتهذيب والرياضة انصقلت مرآة باطنه وفتحت بصيرة لبه، وتهيأ لما لا يتهيأ له غيره من التحلي بالنبوة، لأن النبوة عندهم عبارة عن اجتماع ثلاث خواص في الإنسان إحداها الاطلاع على المغيبات لصفاء جوهر نفسه وشدة اتصاله بالروحانيات العالية من غير سابقة كسب ولا تعلم ولا تعليم. لوامع الأنوار البهية، شمس الدين السفاريني، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق . سوريا، ط2: 1402هـ. 1982م، ج2، ص: 268.

(2) تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 157.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص: 293؛ درر المعرفة، مرجع سابق، ج1، ص: 131.

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري، علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان ،1379م، ج6، ص:361.

وقال الإمام السفاريني:" أن النبوة لا تُنال بمجرد الكسب بالجد والاجتهاد، وتكلف أنواع العبادات، واقتحام أشقِّ الطاعات، وتدأب في تهذيب نفسه، وتنقية خواطره وتطهير أخلاقه، ورياضة نفسه وبدنه، وتهذيب ذَلِكَ لكنَّها أيِ: النُّبُوةَ وَالرِّسالة فَضْلٌ مِنَ الْمَوْلَى سبحانه وَتعالَى يؤْتِيهِ من شاءَ.."[(1)].

ونخلص إلى أن النبوة عند ابن عرفة اصطفاء واختيار من الله تعالى وفضلاً لمن شاء من عباده، وليست اكتسابا يستطيع أي إنسان بجهوده أن يصل إليها وهذا ما دلت عليه الآيات القرآنية التي فسرها الشيخ ابن عرفة.

المطلب الثالث: حكم إرسال الرسل

لقد تعددت آراء المتكلمين في مسألة إرسال الرسل، فيرى أهل السنة أنها جائزة مطلقاً، ومذهب الفلاسفة وبعض المعتزلة أنها واجبة عقلاً، وفيما يلي هذه الآراء في حكم إرسال الرسل دون تفصيل:

الأول: جمهور الأشاعرة ومن شايعهم من الماتريدية يرون أن إرسال الله تعالى للرسل جائز، وليس من قبيل الواجب، ولا من قبيل المستحيل، وعمدتهم في ذلك مبدأ اللطف الإلهي، هذا اللطف الجائز في حقه تعالى؛ لأنه سبحانه فاعل مختار في فعله، يقول الشهرستاني:" وصارت الأشعرية وجماعة من أهل السنة إلى القول بجواز وجود النبوات عقلاً ووقوعها في الوجود عياناً، وتنتفي استحالتها بتحقيق وجودها كما ثبت تصورها بنفي استحالتها".[(2)]

وفصل أكثر حيث" قال أهل الحق: قام الدليل على أن الرب تعالى خالق الخلق ومالكهم، ومن له الأمر والخلق والملك له أن يتصرف في عباده بالأمر والنهي، وله أن يختار منهم واحداً لتعريف أمره ونهيه فيبلغ عنه إليهم، فإن من له الخلق والإبداع له الاختيار والاصطفاء"[(3)]. وقد

---

(1). لوامع الأنوار البهية، مرجع سابق، ج2، ص: 267، 268.

(2). نهاية الإقدام في علم الكلام، مرجع سابق، ص: 410.

(3) . المرجع نفسه، ص: 413 . 414.

ذكر ذلك ابن عرفة في قوله تعالى:﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ (سورة النحل الآية: 102) قال: "لفظ الرب هنا دليل على صحة مذهب أهل السنّة في أن بعثة الرسل محض تفضل من الله ﷻ"،[1] ورد عليهم عند قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة آل عمران الآية:164) قال: "وفي الآية حجة لأهل السنة في أن بعثه الرسل محض تفضل من الله تعالى؛ لأنها واجبة عليه، لقوله تعالى: (مَنَّ) والمن الفضل بالنعمة فرده عليه بوجهين:

الأول: قوله :﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ والرسول مبعوث للجميع، فقال المن على المؤمنين باعتبار مآلهم وعاقبة أمرهم في الآخرة.

الثاني: قوله تعالى: ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فالمن عليهم بكون الرسول منهم لَا في نفس بعثته".[2]

الثاني: يذهب الماتريدية إلى أن إرسال الرسل واجب، لا بمعنى الوجوب على الله تعالى، بل بمعنى أن الحكمة تقتضيه؛ لما فيه من الحكم والمصالح.[3]

الثالث: يذهب جمهور المعتزلة إلى أن البعثة واجبة على الله تعالى، بناء على مبدأ اللطف الإلهي لديهم، وهو واجب عندهم يقول أحدهم:" أنه تعالى إذا علم أن صلاحنا يتعلق بهذه الشرعيات فلابد أن يعرفناها لكي لا يكون مخلاً بما هو واجب عليه، وعليه العدل ألا يخل بما هو واجب عليه".[4] وقد خالف ابن عرفة المعتزلة، ويظهر ذلك من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى﴾ (سورة البقرة الآية:37).

يقول: "قال الزمخشري: إن قلت لم جِيءَ بكلمة الشك وإتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه، قلت: فائدته الإعلام (بأن الإيمان) بالله (وتوحيده) لا يشترط فيه بعثة الرسل؟

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 50.

(2). المصدر نفسه، ج1، ص: 440.

(3) . شرح العقائد النسفية، مرجع سابق، ص: 85.

(4). شرح الأصول الخمسة، مرجع سابق، ص:563.

فيجيب: هذا السؤال إنما يرد على مذهبه لأنه يقول: إنّ إرسال الرّسل واجب عقلا. وجوابه ضعيف، بل هو مؤكد للسؤال وبيانه أن يقول: إتيان الهُدى محقق الوقوع؛ إمَّا من جهة العقل المقتضي لوجوب بعثة الرسل، أو من جهة الوجود الخارجي، لأن التوحيد موجود فإتيان الهدى محقق....وهذا كله لا يحتاج إليه على مذهبنا، لأن إرسال الرسل إنما يجب عندنا بالشرع لا بالعقل، ولم يكن حينئذ شرع بوجه فكان الأمر محتملا".(1)

الرابع: يذهب الفلاسفة الإلهيون إلى القول بلزوم بعثة الرسل، بناء على أن النظام المؤدي إلى صلاح حال النوع البشري على العموم في المعاد والمعاش لا يكتمل إلا ببعثة الأنبياء، وليس هناك فرق بين قولهم هذا، وقول المعتزلة من حيث ضرورة الوقوع وعدم التخلف، غير أنهم ينظرون إلى المسألة بعين تنطلق من طبيعة الذات الإلهية، دون النظر إلى حاجة الإنسانية إلى ذلك . التي تقتضي إيصال اللطف إليها .، فإذا كانت طبيعة الذات الإلهية عندهم خير محض، فيلزم لذلك أن يصل خيرها إلى البشر، كامتداد لهذه الطبيعة الخيرة.(2)

الخامس: هناك من أنكر النبوات، وهم طوائف أربعة:

الطائفة الأولى: هم البراهمة ومن تبعهم من الذين أنكروا النبوات صراحة؛ اعتماداً على أن العقل كاف في معرفة الخير والشر، ومن ثم تصبح النبوة عبثاً لا يليق بالحكيم؛ لأن ما يجيء به الرسول إما أن يكون موافقاً للعقل، أو مخالفاً له، فإن كان الأول كان مجيئه عبثاً؛ لأن العقل كافٍ في ذلك، وإن كان الثاني كان إرساله عبثاً؛ لأن المخالف للعقل عندهم قبيح، فيجب تركه ورده.

والطائفة الثانية: من البراهمة ترى أن الشرائع تشتمل على أمور لا فائدة فيها لا للرب ولا للعبد، فالفروض والواجبات التي تجيء بها الشرائع فيها مشقة على العباد، ولا يعود على المعبود منفعة.

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 105 . 106.

(2). ينظر: شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب بيروت . لبنان، ط2: 1419هـ . 1998م، ج5، ص: 6، 7؛ المختصر الشامل في علم الكلام، مرجع سابق، ص: 185.

والطائفة الثالثة: جماعة من أهل الخلاعة، المنهمكين في اتباع الهوى وترك الطاعة، قالوا: إنا نجد في الشرائع أموراً لا نشك في أن الصانع الحكيم لا يعتبرها، ولا يأمر بها، كما نشاهد في الحج والصلاة، وغسل بعض الأعضاء لتلوث البعض الآخر، إلى غير ذلك من الأمور الخارجة عن قانون العقل.

الطائفة الرابعة: لم تنكر النبوات صراحة، بل أنكرت لوازمها، من نزول الملك بالوحي، ورتبت على ذلك إنكار كل ما يخبر به الرسول من الأمور التي يتوقف الإيمان بها على السماع، كالحشر والحساب والجنة والنار، ورأي هؤلاء يعبر في مجمله عن نظرة مادية قاصرة، لا تؤمن بما وراء الحس، وهي نظرة تمتد عبر التاريخ الإنساني كله حتى يوم الناس هذا.(1)

أما ابن عرفة فقد ذهب إلى جواز بعثة الرسل على الله تعالى حيث يقول مبيناً مذهبه في ذلك عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ ﴾ (سورة القمر الآية: 4) قال: "نظرهم في هذه الموجودات يفيد ثلاثة أمور، وحدة موجدها، واتصافه بصفات الكمال، ومن جملة ذلك كونه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وفي ضمن هذه جواز بعثة الرسل".(2)

ويستدل على رأيه بقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ (سورة طه الآية: 123) حيث يقول:" وهذه الآية عندي دالة على أن بعثة الرسل محض تفضل من الله تعالى وليست واجبة؛ إذ لو كانت واجبة كما يقول المعتزلة لقال: فإذا يأتيكم مني هدى، فعبر باللفظ المقتضي للتحقيق".(3)

وقد تكلم عن الفائدة من بعثة النبي والرسول ذاكراً فائدتين هما:

ـ وضع شرائط تنظيم أحوال الناس، لئلا يظلم بعضهم بعضاً.

(1). ينظر: المختصر الشامل، مرجع سابق، ج1، ص: 185. 186.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 109 . 110.

(3). المصدر نفسه، ج3، ص: 156.

ـ الترغيب في الثواب، والترهيب من العقاب.[1]

أخيراً، تجلت حكمة ورحمة الله ﷻ أن اصطفى لطفاً وفضلاً ورحمةً من غير وجوب عليه، من عباده البشر أنبياء ليكونوا مبشرين ومنذرين للناس عامة، فهم من خواص البشر بعثهم الله تعالى وأيدهم بمعجزات من عنده؛ وهو الموضوع الذي يكون محل البحث عنه في العنصر الموالي.

(1). المختصر الشامل، مصدر سابق، ج1، ص: 183.

المبحث الثاني: حقيقة العصمة عند ابن عرفة

لقد خلق الله تعالى الأنبياء والرسل ـ عليهم السلام ـ بمجموعة من الصفات والخصائص التي ميّزتهم عن بقية البشر، وقد ذكرتها آيات القرآن الكريم وفسرها الكثير من المفسرين، ومن هؤلاء ابن عرفة؛ وهو ما سيتم التطرق إليه في هذا المبحث من خلال مطلبين، **المطلب الأول** كان عن معنى العصمة وموقف الإمام منها، أما **المطلب الثاني** فكان للحديث عن العصمة التي يختص بها الأنبياء.

المطلب الأول: حقيقة العصمة

سيتم التعرض لمعنى العصمة في اللغة وفي الاصطلاح، ثم لرأي الإمام ابن عرفة فيها.

أولاًـ تعريف العصمة

أ/لغة: العِصْمة فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: المَنْعُ. وعِصْمةُ اللَّهِ عَبْدَه: أَنْ يَعْصِمَه مِمَّا يُوبِقُه. عَصَمه يَعْصِمُه عَصْماً: منَعَه ووَقَاه، والعِصْمة بالكسر: الحِفْظُ و المنْعُ. عَصَمَ يَعْصِمُ: اكتَسَبَ، ومَنَعَ، ووَقَى، يُقَالُ: عَصَمْتُه فانْعَصَمَ. واعْتَصَمْتُ بِاللَّهِ إِذَا امتنعْتَ بلُطْفِه مِنَ المَعْصِية. واعْتَصَمَ بِهِ واسْتَعْصَمَ: امتنعَ وأبَى؛ العصْمَةُ: المَنَعةُ. والعاصِمُ: المانعُ الحَامِي، والاعْتِصامُ: الامْتِساكُ بِالشَّيْءِ، وأعْصَمَ الرجلُ بصاحبه: لزِمه.(1)

إذاً؛ فمعنى العصمة في اللغة هو المنع، ويأتي كذلك بمعنى الملازمة والحفظ الذي يكون من الله تعالى لمجموعة معينة من الناس وهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

ب/اصطلاحا: وردت عدة تعاريف للعصمة منها:

"عصمة الأنبياء حفظه إياهم أولا بما خصهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية، ثم بالنصرة وبتثبت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق".(2)

---

(1)ـ لسان العرب، مرجع سابق، ج12، ص: 403، 404؛ القاموس المحيط، مرجع سابق، ج1، ص: 1138.

(2)ـ مفردات غريب القرآن الكريم، مرجع سابق، ص: 570.

- عرفها الإيجي:" هي عندنا ألا يخلق الله فيهم ذنباً".(1)
- "العِصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها".(2)
- وقيل: "هي لُطف من الله تعالى، يحمله على فعل الخير، ويزجره عن فعل الشر، مع بقاء الاختيار، تحقيقاً للابتلاء".(3)

من التعاريف السابقة -وبالرغم من اختلافها- نجد أنها تتفق على معنى واحد، وهو أن العصمة تعني حفظ الله تعالى لأنبيائه من الوقوع في الذنوب والمعاصي، وترفعهم عن ذلك.

ثانياًـ رأي ابن عرفة في العصمة:

يذهب ابن عرفة إلى أن العصمة في اللغة مطلق الامتناع، وفي الاصطلاح عند الأصوليين امتناع خاص، فكان الشيوخ مختلفين في جواز الدعاء بالعصمة، فمن حملها على المعنى اللغوي، أجاز الدعاء بها، ومن نظر للاصطلاح منع ذلك وخصصها بالأنبياء.(4)

المطلب الثاني: عصمة الأنبياء

العصمة عند المعتزلة هي المنع، يقول القاضي عبد الجبار:" أما العصمة فهي في الأصل المنع، .. وهي عبارة عن لطف يقع معه الملطوف فيه لا محالة، حتى يكون المرء معه كالمدفوع إلى أن لا يرتكب الكبائر، ولهذا لا يطلق إلا على الأنبياء أو من يجري مجراهم".(5)

ويرى أكثر الأشاعرة أن العصمة تكون للأنبياء بعد البعثة وليس قبلها أما بعد البعثة فهم يجوزون عليهم الصغائر والسهو، ويقول البغدادي:" أجمع أصحابنا على وجوب كون الأنبياء معصومين بعد النبوة عن الذنوب كلها، وأما السهو والخطأ فليسا من الذنوب... وأجازوا عليهم الذنوب قبل النبوة".(6)

---

(1). المواقف، مرجع سابق، ص: 366.
(2). التعريفات، مرجع سابق، ص: 150.
(3). أصول الدين الإسلامي، مرجع سابق، ص: 183.
(4). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 390.
(5). شرح الأصول الخمسة، مرجع سابق، ص: 780.
(6). أصول الدين، مرجع سابق، ص: 167. 168.

ويقول الشهرستاني:" والأصح أنهم معصومون عن الصغائر عصمتهم عن الكبائر، فإن الصغائر إذا توالت صارت بالاتفاق كبائر".[1]

ويقول التفتازاني:" المذهب عندنا منع الكبائر بعد البعثة مطلقا، والصغائر عمداً لا سهواً، لكن لا يصرون ولا يقرون، بل ينبهون ويتنبهون".[2]

وأما عند الماتريدية فالعصمة معناه أنها لا تجبره على الطاعة ولا تعجزه عن المعصية، والعصمة عن المعاصي ثابتة بعد الوحي عند أهل السنة إلا عند الحشوية، فإنهم ينقلون عن داود وسليمان ويوسف وغيرهم عليه السلام ما يوهم ارتكاب الذنب منهم، وبعض ذلك مردود وبعضه مؤول تأويلا صحيحا يليق بحالهم، ودلالة ذلك أنهم حجج الله تعالى على عباده؛ فلو جاز منهم ارتكاب المنهي لم يوثق بقولهم فلا يلزم الحجة.

فأما قبل الوحي فذلك عند جميع المعتزلة والخوارج وعندنا (الماتريدية) يجوز على سبيل الندرة نحو حالة إخوة يوسف ثم يعود حالهم وقت الإرسال إلى الصلاح والسداد.[3]

لقد تكلم ابن عرفة ـ رحمه الله ـ عن عصمة الأنبياء، مبتدئا بذكر إجماع أهل الملل على امتناع تعمد الكذب؛ لدلالة المعجزة على صدقهم، وفي وقوع الكذب منهم سهواً أو خطأً.[4] قوله تعالى: ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ﴾ (سورة الفتح الآية:2) قال: "الذنب ما استلزم الذم والعتب أو العقوبة، وعذابه بمعنى المؤاخذة وعدم المؤاخذة يبطل لازمه، فيبطل الذنب فلا ذنب هنالك ونظيره، وقيل: المغفرة تطلق على ستر المعصية بمعنى الحفظ منها، وعلى ستر المرتب عليها بمعنى التجاوز عنه".[5]

(1). نهاية الإقدام، مرجع سابق، ص: 493.

(2). شرح المقاصد، مرجع سابق، ج5، ص: 51.

(3). ينظر: كتاب البداية من الكفاية في أصول الدين، نورالدين البيضاوي، تحقيق: فتح الله خليف، دار المعارف، الإسكندرية ـ مصر، 1969م، ص: 96، 97.

(4). المختصر الشامل، مرجع سابق، ص: 191.

(5). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 33.

لأن النبيّ ﷺ، معصوم في اجتهاده، لَا يفعل إلا ما هو حلال له في نفس الأمر.[1]

وهو ما أكده عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (سورة البقرة الآية:145) يقول ابن عرفة:" قيل: لا يصح التكليف بذلك لأنه من تكليف الفاجر؟....قلنا: النبيﷺ معصوم من اتّباع أهوائهم لكنه كُلف بذلك، وجُعلت ذاته قابلة للاتباع باعتبار اعتقاد الكفار فيها قبول ذلك، وأنّها عندهم غير معصومة لا باعتبار ما في نفس الأمر".[2]

ثم تكلم عن صدور الكفر عن الأنبياء، ومثال ذلك ما جاء في تفسير الآية قوله تعالى:﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ (سورة الشعراء الآية:19) قال:" وحكى الآمدي [3]وابن الحاجب[4] عن المعتزلة امتناع اتصاف النبي بالكفر قبل النبوة وبعدها عقلا، وجوز عليهم ذلك أهل السنة عقلا، قالوا: لكنه لم يقع،...فإن الله تعالى عاصم من يريد بنبوته من كل بدع، ومن بعض الصغائر، وهي صغائر الخسة فما بال الكفر، وهذا على أصل مذهبه".[5]

---

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 302.

(2). المصدر نفسه، ج1، ص: 183.

(3). هو سيف الدين أبو الحسن علي ابن أبي علي الحنبلي الشافعي المتكلم، برع في الفقه وعلم الكلام والمنطق، وقال سبط ابن الجوزي: لم يكن في زمانه من يجاريه في الأصلين، وعلم الكلام، ومن تصانيفه المشهورة «الإحكام في أصول الأحكام» مجلدين، و «ابكار الأفكار» في أصول الدّين، في خمس مجلدات، واختصره في مجلد؛ توفي سنة:631هـ. ينظر: شذرات الذهب، مرجع سابق، ج7، ص: 253.

(4). هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر ابن يونس الدوني ثم المصري الفقيه المالكي المعروف بابن الحاجب، الملقب جمال الدين، فقيه مالكي، كردي الأصل، وكان مولده في آخر سنة سبعين وخمسمائة بأسنا، وهي بليدة صغيرة بالصعيد في مصر. من صعيد مصر، وسكن بدمشق، من تصانيفه: الكافية في النحو، المختصر في مختصر الفقه، وغيرها. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت . لبنان، 1900م، ج3، ص: 248 . 250.

(5). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 238.

وقال أيضا عند تفسيره لقوله عز وجل: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (سورة البقرة الآية:260). قال:" وحمله على ظاهره يلزم عليه الكفر فلا بد من تأويله وهو أن الشك في كيفية وجود الشيء لا يلزم منه الشك في وجود ذلك الشيء، كما أنا لا نشك في موت عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْه مقتولا ونشك في كيفية ذلك حسبما اختلف فيه الرواة والنقلة".[1]

فقد أجمعت الأمة على عصمتهم من الكفر؛ غير أن الأزارقة – من الخوارج – جوزوا عليهم الذنب وكل ذنب عندهم كفر. وجوز الشيعة إظهاره تقية.

وأما غير الكفر: فإما كبائر أو صغائر، كل منهما إما عمداً وإما سهواً ، أما الكبائر عمداً فمنعه الجمهور؛ وأما الصغائر، فأكثر الأشعرية والمعتزلة على جواز صدورها عن الأنبياء ولو عمداً، ومنعت الشيعة صدور الصغائر مطلقاً[2]، وفيما يلي آراؤهم:

ـ مذهب الحشوية: وهو أنه يجوز عليهم الإقدام على الكبائر والصغائر، متمسكين بظواهر من النصوص، ولا يصح هذا التمسك؛ لأن النصوص مؤولة أو محمولة على ترك الأولى.

ـ مذهب الأشعرية وأكثر المعتزلة: أنه لا يجوز منهم تعمد الكبيرة البتة وأما تعمد الصغيرة فهو جائز، بشرط أن لا تكون منفرة. وأما إن كانت منفرة فذلك لا يجوز عليهم.

ـ أنه لا يجوز عليهم تعمد الكبيرة والصغيرة، ولكن يجوز صدور الذنب منهم على سبيل الخطأ في التأويل، وهو قول أبي علي الجبائي.

ـ أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة، لا بالعمد ولا بالتأويل والخطأ. أما السهو والنسيان فجائز ثم إنهم يعاتبون على ذلك السهو والنسيان، لما أن علومهم أكمل، فكان الواجب عليهم المبالغة في التيقظ، وهو قول النظام.

---

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 316.

(2). ينظر: شرح المواقف، مرجع سابق، ص: 358، 359.

ـ أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة لا بالعمد ولا بالتأويل ولا بالسهو والنسيان. وهذا مذهب الشيعة.

إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد. أما على سبيل السهو فهو جائز.(1)

وقد ردّ ابن عرفة الشبهات التي قيلت في عصمة الأنبياء عند قول الله تعالى في قصة نبي الله يوسف عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ ﴾ (سورة يوسف الآية: 23) من خلال ذكر مختلف الآراء ودحضها يرى ابن عطيّة: إن هذا من الصغائر المستهلة، وأجابه ابن عرفة: وهذا خطأ لأنهم أجمعوا أن الأشياء المباحة في حق الأنبياء إن ذكرت على معنى النقيض، قيل: قابلها، وإن ذكرت على معنى التسلية أدب قائلها، وهذا كمن يقول إنه ﷺ رعى الغنم، ابن عرفة: وهذا كله لَا يصح منه شيء، وأطنب الزمخشري هنا في الرد على الحشوية وغيرهم لأنه معتزلي، ومن قواعدهم التحسين والتقبيح فصدور الصغائر من النبيّ قبيح عندهم عقلا، وعندنا جائز عقلا لَا شرعا؛ لأن الشرع أخبر بعدم وقوع ذلك فهذه الآية قوية في الرد عليهم لما كان نبيًّا معصوما ومن حاله هذه يجب ألاّ يظن بباله معصية الله تعالى.(2)

وورد في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤ ﴾ (سورة يوسف الآية: 24)

قال ابن عرفة: "وفي الآية سؤال وهو أن همها هي بمعمول من قوله (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ)،ويؤكد السؤال على ما قال الزمخشري: من أنه يحسن الوقف عليه (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ) لأن همها هي به دائم لَا ينقطع إلا إضرارا من غير اختيارها، وهمه هو بها خطر بباله، مرة ثم زال فهو مباين لهمها، والجواب عن السؤال من وجوه:

(1) . ينظر: عصمة الأنبياء، فخر الدين الرازي، منشورات الكتبي النجفي، 1406هـ ، ص: 8، 9.

(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 382.

الأول: لما كان نبيًّا معصوما، ومن حاله هذه يجب أن لا يظن بباله معصية الله تعالى فقد يقال إنها يستبعد منه الموافقة على ذلك فلا تهم بذلك، فكذلك أقسم على همها به.

الثاني: أنها أنزلته منزلة الولد بقول العزيز لها (عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا)، ورده ابن عرفة: بأنه من قول العزيز لَا من قولها، وهذا لَا يصح منه شيء، فالزمخشري معتزلي، ومن قواعدهم التحسين والتقبيح فصدور الصغائر من النبي قبيح عندهم عقلا، وعندنا جائز عقلا لَا شرعا؛ لأن الشرع أخبر بعدم وقوع ذلك".[1]

كما تحدث ابن عرفة على مسألة العصمة ولكنها خاصة بالملائكة، وفي ذلك يقول: "فإن مذهب أهل السنة أن الملائكة معصومون من المعاصي والمخالفات"،[2] لكنهم اختلفوا في كيفية العصمة التي تكون للملائكة: "واختلفوا في كيفية عصمة الملائكة فقيل: إنهم لا يستطيعون فعل الشر بوجه، وهو قول من فضّلهم على جميع بني آدم، وقيل: إنهم متمكنون من فعل الشر، وعصموا منه وهو الصحيح".[3]

كما حكى قصة هاروت وماروت، وذكر اختلاف أهل العلم فيها هل هما معصومان أم لا؟ ورجح كونهما ملكين أنهما معصومان، ورد على من أنكر ثبوت قصتهما بقوله: "وكان تَعلم السحر في زمن هاروت وماروت جائزا، وكانوا مأمورين بتعليم النّاس على جهة الابتلاء من الله تعالى لخلقه، فالطائع لا يتعلمه، والعاصي يبادر إليه ويتعلمه كما خلق الله السّم القاتل والحديد وغير ذلك مع أنه لا يجوز تناوله. فقوله على هذا: فلا يكفر، إما أن يراد به العمل أي تعلمه ولا تعمل به فتكفر، أو يرادُ به نفس العلم أي نحن يجوز لنا تعليمه وغيرنا لا يجوز له أن يتعلمه منا فلا نتعلمه فنكفر، فهم مباح لهم تعليمه للغير، وذلك الغير لا يباح له أن يتعلمه منهم، وكان التعليم حينئذ جائزا ثم نسخ فصار حراما".[4]

---

(1). ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص:382، 383.

(2). المصدر نفسه، ج3، ص: 72.

(3). المصدر نفسه ، الجزء نفسه، ص: 94.

(4). المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

وفي مسألة عصمتهما قال ابن عرفة: "ولم يزل الشيوخ يخطِّئون من يقول: إن إبليس كان من الملائكة، قال: "قوله تعالى: (وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ) كانا عالمين بالسحر، ولم يعملا به لأن الملائكة معصومون".[1]

فالإمام ابن عرفة يؤكد على أن العصمة الخاصة بالأنبياء أو الملائكة فهي ثابتة ولا تتغير، وهذا ما ورد في تفسيره حيث يقول:" أما العصمة فلا تزول عمن ثبتت له أبداً".[2]

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 126.

(2). المصدر نفسه، ج3، ص: 154.

المبحث الثالث: موقفه من المعجزة والكرامة

سيتم التعرض لمعنى المعجزة في اللغة والاصطلاح، وماذا نقصد بالمعجزة، وما هي شروطها؟ وكان ذلك **بالمطلب الأول، أما بالمطلب الثاني** فكان الحديث عن نبوة محمَّد ﷺ، و**المطلب الثالث** فكان عن أوجه إعجاز القرآن الكريم، وكان **المطلب الرابع** عن معنى الكرامة في اللغة وفي الاصطلاح ورأي ابن عرفة في المسائل المتعلقة بها.

المطلب الأول: حقيقة المعجزة

سيتم التعرض في هذا المطلب لمعنى المعجزة في اللغة وفي الاصطلاح، ثم لرأي المتكلمين ورأي ابن عرفة في المسائل المتعلقة بها.

أولاً- تعريف المعجزة:

أ/ التعريف اللغوي للمعجزة:

عَجْزُ الشَّيْءِ وعِجْزُه وعُجْزُه وعَجُزُه وعَجِزُه: آخِرُهُ وأَعْجاز الأُمور: أَواخِرُها. والمعْجِزَةُ: وَاحِدَةُ مُعْجِزات الأَنبياء، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.[1]

وقد جاء في القاموس المحيط: "أعْجَزَهُ الشيءُ: فاتَهُ، و فلاناً: وجَدَهُ عاجِزًا، وصَيَّرَهُ عاجِزًا، والتَّعْجِيزُ: التَّثْبِيطُ، والنِّسْبَةُ إلى العَجْزِ. و مُعْجِزَةُ النبيِّ ﷺ: ما أعْجَزَ به الخَصْمَ عندَ التَّحَدِّي".[2]

الإعجاز إِفعال من العَجْز الَّذى هو زوال القدرة عن الإِتيان بالشيء من عمل أَو رأْى أَو تدبير، وأَمَّا المعجزة فمختصَّة بزمان النبوّة، خارجة عن العُرْفِ، خارقة للعادة.[3]

فالمعجزة في معناها اللغوي مأخوذة من كلمة " العجز"، ونعني بها إعجاز الخصم عن الإتيان بمثلها أو بما يشابهها وذلك عند التحدي بينهما، فتصبح خارقة للعادة أو لعرف الناس، وتكون في زمان النبوة.

(1). ينظر: لسان العرب، مرجع سابق، ج5، ص: 37.

(2). القاموس المحيط، مرجع سابق، ج1، ص: 516.

(3). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة مصر، 1416هـ. 1996م، ج1، ص: 65.

ب/ التعريف الاصطلاحي للمعجزة:

لقد ذهبت المعتزلة إلى أن المعجزة هي الدليل الوحيد على صدق الأنبياء لذلك لا يجوز ظهور الخوارق إلا لنبيّ فقط يقول القاضي عبد الجبار: "فهو الفعل الذي يدل على صدق المدعي للنبوة".(1)

أما الأشاعرة من جملة تعريفاتها لها قول الباقلاني: "أن صدق مدعي النبوة لم يثبت بمجرد دعواه، وإنما يثبت بالمعجزات، وهي أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الأنبياء، وتحديهم للأمم بالإتيان بمثل ذلك"(2). ويقول الفخر الرازي: " المعجزة عرفا أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة".(3)

فالمعجزة قد اشترط فيها أن تقترن بالتحدي، إذ يتحدى النبيّ النَّاس بمعجزة، فيعجزون عن الإتيان بمثلها، كأن يفعل النبي أو أي رسول أرسله الله شيئاً لم تجر العادة أن يكون في قدرة البشر أو غيرهم ما سوى النبيّين أن يعملوه، كنبع الماء من بين الأصابع وفلق البحر وانشقاق البدر ونحو ذلك مما يأتي فيعجز الناس عن الإتيان بمثله، ويهتدي من شاء الله له الهداية، كما سجد السحرة لما رأوا ما عمل موسى، وآمنوا إيماناً صادقاً، لأن من يرد الله له الهداية إذا رأى تلك الآيات التي تأتي بها الأنبياء يعلم إذ ذاك أنهم صادقون في دعوى النبوة والرسالة، ولأن المعجزة في منزلة صدق عبدي في ما يبلغ عني.(4)

ج/ رأي ابن عرفة في المعجزة: لقد تكلم ابن عرفة عن المعجزة، معرفاً إيّاها:" بأنها أمر خارج عن العادة مقرون بالتحدي، مع عدم المعارضة".(5)

(1). شرح الأصول الخمسة، مرجع سابق، ص: 568.

(2). الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي أبي بكر الباقلاني، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ط2: 1421هـ. 2000م، ص: 58.

(3). لوامع الأنوار، مصدر سابق، ج2، ص: 290.

(4). العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية، أحمد بن حجر آل بوطامي البن علي، دار منهاج السنة، مصر، ط1: 1415هـ . 1994م، ج2، ص: 102.

(5). المختصر الشامل، مصدر سابق، ص: 187.

وأثبت أن المعجزة لا تظهر إلا على يد الرسول، فوجود الرسول متقدم على وجود المعجزة، إلا أن يقال: فرق بين دعوى الرسالة وبين الإيمان بها، فدعوى الرسالة متقدم على المعجزة.(1)

لقد وافق ابن عرفة في تفسيره بحصر الدلالة على النبوة في المعجزة في ذلك الأشاعرة حيث يقول: إنما المعجزة محصلة للعلم بمدلول صدق عبدي؛ لأنها بمنزلة سماع لفظ صدق عبدي"(2) ويقول في نفس المعنى:" أن المعجزة لا تظهر إلا على يد الرسول، فوجود الرسول متقدم على وجود المعجزة، إلا أن يقال: فرق بين دعوى الرسالة وبين الإيمان بها، فدعوى الرسالة متقدم على المعجزة".(3)

ويقول: دلالة المعجزة تثبت بالعقل، ولو ثبتت بالسمع للزم عليه إثبات السمع بالسمع.(4)

وبنفس المسألة نجد ابن عرفة عند نقده للمعتزلة في أقوالهم كان أكثر حدة، فنجده عند تفسيره قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ (سورة الشعراء الآية: 30،31)." قال الزمخشري: في هذه الآية دليل بها أنه لَا يأتي بالمعجزة إلا الصادق في دعواه، لأن المعجزة تصديق من الله تعالى لمدعي النبوة، والحكيم لَا يصدِّق الكاذب، ومن العجب أن مثل فرعون عليه اللعنة لَا يخفى عليه هذا، ويخفى على ناس من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزة.

قال ابن عرفة: تقديره لو لم يجزم العقل بحسن وبقبح؛ لصح صدور المعجزة على يد الكاذب، واللازم باطل والملزوم مثله، وأجاب الطيبي عن ذلك بأن قال: استقرأنا المعجزات كلها فوجدناها لَا تظهر إلا على يد الصادق.

قال ابن عرفة: هذا الكلام دليل على ضعفه في أصول الدين، حيث لم يرد على الزمخشري إلا بالاستقراء، قال: والجواب عن كلام الزمخشري بوجهين:

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 239.
(2). المصدر نفسه، ج1، ص: 449.
(3). المصدر نفسه، ج4، ص: 239.
(4). المصدر نفسه، ج3، ص: 338.

الأول: منع الملازمة؛ لأن دلالة المعجزة أن تنزلت منزلة صدق عبدي وظهورها على يد الكاذب كذب، فيلزم وقوع الخلف في خبره تعالى، وهو باطل وإن لم يتنزل منزلة صدق عبدي فدلالتها إما عقلية أو عادية، والدلالة العقلية في العلوم العادية.

الجواب **الثاني**: بمنع الملازمة؛ لأن ظهور المعجزة على يد الكاذب يوجب تباين الشيء بالشيء، وذلك باطل.[1]

ثانياً ـ شروط المعجزة:

يذكر ابن عرفة في تعريفه للمعجزة، وبيانه لشروطها أنها:

- لابد أن تكون فعلاً لله تعالى.
- وأن تكون خارقة للعادة.
- وأن تسلم عن المعارضة.
- وأن يقع فيها التحدي.
- وألا تظهر مكذبة للنبيّ.[2]

وأضاف كذلك أن من شروط المعجزة الحدوث.[3]

ممّا سبق نخلص إلى أن المعجزة عند الإمام ابن عرفة هي فعل الله تعالى، خارق للعادة متحدى به، سالم من المعارضة يظهره المولى عز وجل على يد النبيّ تصديقاً لدعواه النبوة.

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 241.

(2). المختصر الشامل، مصدر سابق، ص: 187.

(3). ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 341.

المطلب الثاني: نبوة ومعجزة سيدنا محمد ﷺ

إنّ نبيِّنا محمدا ﷺ هو خاتم النبيّين والمرسلين، فلا نبي ولا نبوة بعده، ورسالته هي خاتمة الرسالات السماوية، وهي عامة لجميع المكلفين، من الإنس والجن، في كل زمان ومكان، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن ثم فهي لا تقبل النسخ كالشرائع السماوية التي سبقتها، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة.[1]

إن أكثر ما وقع في القرآن أن مخاطبته ﷺ بصفاته، فقال (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ)، وكذلك (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ)، (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ)، وغير ذلك من الآيات، وما وقع التعبير عنه باسم العلَم، إلا في نحو خمس آيات، وهي قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ)، وقوله تعالى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ)، وقوله تعالى: (وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ)، وقوله تعالى: (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ)، وسبب ذلك أن هذه الصفات ذكرت على سبيل المدح والتشريف، فلذلك كرر هنا ذكرها، والتصريح باسمه العلم إنما هو لتميزه عن غيره فقط.[2]

ويثبت الإمام ابن عرفة للنبي محمد ﷺ ثلاث صفات انفرد بها دون سائر الأنبياء، وهي:

1. أنه أفضل الخلق.
2. أنه أرسل إلى الناس عامة.
3. أنه خاتم الأنبياء و المرسلين.

وفيما يلي تفصيل هذه الصفات:

أولاً. أنه أفضل الخلق: لقد وردت في كتاب الله تعالى آيات تدل على ذلك من بينها قوله تعالى:﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة البقرة الآية:47) وقوله تعالى:﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا

---

(1). العقيدة السلفية والرد على المنحرفين عنها، الطيب بن عمر بن الحسين الجكني، دار ابن حزم، المكتب الإسلامي، بيروت . لبنان، ص: 176.

(2). ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج4، ص: 244.

بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ (سورة البقرة الآية: 253). وقوله سبحانه وتعالى:﴿ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ (سورة الإسراء الآية: 55)؛ فقد ذكر ابن عرفة أن سيدنا محمدا ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق، كما دلت هذه الآيات أيضاً على أن النبي أفضل الأنبياء،(1) قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ ».(2)

وذكر ابن عرفة في ذلك أنه يجب على الإنسان أن يعتقد ذلك ولا يقوله بمحضر الكفار لئلا يقعوا بالنبي ﷺ بتنقيص، فيتركه سداً للذريعة.(3)

ثانياً. أنه أرسل إلى الناس عامة:

والأدلة على عموم رسالته وشمولها كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ﴾ (سورة البقرة الآية: 127. 128) :" زيادة تنبيه على عموم رسالتهﷺ العرب والعجم، لأن ضمير الذرية يعمُّ العرب والعجم، لأن بعض كفار قريش زعم أنه لم يرسل إليهم".(4)

وكذلك قوله تعالى:﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾(سورة الأعراف الآية: 158).

قال ابن عرفة: "كثيرا ما يقع هذا في القرآن فهو مأمور بأن يقول: يا أيها النَّاس، ويسقط لفظ قل، ولكنه هنا مأمور بتبليغ جميع آيات القرآن، هو مأمور بتبليغها للناس، وكان بعضهم يقول: اختصاص بعضها بلفظ قل نبه على أنه أمران: يقول ذلك ليكون إبراء لساحته، وأقلع لنفي التوهم

(1). ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 166، 305

(2) . أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب ذكر الشفاعة، باب ذكر الشفاعة، رقم (4308)، 2/ 1440، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ـ فيصل عيسى البابي الحلبي

(3). ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 305.

(4). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 170.

عنه والنَّاس، قيل: يشمل الجن والإنس، وقيل: خاص بالإنس، والفرق بين هذا وبين رسالة نوح بوجهين:

- **أحدهما**: أن رسالة نوح كانت للإنس فقط.

- **الثاني**: أنها كانت لأهل زمانه فقط؛ وهذه عامة إلى قيام الساعة".[1]

ولا خلاف أن النبيّ ﷺ بعث إلى الإنس والجن.[2]

وود أيضاً في تفسير الآية الكريمة قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء الآية: 107)

قال ابن عرفة: "فعلى الأول تكون الرحمة من فعل الله تعالى، وما أرسلناك إلا لنرحم بك العالمين، وعلى أنه حال الرحمة من صفته، وما أرسلناك إلا لترحم المؤمنين".[3]

ثالثاً. أنه خاتم الأنبياء والمرسلين:

لقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الأدلة على كونه ﷺ النبيّ الخاتم، منها قوله تبارك وتعالى:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾ (سورة الأحزاب الآية: 40) قال ابن عرفة: "ومَن بفتح التاء وكسرها فهو إما اسم جامد أو صفة بمعنى اسم الفاعل، كالخاتم الذي يطبع الكتابة عند كماله[4]، فهذه الآية الكريمة عند علماء الأمة هي نص صريح في أنه لَا نبي بعده، وهو دليل على أنه خاتم النبيين وبالإجماع".[5]

---

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 260.

(2). ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص: 21.

(3). المصدر نفسه، ج3، ص: 176.

(4). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 301.

(5). ينظر: المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 301.

معجزاته:

فمحمد ﷺ ادَّعى الرِّسالة آتياً بالمعجزات، وكلُّ من هو كذلك رسول، أما أنه ادَّعاها، فبضرورة العيان لهم، والتواتر التام لنا والإجماع؛ وأما إتيانه بالمعجزات، فمعجزاته ﷺ سوى القرآن الكريم كثيرة أفرد العلماء لها كتباً.[1]

والقرآن الكريم هو من أعظم آياته وأكبر معجزاته، فالقرآن كله مأمور بقوله وتبليغه، وتخصيص ما خصص منه بالأمور بقوله قل، قيل إما تعظيماً لأمره أو تهويلاً لحاله واعتناء بشأنه، وهو ﷺ مأمور بتبليغ لفظه لأمته وبالعمل به،[2] لكنَّه غير مكلف بتطبيق أمته لهذا التبليغ، أي أن النبي ﷺ إذا حفظ القرآن ما هو مأمور بتبليغه لأمته فإذا بلغه ولم يؤمنوا مع حرصه على إيمانهم، وتعلق قلبه بذلك يقع في قلبه لأجل ذلك غمَّ، لأجل أن تبليغه ذلك لهم لم ينفع فيهم.[3]

وأما المتكلمون، فقالوا: إن القرآن على ثلاثة أقسام؛ قسم في صفات الله وما يجوز له وما لَا يجوز، وقسم في أمور الدنيا، وقسم في أمور الآخرة، و (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) تضمنت القسم الأول فقط، ولذلك سميت سورة الإخلاص (لأنها جمعت أو خلصت لصفات الله)، وأما (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) فيضاف إلى هذه الأقسام الثلاثة قسم رابع، وهو أن التعبد لَا يصح له الإخلاص حتى يتبرأ من كل معبود سوى الله، و (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) ليس أكبر من البراءة، وأما (إِذَا زُلْزِلَتِ) فالقرآن يشتمل على أمور الدنيا وأمور الآخرة، وهذه لم تتضمن غير أمر الآخرة فكلفت بعدل نصفه.

ولا شك أن القرآن له من التعظيم والشرف بالنبيّ ﷺ، وبالإعجاز ما ليس لغيره،[4] وهو ما سيتم بيانه في العنصر الموالي.

---

(1). ينظر: المختصر الكلامي، مرجع سابق، ص: 944.

(2). ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 256؛ ج4، 353.

(3). ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص: 211.

(4). ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص: 76، 336، 337.

المطلب الثالث: أوجه إعجاز القرآن الكريم

المعجزة آية يبدعها الله تعالى، فكل ما يبدعه الله تعالى معجزة لا تستطيع المخلوقات الإتيان بمثلها.

وعلينا أن نميّز بين معجزة تتعلق بقدرة الخالق سبحانه وتعالى، ومجردة عن تصديق مناهج الله تعالى التي يرسلها للمُكَلَّفين بعبادته، من جهة وبين معجزة مصدقة لمنهج من مناهج الله تعالى التي يرسلها من خلال رسله عليهم السلام، من جهة أخرى.

المعجزة المصدِّقة للمنهج الذي يرسله الله تعالى للمكلَّفين بعبادته: هي خرق للناموس الذي اعتاد عليه أولئك المكلَّفون، بحيث تتحقق في الوقت ذاته مسألتان:

أولاً. أن ينتمي ظاهر هذه المعجزة إلى عالم الشهادة الذي يدركه المكلفون فيقرون بعجزهم عن الإتيان بمثلها.

ثانياً. أن لا يحيط بسرها إلا الله تعالى، فلو استطاع المكلَّفون الإحاطة بسرها لاستطاعوا الإتيان بمثلها، وبالتالي لما كانت المعجزة معجزة أصلاً.

ففي المعجزة القرآنية يقول الله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (سورة البقرة الآية:23)

ويقول تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾(سورة الإسراء الآية:88)

فعجز الإنس والجن عن الإتيان بنص كالنص القرآني، هو نتيجة كون النص القرآني معجزة موجودة بين أيدي المكلَّفين، ولا يستطيعون الإحاطة بسر صياغته، ولا الإحاطة بحدود دلالاته، ولا حتى الوقوف على نهاية معاني كلماته.[1]

(1)- المعجزة الكبرى، عدنان الرفاعي، دار الخير، دمشق . سوريا، ط1: 2006م، ص:16. 17.

فالمعجزة المعنوية الخالدة هي القرآن الكريم، وهو كلام الله تعالى المنزل على نبيّنا محمد ﷺ بلفظ عربي مبين، للتعبد بتلاوته والتحدي بأقصر سورة منه.

والقرآن هو الآية الكبرى على نبوة خاتم الرسل محمد عليه الصلاة والسلام بل هو آية مشتملة على آيات كثيرة، فالقرآن في جملته آية علمية، وفي تفصيله آيات كثيرة، عقلية وكونية، وهي دائمة لا تزول، وعامة لا تختص بعصر أو أمة.(1)

فإن اعترض أعجمي بأن يقول: من أين يبين لي هذا الرسول الشريعة وأنا لا أفهمه؟ قيل له: أهل المعرفة باللسان يعبرون ذلك، وفي ذلك كفايتك. فإن قال: ومن أين تتبين لي المعجزة وأفهم الإعجاز وأنا لا أفقه اللغة؟ قيل له: الحجة عليك إذعان أهل الفصاحة، والذين كانوا يظن بهم أنهم قادرون على المعارضة وبإذعانهم قامت الحجة على البشر، كما قامت الحجة في معجزة موسى بإذعان السحرة، وفي معجزة عيسى بإذعان الأطباء.(2)

إعجاز القرآن مركب إضافي، معناه بحسب أصل اللغة: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به. فهو من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به، ولكن التعجيز المذكور ليس مقصودا لذاته، بل المقصود لازمه وهو إظهار أن هذا الكتاب حق، وأن الرسول الذي جاء به رسول صدق.(3)

وذكر الإمام الباقلاني أن إعجاز القرآن الكريم يكون من ثلاثة وجوه هي:

- **الوجه الأول:** يتضمن الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه، فمن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام، أنه سيظهر دينه على الأديان،

(1). العقيدة السلفية، مرجع سابق، ص: 168. 169.

(2). المحرر الوجيز، مرجع سابق، ج3، ص: 323.

(3). مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة. مصر، ط3، ج2، ص: 331.

بقوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ (سورة التوبة الآية : 33)

- **الوجه الثاني**: من وجوه إعجاز القرآن الكريم أمية النبي ﷺ، فقد كان لا يكتب ولا يقرأ وما كان يعلم شيئا من كتب المتقدمين وأنبائهم وسيرهم، وفجأة يتحدث عن أخبارهم وأحوالهم بتفصيل لا يعلمه حتى الحذاق من أهل الكتاب منهم، وصدق الله إذ قال فيه:﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ (سورة العنكبوت الآية: 48)
- **الوجه الثالث**: من إعجاز القرآن هو أنه بديع النظم، عجيب التأليف، وصل في كمال البلاغة الحد الذي يعلم به عجز الخلق عن الإتيان به، ومن إعجاز القرآن في هذا الشأن وهو عجيب نظمه، وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها: من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج، وحكم وأحكام، وإعذار وإنذار، ووعد ووعيد، وتبشير وتخويف، وأوصاف، وتعليم أخلاق كريمة، وشيم رفيعة، وسير مأثورة. وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها.[1]

وقد أشار ابن عرفة إليه قائلاً: "ونحوه ذكر القاضي أبو بكر الباقلاني في تأليفه في إعجاز القرآن الكريم، وزاد أنه لا يشترط في إعجازه التحدي به إلا للعوام، المعجز المشتمل على أخبار الصدق والمواعظ الحسنة".[2]

وتحدث ابن عرفة عن إعجاز القرآن الكريم في تفسيره في مواضع متعددة مستعرضاً في ذلك الأقوال المختلفة، مشيرا وموافقاً للباقلاني برأيه ومبينا رأيه في أوجه الإعجاز التي تضمنها القرآن الكريم، ذاكراً منها الفصاحة والبلاغة، والأسلوب والنظم.

(1). ينظر: إعجاز القرآن ، أبو بكر الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف. مصر، ط3، ص: 33. 36.
(2) . تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 388.

وقد أشار ابن عرفة إلى ذلك مستدلا بقول ابن عطية، قال :" قال ابن عطية: ثم اختلفوا فقال الأكثر من مثل نظمه ورصفه وفصاحة معانيه التي يعرفونها ولا يعجزهم إلا التأليف الذي خصّ به القرآن، وبه وقع الإعجاز على قول حذاق أهل النظر[1]".[2]

ابن عرفة يرجح قول ابن عطية ويعتبر أن وجه الإعجاز فيه عدم القدرة على التأليف مع معرفتهم بالنظم وفصاحة المعنى وهذا ما صرح به ابن عرفة:" وأما علماء العرب وفصحاؤهم فهم إن يسمعوا شيئا عنه يدركون إعجازه بفطرته لما جبلوا عليه من الفطنة".[3]

ومن وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، التي تعرض لها ابن عرفة:

*كثرة استعمال أسلوب اللف والنشر.

* مراعاة التجنيس.

* الدقة في استعمال أسلوب الالتفات.

* استعمال التقديم والتأخير.

* التشبيه والاستعارة.

أما عن الأفانين الجديدة التي أبدعها القرآن الكريم فمنها:

* الجمع بين مقصد الموعظة ومقصد التشريع.

* بداعة التنقل من فن إلى فن.

* اتساع أدب اللغة، يقول:" وهو أنه من التفنن في الكلام لأنه لو أجري على أسلوب واحد لم يكن فيه تلك اللّذاذة وإذا اختلف أسلوبه ألقى السامع إليه سمعه وهو تنبيه وطلب إحضار ذهنه من قريب ومن بعيد"[4].

---

(1). المحرر الوجيز، مرجع سابق، ص: 106.
(2). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 70.
(3). المصدر نفسه، ج4، ص: 303.
(4). ينظر: المصدر نفسه،ج1، ص: 39.

وقد اهتم ابن عرفة كثيراً بهذين المظهرين من إعجاز القرآن الكريم، فحين حديثه عن الإعجاز البلاغي تعرض لاختلاف العلماء في القول بالصرفة[1]، راداً عليهم بأنه لو كان كذلك لوجد مثله في كلامهم، فيرى ابن عرفة أن معنى الصرفة أن تقول دليل كرامتي أني أقوم من هناك إلى هنا وتعجزون أنتم عن ذلك، فحاصله أن تعجزهم عن شيء هو من مقدورهم، وعين الصرفة مثل أن يقول: دليل كرامتي استطاعتي؛ أثبتها المعتزلة، ونفاها أهل السنة".[2]

ورد القول بالصرفة كثير من الأشاعرة نذكر منهم الرازي، فقد أبطل الصرفة من ثلاث وجوه:

الأول: لو كان الله تعالى سلبهم القدرة عن المعارضة بعد أن كانوا قادرين، لما استعظموا فصاحة القرآن، بل كان يجب أن يكون تعجبهم من تعذر ذلك عليهم بعد أن كان مقدوراً عليه.

الثاني: وهو أنه لو كان كلامهم مقارباً في الفصاحة قبل التحدي لفصاحة القرآن لوجبَ أن يعارضوه.

الثالث: أن نسيان الصيغ المعلومة في مدة يسيرة يدل على زوال العقل، ومعلوم أن العرب مازالت عقولهم بعد التحدي.[3]

ومن وجوه إعجاز القرآن أن القرآن الكريم المعجزة الخالدة يشتمل الإخبار بالغيوب السابقة واللاحقة، فلو اجتمع الإنس والجن على أن يجيئوا ببعض الغيوب أو يغيروه عن معانيه بألسنتهم لما أتوا بمثله، فهم ظنوا أن النبي ﷺ يعلم المغيبات ولا يخفى عليه شيء فأخبر الله تعالى أنه لا يعلم إلا ما علمه الله وإن هذا من الغيب، الذي استأثر الله بعلمه، ولم يطلع عليه أحد.[4]

(1)- الصرفة معناها أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكان هذا الصرف خارقا للعادة، وبهذا يكون الصرف هو المعجز لا القرآن، والصرفة لها وجهان أولا: أن الله صرفهم عن القدرة ولو قدروا لعارضوه. ثانيا: أن الله صرفهم عن المعارضة مع دخوله في مقدورهم. ينظر: أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، دار ومكتبة الهلال، بيروت . لبنان، ط1: 1409هـ، ص: 89.

(2) . ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق ، ج2، ص: 340.

(3). نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تحقيق: نصر الله حاجي، دار صادر، بيروت . لبنان، ط1: 1424هـ . 2004م، ص: 26 . 27.

(4). ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 75، 258.

فيضاف إلى الأمور الغيبية إخبار القرآن الكريم عن تاريخ القرون الماضية أو ما يسمى: الإعجاز التاريخي، فقد كانت هذه الأخبار دليلاً قوياً، ووصف عليه الصلاة والسلام بكونه أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، وهذا كمال في حقه.[1] الإعجاز لا يكون إلا للقرآن، فمثلا التوراة غير معجزة، وإنما الإعجاز بالقرآن فقط إنّها معجزة باعتبار اشتمالها على الإخبار بالمغيبات؛ الإعجاز فيها حينئذ ليس هو من حيث المجيء بها بل من حيث الإخبار بالمغيبات فقط. فالقرآن بيّنة لكونه بإعجازه شاهد على صدق الرسول، فالرسول مدع له على دعواه بينة وهدى؛ لأنه مرشد إلى الطريق الحق ورحمة.[2]ويجب على الإنسان الإنصات والاستماع، والاستماع هو استحضار الذهن لسماع القرآن والذي مهما تكرر فلن تمله، أما الانصات فهو القصد إلى الصمت لا مجرد الصمت.[3]

إن القرآن مقطوع بصحته ووروده من عند الله ﷻ، إما لأنه معجز ودليل الإعجاز يقطع هذا كله، وإما التواتر والإجماع على أن هذا الذي نحن نقرؤه هو قرآن صحيح، وارد من عند الله ﷻ،[4] لقوله تعالى:﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (سورة الحجر الآية:9).

قد كان تركيز الإمام على إثبات صحة وإعجاز القرآن ونبوة سيدنا محمد ﷺ على وجه الخصوص كبيرا، وذلك لأن إثبات نبوته ﷺ إثبات لباقي نبوات الأنبياء الذين بشروا بقدومه عليه الصلاة و السلام.

---

(1). ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 147، 357.

(2). ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص: 203.

(3). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 274.

(4). ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص: 194.

المطلب الرابع: كرامات الأولياء

سيتم التعرض في هذا المطلب لمعنى الكرامة في اللغة وفي الاصطلاح، ثم لرأي المتكلمين ورأي ابن عرفة في المسائل المتعلقة بها.

أولاً. تعريف الكرامة:

أ/ الكرامة في اللغة:

الكرامة مصدر كَرُم الكاف والراء والميم أصل صحيح له بابان: أحدهما شرف في الشيء في نفسه أو شرف في خلق من الأخلاق.[1]فالكرم ضد اللؤم، ونقول رجل كرم، أي الكريم الواسع الخلق.[2]

والكرامة: اسم يوضع للإكرام، كما وضعت الطاعة موضع الإطاعة.[3]

وعرفها صاحب تاج العروس: "الكرامة أمر خارق للعادة غير مقارن بالتحدي ودعوى النبوة".[4]

نستنتج ممّا سبق أن الكرامة هي المكانة العالية التي اختص بها الله سبحانه وتعالى أهل الشرف والكرم، لما لهم من ميزات وصفات وأخلاق رفيعة عن بقية البشر.

ب/ الكرامة في الاصطلاح:

"الكرامة هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونًا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجًا." [5]

ويعرفها أحدهم بقوله: "الكرامة وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم".[6]

---

(1). مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج5، ص: 171. 172.

(2). القاموس المحيط، مرجع سابق، ج1، ص: 1153.

(3). لسان العرب، مرجع سابق، ج12، ص: 512.

(4). تاج العروس، مرجع سابق، ج33، ص: 350.

(5). التعريفات، مرجع سابق، ص: 184.

(6). لوامع الأنوار البهية، مرجع سابق، ج2، ص: 392.

ومن التعاريف السابقة نستنتج أن الكرامة هي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة، ويكون على يد انسان مؤمن صالح تقي.

ثانيا . موقف المتكلمين من الكرامة:

لقد اختلفت آراء المتكلمين حول مسألة كرامات الأولياء بين منكر وناف لها، وبين مثبت ومُجَوِّز لها، ومن هذه الآراء:

ذهب أكثر المعتزلة إلى إنكار الكرامة، وقالوا: لو صحت الكرامة لاشتبهت بالمعجزة فيؤدي إلى التباس النبي بالوليِّ، وذلك لا يجوز. وهذه الدعوى إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق، ويدَّعي النبوة، وهذا لا يقع، ولو ادَّعى النبوة لم يكن وليًّا، بل كان متنبِّئاً كذَّاباً.[1]

وقد ناقش القاضي عبد الجبار مثبتي الكرامات، وذلك أنه لو جاز أن تظهر الكرامة (المعجزة) على الصالحين لكان ظهورها في السلف الصالح من كبار الصحابة أولى قال:" وقد صح وثبت بتواتر الأخبار أنها لم تظهر عليهم ولأن القوم لم يدعوا ذلك فيهم".[2]

أما الأشاعرة فقد ذهبوا إلى جواز كرامة الأولياء، وقالوا بأن ذلك جائز؛ فإنه يرجع إلى خرق الله تعالى العادة بدعاء إنسان أو عند حاجته، وذلك مما لا يستحيل في نفسه لأنه ممكن، ولا يؤدي إلى محال آخر، فإنه لا يؤدي إلى بطلان المعجزة لأن الكرامة عبارة عما يظهر من غير اقتران التحدي به، فإن كان مع التحدي فإنا نسميه معجزة ويدل بالضرورة على صدق المتحدي؛ وإن لم تكن دعوى فقد يجوز ظهور ذلك على يد فاسق لأنه مقدور في نفسه.[3]

فالأشاعرة قد أجازوا وقوع الكرامة، وأنها تكون للولي مثل النبيّ جائز وقوعها، وفي ذلك يقول الجويني:" وصار بعض أصحابنا إلى أن ما وقع معجزة لنبي لا يجوز وقوعه كرامة لولي، فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحر، وتنقلب العصا ثعبانا، ويحي الموتى كرامة لولي، إلى غير ذلك من آيات

(1). لوامع الأنوار البهية، مرجع سابق، ج2، ص: 753.
(2). المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي أبي الحسن عبد الجبار، تحقيق: محمود محمد قاسم، ج15، ص: 241.
(3). الاقتصاد في الاعتقاد، مرجع سابق، ص: 107.

الأنبياء، وهذه الطريقة غير سديدة أيضاً، والمرضي عندنا تجويز جملة خوارق العوائد في معارض الكرامات".[1]

ثالثاً ـ رأي ابن عرفة في الكرامة:

لقد وضح ابن عرفة بمجالس تفسيره معنى الكرامة بأنها أمر خارق للعادة يظهر على يد الولي العارف بالله تعالى، وبأنها تقع بدون دعوى، فالكرامة غير مقرونة بدعوى النبوة، وصلاح النبي أعلى من صلاح الولي[2]، ويقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾ (سورة الجن:26 .27):" الزمخشري: في الآية إبطال كرامات الأولياء؛ يرد بأن لَا يلزم من نفي الخاص نفي العام، و نقول: هذا عام مخصوص بكرامات الأولياء، أو نقول: الحاصل لهم ظن لَا علم".[3]

ولما كانت الكرامة خارقة للعادة مثلها مثل المعجزة لزم توضيح الفرق بينها وبين المعجزة.

رابعاًـ الفرق بين المعجزة والسحر والكرامة:

1/ الفرق بين المعجزة و الكرامة:

ذهب الإمام ابن عرفة إلى أن الكرامة أمر خارق للعادة يظهر على يد الولي العارف بالله تعالى، وبأنها تقع بدون دعوى، فالكرامة غير مقرونة بدعوى النبوة، حيث يرى الإمام أن النبي أفضل من الولي وأشرف، فصلاح النبي أعلى من صلاح الولي، وأن الولي لا يطلع على الغيب، والكرامة لا تتعلق بعلم ذلك، فلا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى.[4]

وهذا الذي قرره الإمام ابن عرفة هو الذي دلت عليه نصوص القرآن ودرج عليه أهل السنة، يقول ابن أبي العز في كتابه شرح الطحاوية: "المعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة، وكذلك الكرامة في عرف أئمة العلم المتقدمين، ولكن كثيرا من المتأخرين يُفرِّقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبي والكرامة للولي، وجُمَّاعُها الأمر الخارق للعادة".[5]

(1). الإرشاد، مرجع سابق، ص: 252.
(2). ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 258، 259، 366.
(3) . المصدر نفسه، ج4، ص: 310.
(4). ينظر: المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 258، 259، 366؛ المختصر الشامل، مرجع سابق، ج1، ص: 197.
(5). شرح العقيدة الطحاوية، مرجع سابق، ج2، ص: 746.

وبهذا ينجلي الفرق بين المعجزة والكرامة، وأن الكرامة هي هبة إلهية خاصة بمجموعة من الناس الذي قال الله تعالى فيهم: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٦٤ ﴾ (سورة يونس الآية: 62-64) لَا يخافون لأن تفوتهم الجنَّة، ولا يتعلق عزمهم إلا بطاعة الله لَا يطمعون في جنَّة، ولا يخافون فواتها، ولا يحزنون على نقص لذاتهم في الدنيا.[1] فابن عرفة لم يذكر جميع الفروق المعروفة بين المعجزة والكرامة كما أنَّه أشار الى الفرق بين المعجزة والسحر.

2/ الفرق بين المعجزة والسحر:

بعد أن بيّن الإمام ابن عرفة معنى المعجزة، تطرق لمعنى السحر وبيّن الفرق بينه وبين المعجزة، واعتماداً على مذهبه الأشعري نجده حدد الفرق بين المعجزة والسحر عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ۝٨٠ ﴾ (سورة يونس الآية:80) .

قال ابن عرفة: "إن المعجزة هي ظهور الأمر الخارق للعادة في الخارج وفي نفس الأمر، والسحر هو الأمر الوهمي المخالف لما في نفس الأمر، وجاءت هذه على عكس هذه القاعدة، لأنها إذا كانت بيضاء للناظرين فقط، فبياضها وهمي مخالف لما في نفس الأمر، وإن كان معجزة فهي بيضاء فقط؛ لأن بياضها موقوف على الناظرين من هولهم، ولما في نفس الأمر، قلت: لعل المراد بالناظرين النظر المعنوي، وهو التدبر فيها والتفكر في دلالتها".[2]

وأضاف أيضاً: والصحيح الذي كان يمشي لنا في حدة أنه أمر ينشئ عنه باعتبار قصد فاعله على أوضاع مخصوصة أثر خارق للعادة بذاته أو بنسبته إليه، فقوله: بذاته كالطيران في الهواء،

(1). ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 348.

(2). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 243.

والمشي على الماء؛ فإنه خارق للعادة بذاته، وقولنا: أو بنسبته إليه كالتمريض، فإن المريض بذاته أمر معهود، وإنما هو خارق للعادة بالتشبه إلى حدوثه عن فعال فعلها الساحر.(1)

فهو يرى بأن المعجزة أمر خارق للعادة لا يستطيع أحد أن يأتي مثلها أو بما يشابهها، أو حتى يعارضها، أمّا السحر فهو أمر وهمي يخالف المعتاد أو ما تعارف عليه النَّاس، لكن يمكن الاتيان بمثله، ومعارضته كذلك.

والفارق الثاني بينهما هو حكمهما بتكفير الساحر وإثبات الكرامة للولي، وهو ما أشار اليه ابن عرفة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ (سورة البقرة الآية: 102):" وتعلم السّحر واعتقاده حقا كفر، وأما تعلمه من غير اعتقاد حقيقة ففي التكفير به قولان، وظاهر المتكلّمين التكفير".(2)

مما سبق يستشف من كلام ابن عرفة أن المعجزة والكرامة تتفقان في أن كليهما أمر خارق للعادة ولا يستطيع أي شخص الإتيان بمثلها، ويختلفان في أن المعجزة يظهرها المولى عز وجل على يد النبيّ، أمّا الكرامة فتظهر على يد ولي صالح تقي.

(1) تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج3، ص: 148.
(2) المصدر نفسه، ج1، ص: 153.

المبحث الرابع: موقفه من التفاضل بين الأنبياء

لقد أشار الإمام ابن عرفة في مجالس تفسيره إلى أن الله تعالى قد خلق كل المخلوقات وفاضل بينهم؛ ومن أجل ذلك قسمت المبحث إلى مطلبين: **الأول** كان عن المفاضلة بين الأنبياء والملائكة، أما **المطلب الثاني** فكان عن المفاضلة بين الأنبياء.

المطلب الأول: المفاضلة بين الأنبياء و الملائكة

الإيمان بالملائكة هو الأساس الثاني من أسس العقيدة الإسلامية، وهم من المخلوقات العظام الذين خلقهم الله من نور قبل خلق أبينا آدم ـ عليه السلام ـ بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (سورة البقرة الآية:30).

وقد وصفهم الله بأكمل الصفات وأزكاها، حيث قال سبحانه في رده على الكافرين الملحدين الذين جعلوا الملائكة إناثاً: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ﴾ رد عليهم بقولهم:﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾(سورة الانبياء الآية: 26ـ 28).

كما قال في وصفهم أيضاً:﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (سورة الانبياء الآية:19ـ 20).

وقال ـ جل وعلا ـ (سورة غافر الآية: 7).[1]

لقد تكلم ابن عرفة عن التفضيل بين الأنبياء والملائكة[2] وذكر رأيين في هذه المسألة:

(1) ـ الحياة في ظل العقيدة، زين بن محمد بن هادي المدخلي، دار المنهاج، القاهرة ـ مصر، 1424هـ ـ 2004م، ص: 29 ـ 30.

(2) ـ عرف الإمام ابن عرفة الملائكة بأنها أجسام لطيفة متحيّزة (متنقلة) كبني آدم... ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 808.

الرأي الأول: ذكر رأي أكثر الأشاعرة والشيعة، وهو أن الأنبياء أفضل من الملائكة وفي ذلك يقول صاحب كتاب الأربعين: "مذهب أصحابنا والشيعة أن الأنبياء أفضل من الملائكة".(1)

وقد احتج القائلون بتفضيل الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بوجوه وهي:

أولاً: آدم كان مسجوداً له من جهة الملائكة بآي من القرآن، والمخدوم بأفضل أنواع الخدمة أفضل من الخادم.(2)

ثانياً: آدم كان أعلم من الملائكة، لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ (سورة البقرة الآية:31) إلى قوله: ﴿ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ ﴾ (سورة البقرة الآية: 33)، والأعلم أفضل لقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ (سورة الزمر الآية: 9).

ثالثاً: طاعة البشر أشق؛ لأنها مع موانع الشَّهوة والغضب، ولأن بعض تكاليفهم مبنيٌّ على الاستنباط، وبعضها على النصوص **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ (سورة الحشر الآية: 2) وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ (سورة النساء الآية: 83)، ولأنهم ابتلوا بوسوسة الشيطان وشبهات كثيرة.

رابعاً: قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ﴾(سورة آل عمران: 33) ، والعَالَمُ: كُلُّ موجود سوى الله، ترك العمل به فيمن ليس نبيئا من الإنس وبقيَ ما عداه على الأصل.(3)

أما **الرأي الثاني** :

فهو رأي الفلاسفة والمعتزلة وبعض الأشاعرة كالباقلاني أن الملائكة أفضل من الأنبياء فقد اختلفوا في هذه المسألة، فقال بعضهم: الأنبياء أفضل من الملائكة الذين عصوا ربهم كهاروت

(1) الأربعين، مرجع سابق، ص: 177.

(2) ينظر: المختصر الكلامي، مرجع سابق، ص: 966.

(3) ينظر: الأربعين، مرجع سابق، ص: 177، 178؛ المختصر الكلامي، مرجع سابق، ص: 966، 967.

وماروت، وأما الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فهم أفضل من الأنبياء، وقال بعضهم: الملائكة أفضل من جميع الناس.(1)

واحتجوا بوجوه وهي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ (سورة النساء الآية: 172)، ولولا ذلك لما حَسُنَ العطف.

ثانياً: نص قوله تعالى: ﴿ كُلٌّ ءَامَنَ ﴾ (سورة البقرة الآية: 285)، وقوله عز وجل: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (سورة آل عمران الآية: 18)، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ (سورة الأحزاب الآية: 56)، وقوله عز قائلا: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ (سورة الحج الآية :75) في تقديم ذكرهم على الرسل، والتقديم في الذكر دليل على التقديم في الشرف.

ثالثاً: فيها قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (سورة الأنبياء الآية: 19)، احتج بعدم استكبار الملائكة عن عبادته على البشر، وإنما يصح ذلك إذا كانت الملائكة أفضل؛ فإن الملك إذا أراد تقرير وجوب طاعته على الرعية يقول: الملوك لا يستكبرون عن طاعتي، فكيف بهؤلاء الضعفاء؟ ولأن المراد بالعنديَّة الفضيلة؛ لامتناع الجهة.

رابعاً: قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ (سورة الأنعام الآية: 50)، وقوله ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ ﴾(سورة الأعراف الآية: 20) يدل على أن الملك أفضل.(2)

خامساً: الملائكة رسل الله إلى أنبيائه؛ لقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ (سورة الشعراء الآية: 194.193)، وقوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ (سورة النجم الآية:5)، فكانوا أفضل لأن رسول البشر أفضل من أمته، فكذا هنا، والمعلم أفضل من المتعلم.(3)

---

(1). ينظر: أصول الدين، مرجع سابق، ص: 172.

(2) . ينظر: الأربعين، مرجع سابق، ص:181. 185؛ المختصر الكلامي، مرجع سابق، ص: 967، 968.

(3). ينظر: المختصر الكلامي، مرجع سابق، ص: 968.

سادساً: الملائكة مبرَّؤون عن الشهوة والغضب والوهم والخيال.(1)

أما رأي الماتريدية في هذه المسألة فذهبوا إلى أن الأنبياء أفضل من الملائكة وفصلوا في ذلك فقالوا: الأنبياء أفضل من رؤساء الملائكة كجبريل وميكائيل، ورؤساء الملائكة أفضل من عوام البشر وهو أولياؤهم غير الأنبياء كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وليس المراد بعوام البشر ما يشمل الفساق؛ فإن الملائكة أفضل منهم على الصحيح.(2)

وقد شارك الإمام ابن عرفة الأشاعرة في تكافؤ الأدلة، وعدم القطع فيها وهذا عند تفسيره للآيات القرآنية، حيث يقول في معرض تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ﴾ (سورة النساء الآية: 172) قال ابن عطية، والزمخشري: وأخذوا منه أن الملائكة أفضل من سائر الأنبياء ومن عيسى. فقال ابن عرفة، إنما التفضيل بينهم مطلقا في الدنيا والآخرة.(3)

ويظهر رأيه أيضا من خلال ما ورد في تفسير هذه الآية الكريمة قوله تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(سورة المعارج الآية: 19) فإن قلت: "يؤخذ من الآية أن الملائكة أفضل من البشر، لأن من خلق غير هلوع أفضل؟ قلت: إنما يصح هذا لو كان التفضيل عندنا عقلا صحّ ما قلتَ؛ وإنما هو شرعي، ولا امتناعَ من خلقه هلوعا وضعيفا ومن عجَل، مع تشريفه!؛ لأن اللَّه تعالى يفعل ما يشَاء ويحكم ما يريد".(4)

وأثبت رأيه الآخر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾ (سورة البقرة الآية: 34):"واحتج بعضهم بهذا أن الأنبياء أفضل من الملائكة. فأجاب ابن عرفة: إنما يؤخذ منه تشريف آدم وتكرمته، لا أنه أفضل وإنما يلزم ذلك لو كان السجود له لذاته. ونقل ابن عطية: أن الأكثرين على أن الملائكة أفضل من بني آدم".(5)

(1) . ينظر: الأربعين، مرجع سابق، ص: 196؛ المختصر الكلامي، مرجع سابق، ص: 968.

(2) . حاشية البيجوري، مرجع سابق، ص: 218.

(3). ينظر: تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج2، ص: 75، 76.

(4) . المصدر نفسه، ج4، ص:289.

(5). المصدر نفسه، ج1، ص:99. 100.

ويرى أن الملائكة ليسوا مكلَّفين وأن آدم عليه السلام مثله مثل بقية الأنبياء مأمور بالتبليغ، وذلك عند قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣ ﴾(سورة البقرة الآية: 33): "قال ابن الخطيب: إنّه احتجّ بها من قال: إنّ آدم عليه السلام رسول، ورده لأن الأنبياء معصومون وهو قد أهبط بعد ذلك من الجنة لأكله من الشجرة فلا يصح كونه رسولا. قال ابن عرفة: الرسول مأمور بتبليغ التكاليف لأمته، والملائكة ليسوا مكلفين بإجماع، وأيضا فالتبليغ إنما هو مع الغيبة والله تعالى خاطب الملائكة خطاب مشافهة فلا فائدة في الإرسال إليهم". [1]

فالواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيّين، وليس علينا أن نعتقد أيَّ الفريقين أفضل، فإن هذا لو كان من الواجبات لبين لنا نصًّا، وقد قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ (سورة المائدة الآية: 3) وقال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴾ (سورة مريم الآية: 64)، فالسكوت عن هذه المسألة أولى، وخصوصاً أنها لا يتوقف عليها أصل من أصول العقائد، ولا يتعلق بها من الأمور الدينية كثير من المقاصد.[2]

المطلب الثاني: المفاضلة بين الأنبياء

لقد أجاز العلماء تفضيل الرسل والأنبياء بعضهم على بعض؛ فأفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ[3]، قَالَ تَعَالَى:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ (سورة الشورى الآية:13)، وقَالَ تَعَالَى:﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى

(1). تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 98.

(2). شرح العقيدة الطحاوية، مرجع سابق، ج2، ص: 411 . 413.

(3). الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، مرجع سابق، ص: 10.

ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ (سورة الأحزاب الآية: 7. 8).

يرى ابن عرفة ـ رحمه الله ـ جواز المفاضلة بين الأنبياء، ويستدل على ذلك بقوله تبارك وتعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾ (سورة البقرة الآية: 253).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ٥٤ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ (سورة الإسراء: 54. 55).

يستنتج ابن عرفة أن هذه الآيات إعلام بأن الله تعالى فضل بعض الرسل على بعض، على وجه الإجمال دون تعيين الفاضل من المفضول، فيقول: "فهذا التفضيل إما مطلقا أي بعضهم أفضل من بعض مطلقا، أو من وجه دون وجه، فبعضهم أفضل من بعض في شيء، والمفضول في ذلك أفضل من الفاضل في شيء آخر، فهل هو كالأعم مطلقا أو كالأعم من وجه دون وجه، والظاهر الأول. فلا يعارض هذا لأن الآية اقتضت تفضيل بعضهم على بعض من غير تعيين الفاضل من المفضول"(1).

ويستدل على عدم التفضيل التفصيلي بقوله ﷺ: " لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ"(2) وبحديث آخر وهو: "لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى"(3)، أي إعلام الله له أنه أفضل ولد آدم أو يكون على طريق الأدب والتواضع، أو المراد: لا تفضّلوا بينهم في النبوة وإنّما تفضيلهم

(1) . تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 305.

(2) . أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل موسى عليه السلام، رقم (2373)،4/ 1843، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان.

(3). أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى" وهل أتاك حديث موسى"، رقم (3395)، 153/4. وأخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السلام، وقول النبيّ ﷺ :«لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى»، رقم (2377)، 1846/4.

بخصائص خص الله بها بعضهم كما قال:[1]﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ (سورة البقرة الآية:253).

أما تفضيل الرسول ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين، فهو ثابت من خلال نصوص القرآن التي فضلته؛ وقد ذكر الله تعالى محمدا ﷺ تشريفا له، وروي أنه قال: "كُنْتُ أول النبيِّن فِي الخَلْق وَآخرهم فِي البَعْث".[2]

وقد أشار ابن عرفة بمجلسه للتفسير أن بعض الرسل أوتي ما لم يؤته النبيﷺ لا ينافي كون النبي ﷺ أفضل الخلق، لأن المفضول قد يختص بفضيلة هي ليست في الفاضل كما قالوا: إن أفضل الصحابة أبو بكر مع أن لبعضهم من الخصوصيات ما ليست في أبي بكر، وكذلك كون عيسى اختص بإحياء الموتى، وموسى بالكلام لا ينافي كون النبي ﷺ أفضل منهم، وكذلك قوله في سورة النجم ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ٣٧﴾، وتكليم الله للرسل ليس بمعجزة، وكذلك رفع الدرجات مشترك بينهم، فلذلك لم يسنده إلى معين؛ ولما كان إيتاء البينات والتأييد خاصا بروح القدس أسنده إلى عيسى، وكل رسول أيّده الله بروح القدس وهو جبريل، فمثلاً عيسى اختص من ذلك بقدر زائد من صغره إلى كبره لتكونه من نفخ جبريل عليه السلام في فرج مريم وتكلّمه في المهد.[3]

واستدل على ذلك بقوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٠ ﴾ (سورة المائدة الآية: 20).قال: "هذه دلالة ظاهرة وليست نصا، ولا ينبغي أن يصرح بكونهم أفضل من أمة محمد ﷺ ولا في خصلة واحدة".[4]

---

(1) . تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 306.

(2). أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، عن أبي هريرة، رقم 2662، 34/4، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، رقم 661، 115/2.

(3) . تفسير ابن عرفة، مصدر سابق، ج1، ص: 306.

(4). المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص: 109.

وبناءً على ما سبق؛ فما ذكر الإمام ابن عرفة من جواز المفاضلة هو ما عليه أهل السنة، وأن النهي عن ذلك لا يعارضه ما توافق فيه أهل العلم، فلا شك ولا ريب أن أفضل الأنبياء والرسل محمد ﷺ لما اختصه الله به من خصائص.

نخلص مما سبق إلى أن ابن عرفة تناول جلَّ مسائل النبوات ويرى أن النبوة هي اختصاص الله لبعض خلقه بالوحي على لسان الملَك، فإن أُمِر بالتبليغ فهو رسول، وإن أُخبر بالوحي دون رسالة فهو نبيّ مبلِّغ رسالة من قبله، والنبوة اصطفاء واختيار إلهي يؤتيه لمن يشاء من عباده، وقد فضلهم على سائر المخلوقات ومنهم الملائكة. وخالف المعتزلة بمسألة ارسال الرسل التي ترى أنها واجبة عقلاً، وذهب إلى عصمة الأنبياء والرسل من الصغائر والكبائر سواء قبل بعثتهم أم بعدها، كما تميز بحثه للنبوات بحفاوته بالحديث عن وجوه اعجاز القرآن الكريم وفضل خاتم الأنبياء.

خاتـــمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيِّبين الطاهرين وأصحابه الغرّ الميامين.

من خلال عرض البحث بفصوله الأربعة والتي تناولت فيها شخصية ابن عرفة التونسي وآراءه الاعتقادية في الإلهيات والنبوات توصلت إلى النتائج التالية:

ــ اكشف حقيقة الشخصية العلمية التي يتميّز بها المفسر ابن عرفة؛ فقد كان خطيباً ومفتياً وقاضياً على المذهب المالكي، وهب حياته للعلم والتعليم والدرس، وانتفع به خلق كثير، وتخرج على يديه عدد كبير من العلماء والأعلام، والقضاة والمفسرين...

ــ ترك ابن عرفة أثراً في فكر لاحقيه؛ تجلى ذلك من خلال ما تلقفه عنه علماء يشار إليهم بالبنان.

ــ أفصحت هذه الدراسة عن شخصية نحوية واضحة المعالم ناقدة مناقشة، إذ كان ابن عرفة راسخ القدم طويل الباع، ضليعاً بعلم النحو، كما كان يوظف أقوال المتقدمين في استنباط القاعدة النحوية واستخلاص الرأي الذي يريد تقريره.

ــ يفسر ابن عرفة النص القرآني بالوقوف عند الآية أو الكلمة أو الحرف بالشرح والتحليل، ويسوق آراء علماء اللغة والنحو لإيضاح مفاد التراكيب ودلالاتها.

ــ تميز ابن عرفة بالأمانة العلمية والموضوعية والتجرد لطلب الحق المصحوب بأدلة من الكتاب والسنة، وحسن مناقشته للأقوال المخالفة، وتأدبه مع أصحابها.

ــ استعمل ابن عرفة التأويل على منهج الأشاعرة، وأعطى قيمة للعقل والمنطق في فهم النصوص، وسلك بذلك مسلك علماء الكلام الأشاعرة على العموم.

ــ تعرض في تفسيره لمسائل العقيدة، وتميز درسه العقدي بتوظيف منهج خاص اتسم بجمع أقوال وآراء العلماء والفرق الأخرى وعرضها، ثم تحليل ونقد الآراء التي يرى أنها غير صحيحة، ثم يرجح الأصوب، مصاحباً ترجيحه بين الآراء بأدلة نقلية وعقلية ولغوية ليصل في الأخير إلى بيان رأيه الخاص.

ـ ناقش في درس الإلهيات مبحث الوجود الإلهي وبيان أدلته، كما اهتم بمبحث الأسماء والصفات، وبيان معانيها وذلك حسب ورودها في الآيات القرآنية، كما تعرض إلى بيان أسماء الله الحسنى وأشار الى مناسبة الأسماء الحسنى من خلال تفسيره للآيات الواردة فيها.

ـ يخالف ابن عرفة في بعض الأحيان أئمة المذهب الأشعري، ومثال ذلك مخالفتهم في مسائل الصفات الإلهية، ويكون قريبا أو موافقا لآراء المعتزلة فيها، وهذا يدل على التحرر الفكري والاستقلال المعرفي، وعدم التعصب المذهبي.

ـ تعرض ابن عرفة في درس النبوات لمسائل متعددة ومتنوعة حول النبوة والرسالة، مثل توضيح الفرق بين النبي والرسول، ونبوة النساء، والتفاضل بين الأنبياء والملائكة، ومعجزات الأنبياء وعصمتهم، وإعجاز القرآن، وكان في آرائه موافقا للأشاعرة.

ب/ المقترحات:

بعد دراستي لآراء ابن عرفة اكتشفت أن هذه الشخصية العلمية لها من المميزات ما يؤهلها لمرتبة الاجتهاد والابتكار في العلوم الإسلامية والأدبية، وأنه وصف بالعالم المتكلم الفقيه الأديب المنطقي، ولذا أقترح الاهتمام بهذه الشخصية المهمة في المقترحات الآتية:

1. شخصية ابن عرفة تحتاج إلى إقامة وتنظيم ملتقيات وندوات علمية لدراسة إنجازاته العلمية وآرائه العقدية.
2. الاهتمام والاجتهاد من أجل عمل مشترك في مخابر الدراسات الإسلامية، وهذا لأجل الاعتناء بتراثه المنشور وغير المنشور وإعادة تحقيقه سيما تفسيره.
3. لفت انتباه الطلبة والباحثين لدراسة آراء ابن عرفة في مجالات العقيدة والمنطق والفقه والأدب؛ باعتباره شخصية موسوعية منفتحة على مجالات متنوعة من العلوم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	1	173
﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾	2	132،96
﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾	4	118
﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ﴾	5	130
﴿ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ٧ ﴾	7	180
سورة البقرة		
﴿ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾	2	86
﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧ ﴾	7	108
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ...وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨ ﴾	8	130
﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ ١٠ ﴾	10	122
﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ...... ﴾	17	125
﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ .... ﴾	19	81
﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ .... ﴾	23	132،136،272
﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ ... .﴾	24	100-136
﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ........﴾	30	283
﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا .... ﴾	31	284-263
﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ....﴾	33	266-287-284،263
﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ...............﴾	34	286

﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ......﴾	35	115
﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا .... ﴾	36	105
﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى ....﴾	37	252-233
﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا........﴾	41	180
﴿ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ... ﴾	47	269
﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ.......... ﴾	49	87
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ......﴾	54	121
﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ .... ﴾	55	221
﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ .... ﴾	58	135
﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ .... ﴾	64	88
﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ .... ﴾	65	133
﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا .....﴾	67	218
﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ........﴾	90	121-213
﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ ....﴾	73	134
﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ....﴾	94	159
﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ ....﴾	98	88
﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ... .....﴾	100	133
﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ............﴾	102	282
﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى .... ﴾	17	112
﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ....﴾	106	118
﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ..... ﴾	124	95
﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ....﴾	127	270
﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ.....﴾	128	270
﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا ......﴾	129	234

﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ ..... ﴾	145	258
﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾	151	87
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾	159	114
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ ...وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ ﴾	161	111
﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ......﴾ .	164	170-147-157
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ... يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ ﴾	170	147
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴾	178	136
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾	185	196-181
﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ ....يَتَّقُونَ ١٨٧ ﴾	187	108
﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾	190	216
﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾	195	-216-98
﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ ... ١٩٦ ﴾	196	108
﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾	205	198-183
﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ.....﴾	210	211
﴿ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ ...فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٢١٥ ﴾	215	123
﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾	213	246
﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ ... ﴾	221	102
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾	222	216
﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ.... ﴾	224	225
﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ ... ﴾	230	103
﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ ﴾	224	207
﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ ٢٣٣ ﴾	233	113
﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ........طَالُوتَ مَلِكٗاۚ ﴾	247	95

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ .... ﴾	248	105
﴿ وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ ﴾	250	95
﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ.................﴾	253	،269-289-194-197
﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ....﴾	255	232
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ....﴾	260	259
﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ ....﴾	262	131
﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ....﴾	273	90
﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم .... ﴾	274	131
﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ..................﴾	28O	84
﴿ فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب................. ﴾	282	711
﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ.....﴾.	284	77
﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ....﴾	285	285-85

سورة ال عمران

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ..... ﴾	7	149-150
﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ............... ﴾	18	285
﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ .... ﴾	32	216
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ .... ﴾	33	284
﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ .... ﴾	59	204
﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ .... ﴾	62	234
﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ....﴾	75	126
﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ........﴾	76	126
﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾	89	86
﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ...........﴾	101	120

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ... ﴾	110	113
﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ..... ﴾	120	92
﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ.............. ﴾	133	164
﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْأَخِرَةِ .... ﴾	145	89
﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ .... ﴾	147	119
﴿ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ .... ﴾	154	97
﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ......... ﴾	164	251
﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ .... ﴾	181	207
﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ....... ... ﴾	192	121-162
﴿ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا .... ﴾	193	161
﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ..... ﴾	195	96

سورة النساء

﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ...... ﴾	4	91
﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ...... ﴾	8	109
﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ .... ﴾	11	115
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا............. ﴾	43	232
﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ.................. ﴾	80	93
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ .... ﴾	82	75
﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ.... ﴾	83	284
﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ .... ﴾	93	212
﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ .... ﴾	133	198
﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ......... ﴾	142	96

﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ...............﴾	160	120
﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ .....﴾	165	240
﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ ....﴾	172	285-286- 203-199
﴿ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ .....﴾	175	215

سورة المائدة

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ..........﴾	1	198
﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ...........﴾	3	287
﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ.....﴾	8	83-118
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ....﴾	9	10
﴿ يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا.......﴾	15	126
﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ... ....﴾	20	289
﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ....﴾	56	160
﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ ....﴾	118	134
﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ ....﴾	119	214

سورة الأنعام

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ.......﴾	50	285
﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ ....﴾	87- 84	250
﴿ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ..................﴾	91	92
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ... ﴾	99	127
﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ....﴾	147	83
﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ .... ﴾	155	122

سورة الأعراف

﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ ....﴾	20	285-97
﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ فَلَا خَوۡفٌ ... ﴾	35	118
﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ ....﴾	53	149
﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ.................. ﴾	54	210
﴿ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا............﴾	148	203

سورة التوبة

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ....... ﴾	20	285-97
﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا .... ﴾	35	119
﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ.....﴾	53	149
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٍ.........﴾	94	246
﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ....﴾	158	270

سورة الأنفال

﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرًا ....﴾	23	158

سورة يونس

﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ..... ﴾	3	210
﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ......﴾	5	81

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٣٦ ﴾	36	98
﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ...... ﴾	59	86
﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ .... ﴾	61	208-189
﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ .... ﴾	62-64	281
﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ .... ﴾	80	281

سورة هود

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا... .....﴾	16-15	89
﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا ...... ﴾	37	209
﴿ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ ..... ﴾	41	122

سورة يوسف

﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا ....﴾	23	260
﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ ....﴾	24	260
﴿ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ..........﴾	32	158
﴿ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ ﴾	56	98
﴿ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦ ﴾	76	84
﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ ...﴾	84	85
﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ....﴾	101	100

سورة الرعد

﴿ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ........ ﴾	1	204

﴿ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ ....﴾	4	127
﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٌ ....﴾	5	165
﴿ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ .... ﴾	16	177
﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ....﴾	18	85
﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ .....﴾	26	98
﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ .... ﴾	32	114
﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ... .... ﴾	40	126

سورة ابراهيم

﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ......﴾	10	168
﴿ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ ....﴾	19	194
﴿ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ....﴾	52	184

سورة الحجر

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	9	277
﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ ...صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٨ ﴾	28	101

سورة النحل

﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾	1	211
﴿ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢ ﴾	12	178
﴿ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ... .....﴾	22	172

﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ.............﴾	44	145
﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ....﴾	50	218
﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ ....﴾	70	118
﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ ......﴾	78	206
﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ..........﴾	102	251

سورة الإسراء

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ .....﴾	18	89
﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ ....﴾	36	226
﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا............﴾	49	162
﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ ....﴾	55-54	288-269
﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ.............﴾	70	110
﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ ....﴾	88	272
﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ............﴾	85	90
﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ ....﴾	110	222

سورة الكهف

﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ......﴾	30	119
﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ..................﴾	50	198
﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ....﴾	60	121
﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ ....﴾	80	116
﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ .... ..﴾	83-84	127
﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ................﴾	98	158

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ............. ﴾	110	248

سورة مريم

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن .... ﴾	5	86
﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا .... ﴾	38	163
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا .... ﴾	64	287

سورة طه

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ... ﴾	08	222
﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ.........﴾	98	187

سورة الأنبياء

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ .... ﴾	4	205-207
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ...... ﴾	35	239

سورة الحج

﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا.......................... ﴾	36	222
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟............... ﴾	39	86
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ .... ﴾	52	144
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ....﴾	73	201
﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ....﴾	75	285

سورة المؤمنون		
﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ ...... ﴾	18	194
﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ........ ﴾	86	179
﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ................ ﴾	95	195

سورة النور		
﴿ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣ ﴾	3	99
﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٢٠ ﴾	20	233
﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ ...وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾	22	81
﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ ...أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣ ﴾	63	88

سورة الشعراء		
﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ .... ﴾	16	241
﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ ....﴾	19	258
﴿فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ......وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾	21	249
﴿قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ ...إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣١ ﴾	30،31	267
﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ ﴾	80	80
﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ....﴾	194 .193	285

سورة القصص		
﴿ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ...وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ١٣ ﴾	13	119

سورة العنكبوت

﴿ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾	3	191
﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن ...ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾	48	274

سورة الأحزاب		
﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ ... وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾	7ـ 8	288
﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾	35	89
﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن ... وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾	40	270
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ...وَسَلِّمُواْ ر تَسۡلِيمًا ﴾	56	285

سورة فاطر		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ......﴾	3	111
﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ. ... .﴾	2	194-193
﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ....﴾	28	235

سورة سبا		
﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ... إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦﴾	6	236
﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ ﴾	13	81
﴿ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥﴾	35	114
﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ٤٧ ﴾	47	112

سورة يس		
﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ....﴾	05	233
﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا ....﴾	8	81

﴿وَمَالِىَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى ....﴾	22	185
﴿وَضَرَبَ لَنَا ....﴾	78 ـ79	146

سورة الصافات

﴿أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ..........................﴾	58	123
﴿إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ..........................﴾	59	123

سورة ص

﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ ....﴾	23	229
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ........... ﴾	24	81
﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ.......... ﴾	30	122
﴿وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدًا ....﴾	34	101

سورة الزمر

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ............ ﴾	4	92
﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِى ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ ....﴾	9	92

سورة غافر

﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ ....﴾.	7	283
﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ .....﴾	64	112
﴿قُلۡ إِنِّى نُهِيتُ....وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٦ ﴾	66	128
﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمۡ .... ٧٧ ﴾	77	158

سورة فصلت

﴿ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ.......... ﴾	22	96، 190
﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ.... ﴾	46	91
﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ.......... ﴾	53	112

سورة الشورى

﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ.......... ﴾	11	205
﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ........... ﴾	13	127
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ...... ﴾	20	90
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ......ﱡ ﴾	29	178
﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ .... ﴾	48	80

سورة الزخرف

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ ......﴾	84	218

سورة الجاثية

﴿ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ........ ﴾	33	128
﴿ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ ..... ﴾	34	84

سورة الاحقاف

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ .... ﴾	15	103

سورة محمد

﴿سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ..... ﴾	5	86
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ .... ﴾	24	146
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ ....﴾	28	213
﴿ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ........﴾	35	97

سورة الفتح

﴿ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ............﴾	2	257
﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ .... ﴾	18	190
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ ....﴾	24	193
﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ............ ﴾	27	203

سورة الحجرات

﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾	18	190

سورة ق

﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ....﴾	03	191
﴿ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ.... ﴾	04	191
﴿ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ........﴾	28	164
﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ ....﴾	29	164

سورة الذاريات

﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ...... ﴾	21	146

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ .... ﴾	56	239

سورة الطور

﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ ﴾	1	120
﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ ....﴾	35	174

سورة النجم

﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾	5	285
﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ..... ﴾	10	248
﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ ﴾	12	124
﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ....﴾	28	147
﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾	37	289

سورة القمر

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ ....﴾	4	254
﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ ....﴾	50	81

سورة الرحمان

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ.........﴾	14	179،174
﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ..... ﴾	27	208

سورة الواقعة

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧ ﴾	27	87

﴿ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٥٩ ﴾	59	174

سورة الحديد

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ....﴾	1	234،84
﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ ....﴾	3	228
﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ ....﴾	4	98
﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ....﴾	9	249
﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ ....﴾	15	166
﴿ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ.........﴾	26	111

سورة المجادلة

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ ....﴾	14	212، 214

سورة الحشر

﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ.........﴾	2	284
﴿رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾	10	215،108
﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ .....﴾	23	229
﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ....﴾	24	231

سورة الممتحنة

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾	08	216

سورة الصف

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ .... ﴾	01	234
﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ .... ﴾	08	85
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ .... ﴾	14	74

سورة المنافقون

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٨ ﴾	4	82

سورة الملك

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ..............﴾	1	208
﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ....﴾	16	218

سورة المعارج

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ ﴾	19	286

سورة نوح

﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ .... ﴾	25	166
﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ....﴾	28	164

سورة الجن

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ ......﴾	20	248
﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ..........﴾	24	122

سورة المزمل

﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ......﴾	9	184

سورة المدثر		
﴿ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ...فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ ﴾	42.39	90
﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ.. .... ﴾	48	161
سورة النبأ		
﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾	2.1	240
سورة الفجر		
﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ ﴾	6	123
﴿ كَلَّآۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴾	21	211
﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾	22	211
سورة البينة		
﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾	8	214
سورة العاديات		
﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ ﴾	10	95
﴿ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ﴿٤﴾ ﴾	4	122
سورة التكاثر		
﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾	8	90
سورة الكافرون		

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾ 1 90

فهرس الأحاديـث

الصفحة	طرف الحديث
96	" اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ،..............."
218	" أَنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا..........."
97	" لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، ...."
208	""سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ............"
94	"أُتِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.........."
97	"أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً..............."
98	"الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ.............. "
94	"إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُهْلِكْ قَوْمًا............"
97	"أَنْ تَعبُدَ اللهَ كَأَنكَ تَرَاهُ............"
95	"أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا................"
269	"أَنَا سَيِّدُ وَلَد آدَمْ ...."
95	"إِنَّمَّا الأَعْمَالُ بِالنِيَّات..............."
98	"أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ.........."
94	"غَضِبَ عَلَى سِبْطٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ...."
94	"قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا بِأَرْضٍ........."
176	"كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ ...."
289	"كُنْتُ أَولُ النبيِّين فِي الخَلق............."
288	"لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ.........."
99	"لَا يَزْنِي الزَانِي حِين................."
288	"لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ ...."
99	"لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تُسَاوِي عِنْدَ اللهِ.........."

"لَا تُسَافِرِ امْرَأَةٌ فَوْقَ ثَلَاثِ ...."	102
"لِلَّه تِسْعاً وَتِسْعُون اِسْما...................."	227

فهرس الأعلام المترجم لهم

ابن الجزري	59
ابن الحباب	43
ابن الشماع	54
ابن الصباغ	47
ابن القداح	42
ابن برال	47
ابن حجر العسقلاني	48
ابن راشد القفصي	21
ابن زيتون	21
ابن ظهيرة المكي	60
ابن عبد الرفيع	21
ابن عطيّة	131
ابن علوان (أبو العباس أحمد)	46
ابن علوان(أبو عبد الله محمد)	52
ابن قنفذ القسنطيني	52
ابن مرزوق الحفيد(أبو الفضل محمد)	53
ابن ناجي	51
ابن هارون	44
أبو الفضل محمد المشذالي	53
أبو القاسم البرزلي	50
أبو عبد الله الأبي	50
أبو عبد الله الأبلي	43
أبو عبد الله السطي	46
أبو عبد الله الوانوغي	49

أبو عبد الله محمد بن سلامة	44
أبو عمرو عثمان	09
أبوعبد الله المجاري	61
أحمد الرصافي	47
الآمدي	259
البسيلي	51
البيضاوي	56
الحاجب	259
الحوفي	46
الرصاع	42
الزمخشري	129
السخاوي	61
السلاوي	52
عبد الله الطيبي	148
عيسى الغبريني (أبو مهدي عيسى بن أحمد)	49
فخر الدين الرازي	133
ابن عبد السلام	42
القرطبي	135
القلشاني (أبو عبد الله محمد)	53
محمد بن حسين الزبيدي	46
الوادي آشي	45

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص.

1. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1394هـ- 1974م.

2. احياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

3. الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، أبوعبد الله محمد بن أحمد ابن الشماع، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس.

4. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

5. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط1: 1419هـ - 1999م.

6. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين الجويني، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق على وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة – مصر، ط1: 1430هـ - 2009م.

7. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، شهاب الدين أبو العباس المقري، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ـ مصر، 1358هـ- 1939م.

8. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1: 1419هـ- 1998م.

9. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة، مكتبة السنة.

10. الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1: 1413هـ - 1993 م.

11. الإشارة في علم الكلام، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تحقيق: هاني محمد حامد محمد، المكتبة الأزهرية للتراث، الجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، 2007م.

12. أصول الدين الإسلامي، رشدي محمد عليان، قحطان عبد الرحمن الدوري، طبعة دار الإمام الأعظم، بيروت ـ لبنان، ط2: 1432هـ- 2011م.

13. أصول الدين، أبي منصور البغدادي، مكتبة الدولة، استانبول ـ تركيا، ط1 : 1346 هـ-1928م.

14. أصول العقيدة الإسلامية، أبو جعفر أحمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، ط1: 1419هـ- 1999م.

15. الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، محمد بن عبد الرحمن الشقير، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1: 1429 هـ - 2008 م.

16. الاعتقاد في الاقتصاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1: 1424هـ - 2004م.

17. إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف ـ مصر، ط3.

18. أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نهويض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت ـ لبنان، ط2: 1400هـ- 1980م.

19. أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، دار ومكتبة الهلال، بيروت ـ لبنان، ط1: 1409هـ.

20. الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط15: 2002م.

21. إعمال العقل، لؤي صافي، دار الفكر، دمشق ـ سوريا، ط1: 1419هـ -1998م.

22. إكمال إكمال المعلم، أبي عبد الله محمد بن خلفة الوشتاني الأبي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

23. الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ـ أبي بكر محمد ابن العربي، تحقيق: عبد الله التوراتي، أحمد عروبي، دار الحديث الكتانية، بيروت ـ لبنان.

24. إنباء الغمر بأبناء العمر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر،1389هـ - 1969م.

25. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين، عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس – عمان ـ الأردن.

26. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، أبي بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ط2: 1421هـ-2000م.

27. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط1: 1418هـ.

28. إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة، محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، ط1: 1420هـ- 1999م.

29. الإيمان بالله وأثره في الحياة، عبد المجيد عمر النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان ط1: 1997م.

30. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ط1: 1408 هـ - 1988 م.

31. بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان.

32. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار المعرفة، بيروت . لبنان.

33. بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.

34. برنامج المجاري، لأبي عبد الله محمد بن محمد المجاري الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، دار الغرب الاسلامي، بيروت . لبنان، ط1: 1400هـ- 1982م.

35. البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتونس، أبي عبد الله محمد بن محمد أبن أحمد الملقب بان مريم التلمساني، المطبعة الثعالبية . الجزائر، 1326هـ- 1908م.

36. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة مصر، ج1، 1416هـ -1996م.

37. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان.

38. البلغة إلى أصول اللغة، أبو الطيب الحسيني البخاري القنوجي، تحقيق: سهاد حمدان أحمد السامرائي، جامعة تكريت.

39. تاج العروس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، دار الهداية.

40. تاريخ افريقية في العهد الحفصي، روبار برنشفيك، تحقيق: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، ط1: 1988م.

41. تاريخ الأدب، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة . مصر.

42. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن ابراهيم حسن، دار الجيل . بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14: 1416هـ- 1996م.

43. تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علي أبو ريان، دار النهضة العربية، بيروت . لبنان.

44. تاريخ المغرب الكبير، السيد عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت . لبنان، 1981م.

45. تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد، محمد بن الخوجة، تحقيق: الجيلاني بن الحاج يحي، حمّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، ط2: 1985م.

46. التحرير والتنوير، محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م.

47. تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان.

48. التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، محمد عادل عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987م.

49. تعريف علم الكلام، جلال الدين الدّوّاني، دار الإمام ابن عرفة، تونس.

50. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1: 1403هـ . 1983م.

51. تفسير ابن عرفة، أبي عبد الله محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1: 2008م.

52. تفسير الإمام ابن عرفة برواية تلميذه الأبي، ابن عرفة الورغمي، تحقيق: حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ط1، 1986م.

53. تفسير القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة . مصر، ط2: 1384هـ- 1964م.

54. التفسير الكبير، أبو عبد الله فخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ط2 : 1420هـ.

55. التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، ط1: 1432هـ.

56. التفسير والمفسرون في غرب افريقية، محمد بن رزق بن طرهوني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1: 1426هـ.

57. التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور، مجمع البحوث الإسلامية، مصر، 1390هـ - 1970م.

58. تقريب الوصول إلي علم الأصول، أبو القاسم ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1: 1424 هـ - 2003 م.

59. التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، أبو العباس البسيلي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض – المملكة العربية السعودية.

60. التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، أحمد بن محمد البسيلي التونسي، تحقيق: عبد الله بن مطلق الطوالة، تونس، ط1، 1412هـ- 1992م.

61. التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسير الكتاب العزيز ، عمر بن محمد السكوني ، تحقيق: السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان ، 2005م.

62. تهذيب اللغة، أبو منصور الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

63. توشيح الديباج وحلية الابتهاج، بدر الدين محمد بن عمر القرافي، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ـ مصر، ط1: 1425هـ-2004 م.

64. التيسير في أصول واتجاهات التفسير، عماد علي عبد السميع حسين، دار الإيمان، الإسكندرية ـ مصر.

65. جوانب من حضارية المغرب الإسلامي، كمال أبو مصطفى، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية ـ مصر، 1997م.

66. حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، تحقيق: علي جمعة محمد الشافعي، دار السلام، القاهرة ـ مصر، ط1: 1422هـ- 2002م.

67. حاشية الباجوري، إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1: 2007م.

68. الحديث النبوي مصطلحه ـ بلاغته ـ كتبه، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط4: 1401هـ-1981م.

69. الحلل السندسية، في الأخبار التونسية، محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج، تحقيق: محمد الحبيب الهيله، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط1: 1985م.

70. الحياة في ظل العقيدة، زين بن محمد بن هادي المدخلي، دار المنهاج، القاهرة ـ مصر، 1424هـ- 2004م.

71. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، دار الشروق، مصر.

72. خلاصة تاريخ تونس، حسن حسيني عبد الوهاب، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، ط3، 1332هـ.

73. دائرة المعارف، المعلم بطرس، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

74. دراسات في أصول تفسير القرآن، محسن عبد الحميد، دار الثقافة، الدار البيضاء ـ المغرب، ط2: 1404هـ - 1984م.

75. درة الحجال في أسماء الرجال، أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، 1970م.

76. درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط1، 1423هـ- 2002م.

77. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد ـ الهند، ط2: 1392هـ - 1972م.

78. درر المعرفة من تفسير الإمام ابن عرفة، نزار حمادي، تونس.

79. الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1: 1417هـ- 1996م.

80. ذيل طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية.

81. الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، دار النفائس، الكويت، ط2: 1403هـ ـ 1983م.

82. سد الذرائع في الشريعة الإسلامية، محمد هشام البرهاني، دار الفكر، دمشق ـ سوريا، ط1: 1406هـ -1985م.

83. السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، 1406هـ -1986م.

84. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية. فيصل عيسى البابي الحلبي.

85. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، 1998م.

86. الشامل في أصول الدين، إمام الحرمين الجويني، تحقيق: علي سامي النشار وآخرون، منشأة المعارف الإسكندرية ـ مصر،.

87. شتاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، أبي عبد الله محمد بن ابراهيم المعروف بالزركشي، تحقيق: محمد ماضود، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م.

88. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

89. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ـ سوريا، ط1: 1406هـ - 1986م.

90. شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار بن أحمد، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة ـ مصر، ط3: 1416هـ- 1996م.

91. شرح الأصول من علم الأصول، محمد بن صالح العثيمين، دار البصيرة، الإسكندرية. مصر، 1422هـ.

92. شرح الخريدة البهية في علم التوحيد، أحمد بن محمد العدوي الدردير، تحقيق: عبد السلام الشنار، مكتبة التراث الأزهري،.

93. شرح العقائد النسفية، سعد الدين التفتازاني، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ـ مصر، ط1: 1408هـ- 1988م.

94. شرح العقيدة الطحاوية، علي بن أبي العز، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط2: 1411هـ- 1990م.

95. شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين التفتازاني، الناشر دار المعارف النعمانية، باكستان، 1401هـ - 1981م.

96. شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب بيروت ـ لبنان، ط2: 1419هـ ـ 1998م.

97. شرح معالم أصول الدين للإمام الرازي، شرف الدين ابن التلمساني، تحقيق: نزار حمادي، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان ـ الأردن، ط1: 1431هـ- 2010م.

98. شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه في العقيدة، أبو بكر الموصلي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط1 : 1410هـ - 1990م.

99. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط4: 1407 هـ - 1987 م.

100. صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت ـ لبنان.

101. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

102. صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، علي محمد محمد الصلابي، دار البيارق للنشر، عمان ـ الأردن.

103. صفحات من تاريخ تونس، محمد بن الخوجة، تحقيق: حمّادي السَّاحلي، الجيلاني بن الحاج يحيى، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، ط1: 1986م.

104. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت . لبنان.

105. طبقات الشافعية، تقي الدين ابن قاضي شهبة، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب، بيروت . لبنان، ط1: 1407هـ.

106. طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.

107. طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي، عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الارشاد، صنعاء اليمن.

108. عالم الملائكة الأبرار، عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط3: 1403هـ-1983م.

109. عصمة الأنبياء، فخر الدين الرازي، منشورات الكتبي النجفي، 1406هـ.

110. العقائد الخيرية، محمد وهبي بن حسين أفندي الخادمي، دار إحياء الكتب العربية.

111. العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية، أحمد بن حجر آل بوطامي البن علي، دار منهاج السنة، مصر، ط1: 1415هـ- 1994م.

112. العقيدة الإسلامية أركانها حقائقها، مفسداتها، مصطفى سعيد الخن، محيي الدين ديب متو، دار الكلم الطيب، دمشق . بيروت، ط3.

113. العقيدة السلفية والرد على المنحرفين عنها، الطيب بن عمر بن الحسين الجكني، دار ابن حزم، المكتب الإسلامي، بيروت . لبنان.

114. العقيدة في الله، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر التوزيع، عمان ـ الأردن، ط10: 1415هـ ـ 1995م.

115. العقيدة وعلم الكلام في مناهج البحث والتفكير الإسلامي، محمود الخالدي، شركة الشهاب، الجزائر.

116. علم التفسير، محمد حسين الذهبي، دار المعارف، القاهرة ـ مصر.

117. العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، حسن حسني عبد الوهاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط1: 1425هـ- 2005م.

118. غاية المرام في علم الكلام، أبو الحسن سيد الدين بن سالم الثعلبي الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ـ مصر.

119. غاية النهاية في طبقات القراء شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، مكتبة ابن تيمية، ج.برجستراسر،1351هـ.

120. الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، أبو العباس أحمد علي بن الخطيب ابن القنفذ القسنطيني، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر تونس، 1968م.

121. فتاوى البرزلي، أبي القاسم بن أحمد البلوي، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط1: 2002م.

122. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، 1379م.

123. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تقي الدين أبو العباس ابن تيمية، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، 1405هـ - 1985م.

124. فصول في أصول التفسير، مساعد بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، ط2: 1423هـ.

125. فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، ط1: 1992م.

126. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1: 1416هـ- 1995م.

127. فهرست الرصاع، أبي عبد الله محمد الأنصاري، تحقيق: محمد العنابي، دار الكتب الوطنية، تونس.

128. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت . لبنان، ط8: 1426 هـ - 2005م.

129. قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، 1415هـ.

130. القواعد الحسان لتفسير القرآن، أبو عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، مكتبة الرشد، الرياض . السعودية، ط1: 1420 هـ - 1999م.

131. القواعد المثلى في صفات الله و أسمائه الحسنى، محمد بن صالح بن عثيمين، تحقيق: أشرف بن عبد الرحيم، الدار السفلية لنشر العلم، القاهرة- مصر، ط2 : 1414هـ - 1994م.

132. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة . السعودية، ط3: 1421هـ- 2001م.

133. القول المختصر في مناهج المفسرين، أبي عبد الله محمد الحمود النجدي، مكتبة دار الإمام الذهبي . الكويت، ط1: 1412هـ.

134. كبرى اليقينيات الكونية: وجود الخالق ووظيفة المخلوق، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق ـ سوريا، 1997م.

135. كتاب البداية من الكفاية في أصول الدين، نورالدين البيضاوي، تحقيق: فتح الله خليف، دار المعارف، الإسكندرية ـ مصر، 1969م.

136. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم الزمخشري جار الله ، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان ، ط3 : 1407هـ.

137. كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد ـ العراق، 1941م.

138. كلمات في ما اقترن من الأسماء الحسنى في كتاب الله، أمير علي الحداد، الكويت، ط1: 1435هـ -2014م.

139. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، لمحمد بن محمد الغزي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1: 1418هـ- 1997م.

140. لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، محمد أبو الفضل تقي الدين بن فهد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1: 1419هـ -1998م.

141. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ط3: 1414هـ.

142. لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت – لبنان، ط3: 1414 هـ.

143. لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط3: 1410هـ - 1990م.

144. اللمع في أصول الفقه، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط2: 1424 هـ- 2003م.

145. اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، أبي الحسن الأشعري، مطبعة مصر، 1955م.

146. لوامع الأنوار البهية، شمس الدين السفاريني، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق . سوريا، ط2: 1402هـ . 1982م.

147. لوامع البينات شرح أسماء الله والصفات، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، المطبعة الشرفية، مصر، 1323هـ.

148. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، بيروت . لبنان، ط3: 1421هـ- 2000م.

149. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية،تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

150. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" تفسير ابن عطيّة"، أبو محمد عبد الحق بن تمام بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1: 1422هـ.

151. مختار الصحاح، زين الدين أبوعبد الله بن عبد القادر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية ـ بيروت ـ لبنان، ط5: 1420هـ- 1999م.

152. مختار الصحاح، زين الدين الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت _ لبنان، ط5: 1420هـ - 1999م.

153. المختصر الشامل في علم الكلام، أبو عبد الله محمد التونسي، تحقيق: مسعد عبد السلام عبد الخالق، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة . مصر، 1437هـ -2016م.

154. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن القيم الجوزية، تحقيق: الحسن بن عبد الرحمن العلوي، مكتبة أضواء السلف، الرياض . السعودية، ط1: 1425هـ -2004م.

155. المختصر الفقهي، محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق: حافظ عبد الرحمن محمد خير، مؤسسة خلف أحمد الحبتور للأعمال الخيرية، دبي . الإمارات، ط1: 1435هـ- 2014م.

156. المختصر الكلامي، أبي عبد الله محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق: نزار حمادي، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت.

157. المختصر المنطقي، ابن عرفة الورغمي، المطبعة العصرية ، نشرية مركز الدراسات والأبحاث التونسية، تونس.

158. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان، ط3: 1416 هـ - 1996م.

159. مسألة حدوث العالم، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: يوسف بن محمد مروان بن سليمان الأوزبكي، شركة دار البشائر الإسلامية، بيروت . لبنان، ط1: 1432هـ- 2012م.

160. المستدرك عن الصحيحين، الحاكم أبو عبد الله ، تحقيق: عبد الله مصطفى عطا، ط1: 1411هـ- 1990م.

161. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان، ط1: 1421 هـ - 2001 م.

162. مسند الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ترتيب محمد عابد السندي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1379هـ – 1959م.

163. مصطلحات علم المنطق عند العرب، فريد جبر، سميح دغيم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت . لبنان، ط6: 1996م.

164. المطالب العالية من العلم الإلهي، فخر الدين الرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان، ط1: 1407هـ- 1987م.

165. المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، دار الفكر العربي.

166. المعجزة الكبرى، عدنان الرفاعي، دار الخير، دمشق . سوريا، ط1: 2006م.

167. معجم ابن الأعرابي، أبو سعيد ابن الأعرابي أحمد بن محمد، تحقيق: عبد المحسن بن ابراهيم، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1: 1418هـ -1997م.

168. معجم ألفاظ العقيدة، عامر عبد الله فالح، مكتبة العبيكان، الرياض . السعودية، ط1: 1417هـ . 1997م.

169. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، عادل نهويض، مؤسسة نهويض للتأليف والترجمة والنشر، بيروت . لبنان، ط3: 1409هـ - 1988م.

170. معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد كحالة، مكتبة المتنبي، بيروت . لبنان.

171. معجم مصنفات القرآن الكريم، علي شواخ إسحاق، دار الرفاعي، الرياض . السعودية.

172. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

173. معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، 1961م.

174. المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي أبي الحسن عبد الجبار، تحقيق: محمود محمد قاسم.

175. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ط3: 1420هـ.

176. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، ط4: 1430هـ -2009م.

177. المفردات في غريب القرآن، الحسين الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق . سوريا، ط1: 1412هـ.

178. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، مؤسسة علال الفاسي، ط5، 1993م.

179. مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو العباس بن محمد ابن تيمية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1490هـ .1980م.

180. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي، قبرص، ط1 : 1407-1987م.

181. مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث، محمد النقراشي السيد علي، مكتبة النهضة، القصيم . المملكة العربية السعودية، ط1: 1407هـ- 1986م.

182. مناهج المفسرين، مساعد مسلم آل جعفر، محي هلال السرحان، دار المعرفة، السعودية، ط1: 1980م.

183. مناهج المفسرين، منيع عبد الحليم محمود، دار الكتاب المصري، القاهرة . مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت . لبنان، 1421هـ . 2000م.

184. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3.

185. المنطق عند ابن تيمية، عفاف الغمري، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، 2001م.

186. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين محمد بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1: 1406 هـ - 1986م.

187. موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، الهيثمي أبو الحسن نور الدين علي، تحقيق: حسين سليم، دار الثقافة العربية، دمشق ـ سوريا، ط1: 1990- 1992م.

188. المواقف في علم الكلام ،عضد الله الإيجي، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان.

189. المواقف في علم الكلام، عضد الله الدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان.

190. موسوعة التاريخ الإسلامي، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ـ مصر،ط10: 1995م.

191. المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم المعروف بابن أبي دينار، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1286م.

192. النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، مكتبة أضواء السلف، السعودية، ط1: 1420هـ ـ 2000م.

193. نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، محمود مقديش، تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، ط1: 1988 م.

194. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت – لبنان، ط1: 1997م.

195. نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس البسيلي، تحقيق: محمد الطبراني، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1: 1429هـ . 2008م.

196. نهاية الإقدام في علم الكلام، عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: ألفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة . مصر، ط1: 1430هـ . 2009م.

197. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تحقيق: نصر الله حاجي، دار صادر، بيروت . لبنان، ط1: 1424هـ . 2004م.

198. نهاية السول شرح منهاج الوصول، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان،ط1: 1420هـ- 1999م.

199. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا بن أحمد التنبكتي، دار الكاتب، طرابلس . ليبيا، ط2: 2000م.

200. الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية(شرح حدود ابن عرفة)، محمد بن قاسم الأنصاري، أبو عبد الله الرصاع، المكتبة العلمية، ط1: 1350هـ.

201. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان.

202. الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، محمد مصطفى الزحيلي، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، ط2: 1427 هـ - 2006 م.

203. الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت . لبنان، ط1: 1425هـ . 2004م.

204. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت . لبنان، 1900م.

205. الوفيات، أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4: 1403 هـ - 1983م.

الرسائل الجامعية:

206. الآراء الكلامية لابن عرفة التونسي من خلال تفسير . جمعاً ودراسة . هشام داود، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر1، 2017م.

207. باب الإمامة من كتاب المختصر الشامل لابن عرفة الورغمي، سعد غراب، حوليات الجامعة التونسية، تونس، العدد9، 1972م.

208. تفسير ابن عرفة بتقييد أحمد بن محمد البسيلي . سورة التوبة . الزهرة عامر، رسالة ماجستير تخصص أصول الدين، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2006م.

209. تفسير ابن عرفة برواية البسيلي دراسة وتحقيق لسورة الأعراف، العالية شعراوي، رسالة ماجستير، تخصص أصول الدين، جامعة الجزائر، 2006م.

210. تقييد ونكت على تفسير ابن عرفة للإمام ابي العباس أحمد بن محمد البسيلي . دراسة وتحقيق لتفسير سورة البقرة . عثمان واجعوط، رسالة ماجستير تخصص أصول الدين، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر1، 2012م.

211. تقييد ونكت على تفسير ابن عرفة للإمام أبي العباس محمد بن أحمد البسيلي . دراسة وتحقيق لتفسير السور(ص)، (الزمر)، (غافر)، صليحة عثماني، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية قسم العقائد ومقارنة الأديان، جامعة الجزائر، 2012 م.

212. المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621هـ وحتى سنة 893هـ، جميلة مبطي المسعودي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2000م.

مقالات علمية:

213. محمد بن عرفة ومنهجه في التفسير، وسيلة بلعيد بن حمدة، مقال في مجلة علمية محكّمة، تصدر بجامعة الزيتونة، تونس، العدد2، 1993م.

الموضوع	الصفحة

اهداء

شكر وتقدير

مقدمة...أ . د

الفصل الأول	عصر الإمام ابن عرفة وحياته...63.2

المبحث الأول : عصر الإمام ابن عرفة...3

المطلب الأول: الحالة السياسية 3

المطلب الثاني: الحالة الإجتماعية...10

المطلب الثالث: الحالة العلمية والثقافية...13

المطلب الرابع: الحالة الاقتصادية 23

المبحث الثاني : سيرته الشخصية 28

المطلب الأول: اسمه ونسبه..29

المطلب الثاني: مولده ونشأته 30

المطلب الثالث:صفاته وأخلاقه..32

المطلب الرابع:أعماله 35

المطلب الخامس:وفاته 38

المبحث الثالث: سيرته العلمية 39

المطلب الأول: طلبه العلم 40

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه..41

المطلب الثالث: مؤلفاته..54

المطلب الرابع: مذهبه الفقهي والعقدي..58

المطلب الخامس: مكانته وثناء العلماء عليه. 59

الفصل الثاني	دراسة كتاب تفسيرابن عرفة ومنهجه في عرض العقيدة............167.64

المبحث الأول: قيمة التفسير العلمية..........66
المطلب الأول:محتوى تفسير الإمام ابن عرفة..........67
المطلب الثاني: قيمة الكتاب العلمية..........73
المطلب الثالث: مآخذ على الكتاب..........75
المبحث الثاني: منهجه في التفسير..........78
المطلب الأول: التفسير بالمأثور..........79
ـ أولاً: تفسيره القرآن بالقرآن..........80
ـ ثانياً: تفسيره القرآن بالسنة النبوية..........93
ـ ثالثاً: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة..........99
ـ رابعاً: تفسيره القرآن بأقوال التابعين..........101
ـ خامساً: موقفه من الإسرائيليات..........103
المطلب الثاني: تفسيره القرآن بالرأي..........106
ـأولاً: الفقه وأصوله..........107
ـ ثانياً: اللغة العربية وعلومها..........117
المطلب الثالث: مصادره في التفسير..........128
ـأولاً: مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن..........128
ـ ثانياً: مصادره من كتب الحديث وعلومه..........137
ـ ثالثاً: مصادره من كتب اللغة والنحو..........138
ـ رابعاً: مصادره من كتب الفقه وأصوله..........140
ـ خامساً: مصادره من كتب أصول الدين..........141
المبحث الثالث: منهج الإمام ابن عرفة في بحث العقيدة..........144
المطلب الأول: موقفه من العقل..........144
المطلب الثاني: موقفه من العلوم العقلية..........149
ـ أولاً: علم الكلام..........149
ـثانياً: علم المنطق..........154
المطلب الثالث: الخصائص العامة لمنهجه..........158

الفصل الثالث	درس الإلهيات في تفسير ابن عرفة................................168، 237

المبحث الأول: عرض الإمام ابن عرفة للوجود الإلهي وأدلته 170
المطلب الأول: حقيقة الوجود الإلهي 170
المطلب الثاني: أدلة وجود الله تعالى 174
أولاً: دليل الحدوث 176
ثانيا: دليل الإمكان 179
المبحث الثاني : وحدانية الله تعالى 181
المطلب الأول: تعريف الوحدانية...181
المطلب الثاني: وحدانية الله تعالى عند الإمام ابن عرفة..............................183
المبحث الثالث : عرض الإمام ابن عرفة للصفات الإلهية................................188
المطلب الأول: صفات المعاني 188
المطلب الثاني:الصفات الخبرية..208
المطلب الثالث: رؤية الله عز وجل..218
المبحث الرابع : عرض الإمام ابن عرفة لأسماء الله الحسنى 221
المطلب الأول: الإسم والمسمى...221
المطلب الثاني: التوقف في أسماء الله 225
المطلب الثالث: مناسبة أسماء الله الحسنى 231

الفصل الرابع	درس النبوات في تفسير ابن عرفة ....238، 291

المبحث الأول :حقيقة النبوة...240
المطلب الأول: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما 241
المطلب الثاني: النبوة منحة أم مكتسبة 249
المطلب الثالث: حكم إرسال الرسل 251
المبحث الثاني:حقيقة العصمة عند ابن عرفة 256
المطلب الأول: حقيقة العصمة 256

المطلب الثاني: عصمة الأنبياء 257

المبحث الثالث: موقفه من المعجزة والكرامة 264

المطلب الأول: حقيقة المعجزة 264

المطلب الثاني: نبوة ومعجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم 268

المطلب الثالث: أوجه إعجاز القرآن الكريم.. 272

المطلب الرابع: كرامات الأولياء.. 278

المبحث الرابع : موقفه من التفاضل بين الأنبياء 283

المطلب الأول: المفاضلة بين الأنبياء والملائكة.. 283

المطلب الثاني: المفاضلة بين الأنبياء.. 287

الخاتمة... 293

الفهارس	346-395 ....

فهرس الآيات القرآنية 296

فهرس الأحاديث النبوية 317

فهرس الأعلام 319

فهرس المصادر والمراجع 321

فهرس الموضوعات 343

الملخصات

تناولت هذه الدراسة أهم جهود الإمام الفقيه المفسر محمَّد بن عرفة في مزاوجته بين عدة علوم في تفسيره المنقول عنه، والذي اتضح امتلاكه لمعارف وعلوم متنوعة كالفقه والحديث والتفسير واللغة، كما أنه برع في المنطق وعلم الكلام؛ وانطلاقاً من ذلك انبعث سؤال جوهري عن كيفية إدراج ابن عرفة لقضايا عَقَدِيَة في تفسيره، وقد تمكنت هذه الدراسة من استشفاف منهجه وطريقة معالجته لهذه القضايا خاصة الإلهيات والنبوات، فهو لا يقوم بعرضها عرضاً تلقائياً بل يعرضها وفق منهج خاص يبين فيه أقوال وآراء الفرق الأخرى وينسب كل قول إلى صاحبه ولو كانت هذه الأقوال مخالفة لمذهبه، ثم توضيح الرأي الصواب والصحيح ولو كان على غير مذهبه، وهذا دليل على تحرره من التعصب المذهبي والانغلاق الفكري.

The Abstract

This study dealt with the most important efforts of the interpreter Imam al-Faqih Muhammad ibn Arafah in his combination between several sciences in his interpretation, through the possession of a variety of knowledge and sciences such as Islamic jurisprudence, Hadith, interpretation and language, as he excelled in logic and speech science. Based on this, a fundamental question was raised as to how Ibn 'Arafa included belief issues in his interpretation by exploring his methodology and how he handled these issues, especially divinities and prophecies. He does not display them automatically, but he presents them according to a specific approach that shows the views and opinions of other teams and attributed each statement to the its owner, even if these statements are contrary to his doctrine. Then, he clarifies the right as well as correct opinion even if it is not on his doctrine, and this is evidence of freedom from religious intolerance and intellectual isolation.

Résumé

Cette étude porte sur les importants efforts consentis par l'imam al-Faqih Muhammad ibn 'Arafah dont on a reporté de son interprétation qu'il associe plusieurs sciences ce qui révèle qu'il possède diverses connaissances et une maitrise des sciences telles que la jurisprudence, le hadith, l'exégèse et le langage, il a également excellé dans la logique et la science de la parole; en tenant compte de cela une question fondamentale s'impose sur la manière dont Ibn Arafah a inclus les problèmes dogmatiques dans son exégèse. Cette étude a permis de retracer sa méthode et son approche du traitement de ces questions, en particulier les divinités et les prophéties, celui-ci ne les expose pas d'une manière automatique mais il le fait conformément à un programme spécial pour montrer les opinions et les avis des autres groupes; et attribue chaque déclaration à son propriétaire, même si ces déclarations sont contraires à sa doctrine; puis clarifie l'opinion juste et correcte, même si elle n'est pas de sa propre doctrine, et c'est la preuve de son indépendance de l'intolérance sectaire et la stagnation intellectuelle.